أسرار جهاز الأسرار

جهاز الأمن السودانى

الفترة من ١٩٦٩ م - ١٩٨٥ م



بقلم :

عميد أمن (م)
محمد عبد العزيز

عقيد أمن (م)
هاشم عثمان أبورنات

- علاقة الاحزاب بجهاز الأمن
- الانقلابات والانقلابات المضادة
- مراكز القوى فى القصر الجمهورى
- قرار تقسيم الجنوب
- القصة الحقيقية لتهريب الفلاشا
- مرحلة ماقبل اعلان قوانين سبتمبر
- صحة نميرى وأثرها على البلاد
- من أعدم محمود محمد طه ؟

أسرار جهاز الأسرار

جهاز الأمن السودانى

الفترة من ١٩٦٩م - ١٩٨٥م

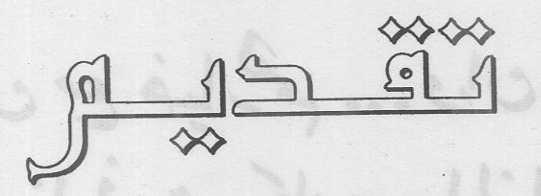
بقلم : عميد أمن (م) محمد عبد العزيز
عقيد أمن (م) هاشم عثمان أبورنات

الفهرس

الطبعة الأولى

١٩٩٣م

الإشراف الفني : طارق أحمد أبوبكر



إلى كل السودانيين ..

ونحن مع خيارهم ... وإن خدمنا

بلادنا في عهد كان الخيار فيه

واحدًا .. فنحن منكم وبكم ولكم

نستشعر مشاعركم ونتقاسم معكم

المعاناة

إلى كل حافظ لسره ..

هذه دعوة لتوثقوا الأسرار من

أجل علم الأجيال القادمة ..

حتى لا تتكرر الأخطاء

لقد سلمته السودان دولة

فسلمها الى ملف ...

مقدمة

" الساكت عن الحق

شيطان أخرس "

لما كان من النادر أن يكتب رجل المخابرات الى عامة الناس ، لأنه تعود أن يكتب الى السلطة التقارير السرية التي عادة تبدأ بالعبارات " **محظور** " " **سرى** " " **سرى جداً** " " **سرى للغاية** " " **سرى للغايه وشخصى** " " **لا يفتح الا بواسطته** " الخ تلك العبارات التى تحظر لغير السلطة أن يطلع عليها .. لذا لابد أن يكون الدافع الى الكتابة قوياً وهاماً .

درج الناس الى التعامل مع قضايا الأمن والتخابر بعقليات متباينة تباين الزوايا السياسية التى يطلون منها على الموضوع . تباين المنظار الذى يرون من خلاله .

إعتاد الناس أن يلبسوا أجهزة الأمن ثوب السرية المطلقة بحيث لا يتناولون قضاياه امام عامة الناس ، حتى فى أضيق المجالات لا يتبادلونها إلا بعد الالتفات يمنة ويسرة .

إتسمت الفتره منذ عام ١٩٦٩ ـ ١٩٨٥ بأنها من الفترات الهامة فى حياة السودان السياسية . نظام مايو الذى جاء وأنشأ مجرد مجيئه جهازاً أمنياً جديداً سرعان ما شب وقوى ساعده وأثر فى حياة الناس .. تطورت الأجهزة الأمنية الأخرى فى مجاراة الجهاز الوليد حتى تضخمت جميعاً .. وكان لذلك إفرازات شتى على جمهور شعبنا ووطننا .

يقول كثير من الناس أن نظام مايو حكم البلاد من خلال الأجهزة الأمنية ، وسيطرت الأجهزة الأمنية على كل مناحى الحياة السياسية ، الاجتماعية والاقتصادية .

يقول البعض أن الأجهزة الأمنية وبخاصة جهاز أمن الدولة فى أخريات ايام النظام سيطر بل تغول على معظم عمل المؤسسات الأخرى التنفيذيه . مثل عمل المجالس المحلية وعمل الشرطة وجباية الضرائب وعمل وزارة التجارة .. الخ مما جعله ينحرف عن عمله الأساسى من جهاز معلومات إستشارى الى جهاز تنفيذى مبغوض .

لقد سجلنا بعض ملاحظتنا هذه ونحن ما زلنا فى الخدمة وإكملناها أبان إعتقالنا .. فكانت هذا الكتاب الذى نضعه امام شعب السودان خاصة والشعب العربى عامة .

لقد حاولنا أن نذكر حقائق مجردة ، بعيدة عن المحاباه والغرض ودون خوف أو تردد ، دون ضغط أو إكراه ، نسجلها بكل الأمانة التاريخية ، نسجلها للتاريخ بكل أمانة التسجيل والكشف ، نسجلها حقائق مجردة لأن بعض الجهات كانت قد إستغلت صمت العناصر الأمنية التى سيطرت عليها عقلية العمل والقوانين المانعة والمقيدة بالابتعاد عن الكتابة والتوضيح للجمهور ، فراحت تلك الجهات تنسج قصصاً وروايات ليست أقرب الى الخيال فحسب بل هى من الخيال ومن الحقيقه مجردة .. ساعد على قبول ذلك غياب علم المواطن السودانى الكريم عن دور ومهام أجهزة الأمن .

لذا كان الدافع لكتابة لهذا الكتاب .

إننا لا ندافع عن أعضاء جهاز الأمن ولا ندفع عنهم ظلماً وقع ، إنما نسعى لتوضيح الحقيقة ونسوق المواقف والاحداث ونخضعها للتقويم والتمحيص الأمنى الامين وكيف كان يمكن تفادى أخطار كانت حادقة بالوطن .. كان جهاز الأمن السودانى (أمن الدولة) يقوم بكل ذلك فى كفاءة وإقتدار وفى وطنيه صادقة مجردة .. إلا من ذلك البعض الذى إنحرف وأساء الى نفسه وعمله ووطنه .

ربما تساءل البعض لماذا هذا الكتاب فى هذا الوقت ، اين كنا طيلة الفترة السابقة ، فنقول مشغوليات الحياة والمرض وجهد البحث لتكملة الصورة وضيق ذات اليد .

لكل ذلك نضع كتابنا هذا بين يدى القارىء الكريم .

وبالله التوفيق ،،،،

المؤلفان

لندن سبتمبر ١٩٩٣ م

الفصــــل الاول

- مفهوم الأمن .
- أجهزة الأمن
- الأمن على مر العهود والحكومات
- كيفية اختيار الضباط

مفهوم الأمن

هذه الكلمة ذات الخمسة أحرف ، يقف عندها الكثير ، ويقف عندها البعض مجرد سماعها ، فهى تعنى عند ذاك البعض اشياء تخيف ، وعند البعض الآخر كلمة استفزازية يقشعر منها البدن ، وعند آخرين تحمل ذكريات شتى ، الحرمان من الحرية ، الحرمان من الكتابة بحرية ، الحرمان من التفكير بحرية ، الحرمان والقيود لكثير من السلوكيات الشخصية . هذا عندنا بصفة عامة فى ما يسمى بدول العالم الثالث ، بينما هى الأمان والطمأنينة فى المجتمعات الغربية ، لا يخاف منها الا من يخالف القانون والنظام ، بل هى تعنى للفرد فى المجتمعات المستقرة مزيداً من الأمان له .

فالكلمة تعنى لغة الآمان والطمأنينة قال سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله الكريم فى سورة قريش الآية (٤) "الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" وقال تعالى ايضاً فى سورة ابراهيم الآية (٣٥) "واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام" وفى سورة يوسف الاية (٦٩) قال تعالى : "فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين." صدق الله العظيم .

فالامان والطمأنينة مرتبطتان دوماً بتأمين الحياة من غذاء وكساء وراحة واستقرار . فاذا تحققت حاجات الجسد المادية يبقى إرضاؤه من الناحية النفسية ، اذاً فالأمان حالة نفسية يحتاجها البشر لتكتمل عندها السعادة الكاملة والا أصبحت الحالة غير مستوية حيث اذا اكتملت للفرد حاجاته المادية من تأمين المسكن والمأكل والمشرب وانعدمت لديه مقومات تأمين الحالة النفسية ، فتصبح سعادته ناقصة ويحتاج الى من يؤمنها له. فالحياة لا تستقيم الا باكتمال عنصرها المادى والنفسى . فاذا نظرنا للمجتمعات نرى ان اختلال العنصر المادى " الفقر " يؤدى الى زيادة الجريمة فينعدم الامان . وهكذا كانت الحاجة الى القانون لئلا يتعدى القوى على

الضعيف فجاءت الحاجة الى تقويم القانون من محاكم وقضاء وشرطة لحماية القانون وتنفيذه .

الامن بالسودان

لقد عرفت المجتمعات القبلية كيف تحمى نفسها من غارات وغزوات القبائل الاخرى ، كانت تجند شبابها للدفاع عنها وانتقت لنفسها ضربات طبل خاصة لتعلن بها افرادها استعداداً لصد أى مكروه . فكانت المحافظة على رئيس القبيلة او كبيرها هو المعيار لقوة القبيلة وتماسكها وبقائها . لذا كانت الحاجة أيضاً الى معرفة مجتمع العدو وامكاناته ونواياه . فكانت الحاجة لمعرفة ما يجرى وما يدور في معسكر الطرف الآخر إبان الحرب والسلم.
هكذا كانت حاجة المجتمعات التقليدية للأمن والأمان وبالكاد اصبحت الحاجة اكثر عند قيام الحكومات والدول .
عرفت الحكومات التىتفرض نفسها على شعوبها انها بحاجة أكثر لمعرفة نشاط المناوئين لها ، لان كل سلطة تفرض نفسها تجد معارضة ومقاومة بنفس قوة فرضها . فتلجأ تلك السلطة لاتخاذ التحوطات لحماية كيانها ، اما الحكومات التى تجىء برغبة شعوبها فهى ليست بحاجة لاتخاذ تلك التدابير لأنها جاءت باغلبية الشعب . والاقليه التى لا ترضيها قرارات حكومتها تقول رأيها بوضوح وبأسلوب مسموح به . هذا ما كان من تعريف للأمن فى العصر القديم والحديث .

الأمن أيام الحكم الاستعمارى

منذ منتصف العشرينات وبداية الثلاثينات من هذا القرن ، كانت قد تبلورت فى السودان فكرة فصل الجنوب عن الشمال ، وصيغت المبررات اللازمة لاتباع مثل تلك السياسة . وهنا تحركت القوى الوطنية فى الشمال لمقاومة هذا الاتجاه الذى بدأ بحركة اللواء الأبيض . كان ذلك بمثابة الضوء الأحمر الذى أشار الى نمو الروح الوطنية لدى المواطنين مما حدا بالادارة البريطانية لاتخاذ الحيطة والحذر من انتشار هذا الوعى الوطنى .

وكان خوف الادارة البريطانية من هذا الوعى الوطنى المبكر هو ان قيادة الحركة الوطنية كانت فى أيدى المستنيرين من السودانين ، كما ارتبطت الحركة الوطنية ارتباطا وثيقا بازدهار ونمو الوعى القومى بمصر . وهكذا لم يفزع الوعى الوطنى بالشمال المتحالف مع مصر الادارة البريطانية فحسب ، بل كان يشكل خطراً عليها فى واقع الامر ، ولما اضحى الوضع السياسى فى السودان مرتبطا أوثق ارتباط بالقضية المصرية فما كان من الادارة البريطانية الا احباط كل محاولة لارتباط السودان بمصر مستقبلا ، على هذا الاساس اصبحت الحكومة تمالى الجماعات والزعماء القبليين الذين رغبوا فى فصل السودان عن مصر ، كما لم توافق اطلاقا على ربط مستقبل الجنوب بالشمال .

دعت الحالة هذه الادارة البريطانية ، ان تعمل على احباط كل محاولة للارتباط بمصر ، ولذا فقد قامت بانشاء ادارة صغيرة فى مكتب السكرتير الادارى " وزارة الداخلية " مهمتها تتبع ذلك النشاط ورصده والعمل على الحد منه وسمتها بقلم المخابرات . تطورت تلك الادارة لتصبح مهامها أكبر من رصد ذلك النشاط فى غابر الايام حيث قام مؤتمر الخريجين واصبحت له مطالب أكبر من ارتباطه بمصر كمطالبته بتقرير المصير ، وفيما يتعلق بعلاقة الشمال بالجنوب طالب المؤتمر بتوحيد مناهج التعليم بين االشمال وَالجنوب وفتح مزيدٍ من المدارس بالشمال .

كانت من مهام تلك الادارة محاربة النشاط الشيوعى ، والذى كان يشار اليه بالنشاط الهدام ، وهكذا سمى المكتب بالقسم المخصوص وأُلحق بكل وحدات الشرطة بالبلاد .
كما أسلفنا فقد كانت الادارة البريطانية تخشى من تزايد الارتباط بمصر ، وتقارب الشمال والجنوب ، لذا كان يهمهم معرفة ما يدور فى المجتمع خاصة الذين يزكّون هذا النشاط .. وعليه أصبح واجب القسم المخصوص هو متابعة ورصد كل نشاط سياسى مناوىء لسياسة الحكومة .. اعتاد ذلك القسم ان يرفع تقريراً يومياً للحكومة يشمل نشاط الدوائر السياسية .. نشاط الطلاب .. نشاط العمال .. المزارعين .. الموظفين والتجار والنشاط الدينى عموما ، وما يدور وسط طائفتى الانصار والختمية .. ثم نشاط الجاليات الأجنبية فى البلاد ، اضافة الى تلك الحوادث المؤثرة على الامن ، كانت هذه عادة الجرائم التى تهز المجتمع او لها اثر سياسى كحادث أول مارس ١٩٥٤ او حادث المولد ١٩٥٩.
أُوكل للشرطة القيام بعمل القسم المخصوص فكان من يعمل من رجال الشرطة به لا يرتدى زى الشرطة أثناء قيامه بمتابعة هذا النشاط السياسى ، سمى رجل الشارع رجل البوليس السياسى بالبوليس السرى او بوليس الجلابية ، وكان لا يفرق بين بوليس المباحث والبوليس السياسى .
كان رجل البوليس السرى يقوم بتتبع الجريمه وتعقب المجرمين لمنعهم من ارتكاب جريمة او كشفهم بعد إرتكابها للقبض عليهم ، كانت هناك بعض الجرائم الغامضه التى تتطلب بحثا خاصا ، فكانت هذه مهمة البوليس السرى ، وفى ذات الوقت اقتضت السرية عمل البحث السياسى ، إلا أن الجمهور أطلق على كلا العاملين بوليس الجلابية او البوليس السرى ، وقبل ان نسترسل كان لابد من معرفة لفظة البوليس السرى هذه .. كان الجمهور يهمه ان يعرف " عدوه " فإذا ما اكتشف أمر اى من البوليس السرى حتى فضح أمره للجميع ، وفى ذلك قصة منديل رجل البوليس المشهورة ، حيث كانت تمنح لرجال البوليس مناديل بلون أحمر وأصفر ، كانت تمنح لرجال البوليس فقط ضمن ملبوساته ومهماته ، وكان البوليس يستعمل هذا المنديل استعمالاً شخصياً ، وكان المنديل كبيراً

فى حجمه ، فكان البوليس السرى يضطر أحياناً الى استعماله بين الجمهور وهو فى زيه المدنى ، وهذا ما كان يلفت النظر اليه ، والذى اصبح مجال تندر ومدعاة للضحك والسخرية ، كيف يحاول البوليس ان يتخفى بعدم لبسه الزى الرسمى ويستعمل ما يميزه ويوضح حقيقته ، لكن كان رجال الشرطة الذين يقضون وقت راحتهم يستعملون نفس المنديل ، فلم يكن المنديل للبوليس السرى فقط، والا ماكان لهم ان يستعملوه . فى البداية كان عمل القسم المخصوص يقوم به رجال المباحث ، الا انه فى قابل الايام فصلت القوتين وأصبح لكل قوة رجالها .

استمر الحال حتى ايام تقرير المصير ، حيث كان الوعى الوطنى قد تزايد واضحت الندوات تنتظم البلاد ، وأصبحت ندوات نادى الخريجين تجذب اكثر السودانيين ، كذلك ندوات الأدب والشعر للأبروفيين والهاشماب .

كانت البلاد تخطو نحو الاستقلال حين صعقت بخبر تمرد الجنوب عام ١٩٥٥ ، وكانت اوجع ضربة يعرفها السودان فى تاريخه الحديث ، لانريد الخوض فى أسباب التمرد فى هذا الموقع ، الا انه كان مفاجئا للجميع . وكان صدمة عنيفه ، حيث لم يكن معروفا بعد أن للجنوب قضية ، كان الامتعاض شديداً حين علم عن الكيفية التى قُتل بها الشماليين واسرهم حتى الاطفال .

كانت الحالة قد استدعت قيام عمل استخبارى جيد، وهكذا أُلحقت وحدة أمنية بكل رئاسة شرطة ، بكل المديريات وكانت تسمى كما أسلفنا بالقسم المخصوص ، وألحقت وحدات إستخبارية بكل حاميات الجيش ، تحوطا لمثل تلك المفآجات . هذا ما حدا بوزارة الداخلية أن تلحق بعض ضباطها لدى الدول المجاورة لها مع الجنوب ، مثل يوغندا ، كينيا ، واثيوبيا، حيث أُنشات قنصليات بكل من كمبالا ، نيروبى وقمبيلا. لرصد النشاط الكنسى بتلك البلاد ، على وجه الخصوص .

نشاة جهاز الأمن العام

تبلورت الحاجة للأمن مع مطلع الاستقلال ، وعليه فقد أنشات وزارة الداخلية إدارة خاصة للأمن سُميت "ادارة الامن الداخلى" وأخرى "إدارة الامن الخارجى" ككل الدول الحديثة ، خاصة والسودان حديث عهد بالاستقلال ، والهدف هو المحافظة على كيان الدولة من أطماع الطامعين ، وكشف أى نشاط يهدد مسيرة الدولة الحديثة الاستقلال خاصة والجنوب لم يستقر بعد .

الأمن وحكومة عبود العسكريه

نشط الجنوبيون إبان حكومة عبود العسكرية ، وبالتالى نشط العمل الاستخبارى لمتابعة النشاط المناوىء وعندما ضاق الخناق على الجنوبيين لجأؤا الى الدول المجاورة ، ونتيجة لتضييق الخناق على الشعب كله تفجر الموقف تجاه الحكومة العسكرية مؤديا الى ثورة أكتوبر الشعبية ، للتخلص من حكومة عبود .

لقد كان الحكم العسكرى يرفض ان يعترف ان للجنوب قضية ، مما جعل الدول الاجنبية والمنظمات الكنسية العالمية بعد طرد القساوسه من الجنوب تنشط لمساعدة ما أسمته باضطهاد الاقلية المسيحية فى جنوب السودان .

برزت لأول مرة كراهية الشعب لعناصر الأمن ، إبان الحكم العسكرى حيث أدت المواجهة العنيفة بين قوات الامن وطلاب جامعة الخرطوم على وجه الخصوص ، الى مقتل الشهيد القرشى فى حرم الجامعة وإشعال نار الثورة الشعبية التى أدت الى نهاية الحكم العسكرى .

الامن فى حكومة سر الختم الخليفه

إبان حكومة سر الختم الخليفه ، كان قد تبلور بصورة واضحة أهمية الأمن ووزارة الداخليه بصفتها القابض على زمام الامن الداخلى . فاسندت وزارة الداخليه الى أحد زعامات الجنوب الذين يحملون رأياً واضحاً تجاه قضية الجنوب ، هو السيد كلمنت امبورو ، فى إسناد وزارة الداخلية لأحد عناصر الجنوب تعنى الكثير حيث كان الجنوبيون هم عنصر عدم استقرار الأمن ، لكنها كانت إحدى ارضاءات المرحلة ، وكانت أصعب فترات عمل وزارة الداخلية .
وجاء نظام مايو الى الحكم ، وأسباب مجيئه معروفة الا أننا نوجزها هنا لمنفعة القارىء الكريم ، رغم المدة القصيرة التى خرجت بها البلاد من حكم عسكرى كمم الافواه وصادر الحريات وطارد المواطنين .

أسباب قيام نظام مايو ١٩٦٩

الاسباب غير المباشرة

١- انتخاب رئيس دائم لمجلس السياده أغضب الأعضاء المشاركين فى السلطه ، حيث وضح أن الأمر فى النهاية إقتسام السلطة بين الحزبين المؤتلفين فقط.
٢- هدد الحزب الشيوعى الاحزاب التقليدية ، بفوزه ب ٦٦٪ من مقاعد دوائر الخريجين (١٠ مقاعد من أصل ١٥ مقعداً)
تفجر الموقف ضد الشيوعين عقب ندوة معهد المعلمين العالى الذى إعتبر ما ذكره الطالب فى تلك الندوة عن حادث الإفك

تقويضاً لكيان المجتمع الاسلامى ، خرجت المظاهرات والمواكب لتدين الفكر الشيوعى وتجرم الحزب وتدين تأثيره على فكر الناشئة .

٣- قرار الجمعية التأسيسية طرد أعضاء الحزب الشيوعى منها.

٤ - إجازة الجمعية التأسيسية قراراً يقضى بتعديل الدستور فى باب الحقوق والحريات بتحريم الترويج للشيوعية والالحاد ، او عدم الإعتقاد فى الأديان السماوية .

٥ - رفض الجمعية التأسيسة للامتثال لقرار المحكمة ببطلان قرارها بطرد اعضاء الحزب الشيوعى وكذلك رفض الجمعيه لحكم المحكمة العليا لعدم دستورية القرار .

٦. قرار مجلس السيادة بألا تجرى الإنتخابات للجمعية بالجنوب لظروفه ، رغم ذلك القرار جاء ٢١عضوا من الشماليين كفائزين بالتزكية ، حين أعترض على قبولهم ، رفع الأمر للمحكمه العليا التى أقرت بصحة قبولهم ، وقبلت الجمعية هنا بقرار المحكمة ، وكان الجنوبيون يرون ان قبول هؤلاء الأعضاء ، لم تكن مسألة تتعلق بالقانون بقدر ما كانت مسألة سياسية .

الاسباب المباشرة ،

١ - الديمقراطية - والمعـــانــاة :

الخلاف داخل حزب الامه باصرار السيد الصادق المهدى دخول الجمعية التأسيسية بعد بلوغه الثلاثين من العمر ليكون رئيساً للوزراء بدلا عن السيد محمد احمد محجوب ، تفجر الخلاف بين الصادق والمحجوب فى البداية وأدى فى النهاية الى خلاف داخل بيت المهدى بين السيد الصادق المهدى وعمه الامام الهادى المهدى ، انعكس ذلك على الحزب المشارك فى السلطة باتخاذ شريك تسهل المعاملة معه مما عمق الخلاف .

تكتلت الأحزاب ، الأزهرى والصادق أولا ، ثم الأزهرى والمحجوب ، الصادق وجبهة الميثاق الاسلامى ، والشيوعين .

٢ - محاولة السيد الصادق لاسقاط الحكومة التى كانت تسمى

بحكومة الإئتلاف ، كاد أن يفلح لولا قرار الازهرى بصفته رئيساً لمجلس السيادة بحل الجمعية التأسيسية.

٣ - قرار الحل لم يكن دستوريا اذ تقول الماده ٥٣ / أ من الدستور المؤقت :

" تستمر الجمعية التأسيسة لمدة سنتين من بداية اول انعقاد لها ولا يجوز حلها . " حاول الازهرى وجناح الامام ايجاد طريقة لحل الجمعية وذلك بالايحاء لعدد من الأعضاء بتقديم إستقالاتهم ، لتنتفى الماده ١٦ /أ من الدستور التى تقرأ : -

" يبت في كل المواضيع لأخذ قرار منها فى الجمعية التأسيسية بأغلبية الحاضرين ، الذين يشتركون في التصويت إلا فى حالة اجازة الدستور الدائم فيبت فيها بأغلبية ثلثى الأعضاء .

رغم أن الصادق المهدى كان معزولا عن الشارع ، حيث كان يسيطر عليه تجمع الائتلاف (الازهرى ـ الامام) ودعم الشيوعيين والختمية (كل يبقى مصلحته) خرج الشارع ليقول للأزهرى لقد خرقت الدستور . وجاءت الكاريكاتيرات تعبر عن " أبو الظهور خرق الدستور . "

٤ - السيد الصادق المهدى يلجأ الى المحكمة العليا بعد فض الجمعية التأسيسة ويكتب خطابا الى القائد العام للقوات المسلحة لاستلام السلطة حتى ينصلح الحال .!!!

٥ - إجراء إنتخابات جديدة تؤدى الى سقوط السيد الصادق المهدى ودخول السيد عبد الخالق محجوب عن الشيوعيين .

٦- أصابت الجماهير خيبة أمل جديده فى الديمقراطية إذ كانت تسير عرجاء ، وسعت جبهة الميثاق الإسلامى وحزب الامه جناح الصادق لإجازة الدستور الإسلامى ، الذى كان يعارضه تجمع اليسار والجنوبيون .

وهكذا كان الموقف يحمل فى جوفه أسباب التمزق والضعف مما يغرى كل مغامر بالقفز على المسرح .

نشأة جهاز الأمن القومى

نشأ جهاز الامن القومي فى أواخر عام ١٩٦٩ تحت اشراف الرائد مامون عوض ابوزيد عضو مجلس الثورة آنذاك والضابط السابق بالاستخبارات العسكرية . ويشهد كل المقربين من الرائد مامون عوض أبوزيد انه شخصاً ممتازاً ، واعياً على درجة عالية من الفهم لواجبات الأمن القومى ، كما أنه كان سودانياً أصيلاً من الدرجة الأولى او كما يقولون " أُم درماني أصيل " . قد نشأ الجهاز طفلا وليداً لفرع الاستخبارات العسكربة "حتى المناضد والكراسى والدواليب كانت قد أُستلفت فى المرحلة الأولى من الإستخبارات العسكرية . وتم تغذية جهاز الأمن القومى بضباط من الاستخبارات العسكرية ، هم على عبد الرحمن النميرى " لا يمت بصلة للرئيس السابق جعفر نميرى " .. كمال الطاهر حجر .. ابوبكر حسن بشاره .. سيف الدين حمد النيل .. المرحوم سيد المبارك .. العم فرح .. المرحوم عثمان حاج الطاهر .. حمزه قاسم .. عبد المنعم برى .. محجوب كيكى .. وآخرين لم نعاصرهم عند انضمامنا للجهاز . بدأ الرائد مامون عوض ابوزيد فى إختيار عناصر مدنية ذات خبرة تستطيع أن تساهم فى مجال الأمن القومى للوطن . كانت الترشيحات تتم حسب المعرفة الشخصية لرئيس وأعضاء مجلس الثورة ، الذين كوَّنوا الكادر القيادى للجهاز ، حيث كانت للبعض ولاءات خاصه لاعضاء مجلس الثورة ، لم يكن فى الحسبان ان الجهاز فى تلك الفترة سيدخل فى صراعات التغيير السياسى ، كان معروفا فى تلك الحقبه ان مايو قد احتواها الحزب الشيوعى ، وبالتالى تغلغل الفكر اليسارى داخل معظم التنظيمات والمؤسسات الحكومية كما تغلغل داخل القوات النظامية والامن .

لقد إعتبر الشيوعيون ان جهاز الامن القومى هو جهازهم الخاص وبالتالى بدأوا تغذيته بكوادرهم الحزبية . وصل الامر ان الخبراء الروس اصبحوا جزءا من تنظيم الجهاز واصبحوا يشتركون فى اتخاذ كل القرارات الكبيرة .

ومن الملاحظات فى تلك الفترة أن الإلتحاق بالجهاز كان يتم عبر وثيقة يتم ملؤها بمعرفة الشخص المتقدم للعمل بجهاز الامن القومى ، حيث كانت هناك بعض الاسئلة توضع للمتقدم لمعرفة ميوله السياسية ، وكان الشيوعيون يجاوبون على هذا السؤال بكلمة " شيوعى متفرغ " او " شيوعى " التى كانت مدخلا للتعيين فى العمل بالجهاز فأصبح بعضهم يكتبها دون أن يكون من أصحاب الفكر الشيوعى أو حتى عضواً بالحزب .

إكتسب جهاز الأمن القومى أول بداية نشاطه سمعة سيئة وذلك لثلاثة أسباب رئيسية .أولها ، هيمنة الروس على الجهاز خلقت منه كادراً يؤمن فقط ..الحرية لنا ، وليست لغيرنا ..ماذا سنفقد ، البيئة التى ينتمى إليها المدرب الأجنبى تختلف عن البيئة السودانية .. ثانيها .. الحماس المندفع لغرس الشيوعية ومفاهيمها فى مجتمع شبه متخلف .. وبرجوازى بمفاهيمهم .. وبسرعة ، جعلتهم يلجأون الى اسلوب التطهير ، بابعاد العناصر التى لا يرغبون فى استمرارها ، لعرقلة مسيرتهم من المدنيين والعسكريين بتهمة الرجعية والبرجوازية ، وعبدة البروقراطية ، ثالثها ، إنتهازية الظروف التى كانت تمر بها البلاد ، بإدعاء الثورية النضالية .

.. هكذا ارتبطت تلك الممارسة بتلك الظروف التى أشرنا اليها داخل الجهاز ، وكانت الموازنة بين الولاء للحزب ، والجهاز ، وعليه فان التصفية لم تتم بطريقة مباشرة الا للافراد الواضح انتماؤهم للحزب الشيوعى والذين تحركوا مباشرة مع حركة هاشم العطا ، وتلك التصفية كانت غير مباشرة لسبب منطقى هو ان الشيوعيين انفسهم كانوا منشقين ، كما أن بعضهم كان مبعداً من الحزب بينما كانت هناك شريحة غير راضية عن الاستيلاء على السلطه بتلك الصورة التى اقدم عليها الرائد هاشم العطا ، سبب آخر هو ان ثورة مايو نفسها كانت قد ضربت الشيوعيين ولم تكن قد اعلنت تخليها عن الخط الاشتراكى الذى كانت غارقة فيه بكل تنظيماتها ، حتى ذلك الوقت إستمر مصيرها مرتبطاً بالمعسكر الشرقى رغم ان المعسكرالشرقى قد وقف موقفاً عدائياً عنيفاً تجاه اعدام هاشم العطا ورفاقه وزعيم الحزب الشيوعى وقائد

الحركة العمالية ، فعلا بدأ تدريجيا التخلص من الشيوعيين وأنصارهم من الجهاز ووضعت استراتيجية جديده لعمل الجهاز مكنته من أن يتخذ الأمن القومى للبلاد هدفاً له ، كما ان حماية ثورة مايو كانت من استراتيجياته .
لقد تعاقب على رئاسة الجهاز بعد الرائد مامون عوض ابوزيد عضو مجلس الثورة ، المرحوم الرشيد نور الدين والذى كان احد اعضاء تنظيم الضباط الاحرار البارزين "الدستوريين" ثم الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم عضو مجلس الثورة ثم الرائد على عبد الرحمن النميرى الذى كان عضوا بالجهاز ومساعدا للملحق العسكرى بموسكو فى الاتحاد السوفيتى . وكانت من دوافع تعاقب رؤساء الجهاز هو تغيير استراتيجيته .

كيفية اختيار الضباط للعمل بجهاز الامن القومى

عند قيام ثورة مايو ، كنا (١) طلبة بالكلية الحربية ، وكان القائد العام وقتها هو المرحوم الفريق الخواض محمد احمد ، المعروف عنه انه كان رجلاً صعباً ، ودقيقاً ، كان المطلوب للدخول الى الكليه وقتها (١٥٠ طالبا) رصدت لها وزارة الدفاع الميزانية اللازمة ، نتيجة للدقة التى طالب بها القائد العام لم يجتاز المعاينات الا (٦٢) فقط رغم الحاجة الشديدة الى كادر ضباط برتبة الملازم للمساعدة فى العمليات الحربية . كانت الدقة تشمل الامتحان والمعاينات والكشف الطبى

---

(١) العقيد / هاشم ابورنات

ومقابلة القائد العام وبالتالى لم يقبل من المتقدمين الذين كانوا حوالى الف وخمسمائه إلا ثلاثة وستين بدلا من مائة وخمسين كان المفروض ان يدخلوا الكلية . واتذكر ان الكشف الطبى كان دقيقا لدرجة ان بعضهم قد تم استبعاده من القبول بالكلية بسبب الاصابة فى الجيوب الأنفية ، وقد علق أحد الأصدقاء الظرفاء الذى تم استبعاده لهذا السبب " **بالله هم عاوزين ضباط لمصنع الريحه** "

واثناء تدريبنا بالكلية الحربية ، يبدو أن مايو وقادتها صنفتنا منذ أول يوم تم اختيارنا فيه ، على أساس أننا من جماعات الأحزاب وبالتالى عند تخرجنا كضباط لم يكن لنا نصيب وافر من العمل فى الوحدات التى تسند ثورة مايو كالمدرعات والمظلات وتم نقل ضابط واحد من دفعتنا للمدرعات لقرابته باحد اعضاء مجلس الثوره ، ولكنه لم يكن سعيدا بهذا النقل . كما كان مقررا منذ زمن الأحزاب توزيعنا فى أرجاء السودان المختلفه وكان نصيب الخرطوم ستة ضباط فقط ، خمسة منهم فى الاستخبارات العسكرية، تم ايفادهم الى الاتحاد السوفيتى كمبعوثين هناك .

كانت فترة العمل التى قضيتها منذ الشهر الاول لتعيينى ضابطا بالقوات المسلحه بجنوب السودان وحتى رتبة النقيب ، تخللتها فترة عمل بخط المواجهة بقناة السويس ، شملت هذه الفترة العمليات فى جنوب السودان وفترة تنفيذ إتفاقية أديس أبابا وكانت فترة العمل فى الجنوب فترة ثرة جميلة امتلأت بالخبرة فى المجال العسكرى والاجتماعى وتداخلت فبها فترة تنفيذ أتفاقية أديس أبابا التى كانت مزيجاً من العمل العسكرى والإدارى والسياسى ، وأذكر من الذين زاملتهم فى تلك الفترة وأصبح لهم شأن فيما بعد .. الملازم بنسون كوانج ، النقيب وليم عبد الله شول ، النقيب وليم نون والنقيب جون قرنق دى مابيور ، وساتعرض لهذه الفترة فى مكان غير هذا .

أعود الى موضوع إنضمامى لجهاز الامن القومى ، عندما كنا ضباطاً بالجيش وفى جلساتنا الخاصه كان انتقادنا منصبا دائما على جهتين داخل تنظيم ثورة مايو الحاكم ، الاتحاد الاشتراكى والامن القومى .. وكنا نظن ان الامن القومى به

افراد منتشرون فى كل ركن من ارض السودان ، ويشمل ذلك الرجال والنساء معظمهم من السفهاء والذين يستقلون أوضاعهم لزعزعة استقرار الناس وابتزاز أموالهم ، بل إننى كنت أشاهد أشخاصاً كثيرين يدَّعون الأهمية ويشير اليهم آخرون فى همس انهم من كوادر الامن القومى .. تم نقلى من جنوب السودان الى شرقه "الى مدينة بورتسودان" كان لابد أن أعبر عن طريق الخرطوم .. فى الخرطوم دعانى صديق الى مائدة افطار بمنزله وكان يوم جمعة ، وصادف ان قابلت فى تلك المائدة احد الضباط القياديين بجهاز الامن القومى ، الذى كان ظريفاً مهذباً ، محاوراً لبقاً لم أعلم عنه أنه مسئول بالأمن القومى إلا بعد ان اندمجنا فى الحديث وكانت فرصة لا تعوض ان أخبره بشعورنا نحو الأمن القومى ، لكنه كان مصراً أن العمل بالجهاز هو عمل نبيل ، وكنت مصراً ان العمل النبيل ربما كان فكرة الجهاز ، ولكن كوادره كيت وكيت .. وكذا وكذا وعليكم ان تختاروا عناصر نظيفة للعمل به . وعبثا حاول الرجل اقناعى لكنى تمسكت برأى مما دعاه الى انهاء الحديث فى أدب شديد ، لكن بغضب مكتوم بقوله ..

" **طيب ما تجو إنتو تصلحوه** "..

أنهيت حديثى مع ذلك الرجل وودعت صديقى وسافرت الى بوتسودان لأجد فيها مزيداً من رجال الأمن القومى يملأون على الناس حياتهم ازعاجاً بكل مرفق وبعد ستة أشهر تقريبا من عملى ببورتسودان وصلت برقية صغيرة من شئون الضباط بالشفرة " تقول ان جهاز الامن القومى فى حاجه الى ضباط من الجيش للعمل به ومن يرغب فى ذلك فليرسل إسمه " تقدم بعض الضباط بادراج اسمائهم .. وكنت واحداً من الذين كتبوا على ذيل البرقية "النقيب هاشم عثمان ابورنات يرغب" . حملت البرقيه العائدة بالرد أسماء الراغبين ، نسى الجميع الموضوع ومر عام كامل ذهبت خلاله للدراسة بكلية القادة والاركان لفرقة " أركانحرب صغرى " لاعود منها واتزوج ببورتسودان .

وفى يوم عقد قرانى وانا احلق مع الملائكة فرحاً جزلاً ، جاءنى العقيد بشرى احمد رحمه .. "اللواء أ.ح بحرى بشرى احمد رحمه فيما بعد" انتحى بى جانبا وقال لى .. زملاءك

بحامية بورتسودان يهنئونك وجمعوا لك هذا المبلغ . .. سلمنى ظرفاً به بعض المال وكشفا باسماء الضباط المشاركين ، ثم قال لى فى حرص شديد ، لقد وصلت برقية على درجة عالية من السرعة تتطلب سفرك للخرطوم فوراً والتبليغ لفرع شئون الضباط . سرت قشعريرة فى جسدى ، كان كل أقاربى فى الجيش من الذين هم ضد نظام مايو وتم أبعادهم جميعاً من الجيش عدا شخصى ، هل جاء دورى ؟ المهم تماسكت وقلت للسيد بشرى احمد رحمه ، **سيادتك الحقيقة الليله عقد قرانى وبعدها مفروض اسافر الى قرية عروسه لقضاء شهر العسل هل يمكن سيادتك توضح لهم الموقف عشان ابلغ بعد اسبوع** . وتفهم سيادته الموقف وقال **سافعل** . وتزوجت وقضيت اسبوعا مشوباً بالقلق .

ذهبت الى الخرطوم قابلت المرحوم اللواء أ. ح مبارك عبد الرحمن ام بلى الذى قدم لى فور مقابلتى له خطاباً وقرأت الخطاب وكان امراً جمهورياً موقعاً عليه من رئيس الجمهورية بنقلى من كشف القوات المسلحة الى كشف ضباط جهاز الامن القومى ، وجاءتنى التعليمات بالتبليغ فوراً ومعى صورة هذا الخطاب الى رئاسة جهاز الامن القومى بعمارات الخبراء الروس كما كانوا يسمونها . تلاحقت الاحداث أمامى سريعاً ، بالرغم من اننى لم يكن لدى مانع من العمل بهذا الجهاز الا أن الأمر كان سريعاً بالنسبة الىّ وذهبت فى نفس اليوم الى رئاسة الجهاز وهناك اوقفونى عند الاستقبال ولم اكن معتاداً كضابط جيش ان أُوقف عند البوابات ، لكن شخصاً يعمل بالاستقبال مهذب يرتدى الزى المدنى سألنى فشرحت له الموقف فقال بكل أدب" **تفضل سيادتك** " وأجلسنى على كرسى . ثم اتصل تلفونيا ثم قال لى **سيادتك السيد مدير الاداره فى انتظارك** . ورافقنى احد افراد الاستقبال حتى مكتب مدير الادارة وكان انذاك السيد العقيدعبد المنعم احمد برى ، احد أشجع ضباط الجيش السودانى والذى اصيب من جراء لغم فى وجهه تركت آثاراً باقية على وجهه . كان الرجل صارما للغاية ، استقبلنى بجفاوة وبعد ان أديت التحية العسكرية اجلسنى ثم سلمنى ورقة يسمونها الوثيقة تتكون من

حوالى الثلاثين صفحة طالبا منى ان املأها بخط يدى ، ولم أكن أعلم حينها ان تلك الوثيقة سوف تفحص فحصا دقيقا ، كلمة ، كلمة ، ويتم التأكد من معلوماتها بواسطة ما يسمونه بال cross checking ثم طلب منىان اذهب الى القاعة وأملأ الوثيقة على مهل ، وتسليمها بعد يومين كانت القاعة تقع خارج مبنى الجهاز الرئيسى هى وفرع الحسابات كنت ارى أمامى وأنا خارج من مكتب مدير الادارة امامى سيارات تخرج واخرى تدخل وأشخاص صامتون داخل هذه السيارات وآخرين يسيرون راجلين بينما جميع نوافذ هذه العمارات مغلقة ولم اشاهد احداً يطل من نوافذها ، كان منظراً مهيباً ، علامة تدل على النظام ، والنظام النسق ، عندما دلفت الى القاعه وجدت مجموعة من زملائى ضباط الجيش يجلسون وقام جميعهم للترحيب بى .. كنت أعرف بعضهم وعرفت الآخرين فيما بعد ، كان عدد الدفعه التى تم إختيارها من الجيش كان هى ثلاثة عشر ضابطاًبعد فحص استغرق أكثر من العام ، دون ان نكون عالمين به ، شاهدت الرائد مجدى مكى .. الرائد محمود الرائد احمد توفيق عبد الجواد .. العقيد الشيخ ابراهيم ..المقدم الفاتح عروه وانضم الينا فيما بعد العقيد عباس المدنى وآخرين سيتم ذكرهم كل فى مناسبته . ولقد علمت انه مطلوب منا أن نخضع لبعض التعليمات القاسية :

أولا .. ممنوع اقترابنا من مبانى الجهاز .

ثانيا .. لا يسمح لاى منا الاتصال باى شخص بالجهاز .

ثالثا .. يتصل بمدير الاداره فقط أقدم ضابط بيننا .

رابعا .. نقلع عن لبس الزى الرسمى .

خامسا .. ممنوع ان يذكر اى واحد منا لاهله واقاربه انه عضو بالجهاز .

واخيرا نحن لا نعرف اى شىء عن الأمن وتعتبر درجة أمننا حتى الان صفراً ، قللوا من اختلاطكم باصدقائكم القدامى. كانت هذه النقاط ذات اثارة شديدة لنا .. ماذا يظن هؤلاء المغفلون العاملون بهذا الجهاز عنا عندما يدعون ان درجة امننا صفراً ؟ نحن ضباط جيش ومسئولون عن تأمين البلاد ، ودرسنا دورات استخبارات بالكلية وبالمعاهد وفوق ذلك تم اختيارنا للجهاز ، يرد علينا السيد عبد المنعم ، **نعم ان**

درجة امنكم صفراً وستعرفون ذلك فى الوقت المناسب .. ان أصعب خطوة للعسكرى سواء كان ضابطا او جنديا هى لحظة التخلى عن ارتداء الزى العسكرى ، لان هذا الزى يحمل فى طياته ذكريات ومواقف لاتنسى للانسان طيلة عمره .. الجندية عمل يتسم بطابع الشرف والرجولة والمواقف الصعبة والايام الحرجة والايام الجميلة ، وكلها ذكريات ومواقف صعب جدا ان ينساها المرء. لقد كنا نرتدى هذا الزى منذ الرابعة صباحا وحتى بعد الظهر ، كانت اغلب ايامنا فى لحظات استعداد هى بالزى الرسمى بل اننا كنا فى جنوب السودان وفى فترة التمرد الاول لا نتنازل عن زينا طيلة العام فى بعض المناطق .. ولم نكن نعرف شكل ملابسنا المدنية . كيف يطلب منا ان نتخلى عنه بين يوم وليلة ..انه لعمرى امر صعب كان الامر المحير لنا كثيرا هو ، ماذا نقول لاهلنا واقاربنا ونحن ممنوعين ان نقول اننا ضباطا بالجهاز - كان الرد سريعا من مدير الادارة ، ستدعون انكم فى فترة دراسية طالما انتم بزيكم العسكرى ، وعندما ترتدون الزى المدنى .. سوف تقولون انكم فى فترة عمل بالقصر الجمهورى ..وعندما يتم تدريبكم امنيا سيكون لكل منكم "ساتره الامنى" لتغطية عمله .

قضينا اياماً فى المراحل التحضيرية بالجهاز ثم دخلنا فترة تدريبية لمدة شهرين شملت كل نواحى التدريب عرفنا تماما ان درجة امننا كانت صفرا حتى ولو كانت موجودة فان هذا التدريب كان ينقصها .. وفعلا كان لجهاز الامن الحق كل الحق فى ان يكون وجودنا خارج الجهاز وان يحفظنا بعيدا عن اماكن المعلومات .. فقد علمنا اننا حتى كضباط امن مؤهلين فلن يسمح لنا ان نطلع على كل أسرار الجهاز .. وان كل شخص منا سوف يعمل فى قسم معين وستكون معرفته الامنية وخبرته فى منطقة قسمه فقط وفى الموضوع الذى يتولاه .. بمعنى انه قد يكون لديك زميل فى نفس قسمك وصديقك صداقة عمر لكنه لن يطلعك على عمله ولن تطلعه على عملك .

تم توزيعنا على الاقسام وشاهدنا كيف كان افراد الجهاز حريصون على معلوماتهم ، كان كل شخص يقفل مكتبه آخر

النهار ويختمه بالشمع الاحمر وكانت هناك وحدة تسمى أمن الجهاز تتولى مراجعة اقفال الدواليب والخزائن والابواب وكابنت المفاتيح تحفظ فى خزينة خاصة ويتم التسليم والتسلم بحوافظ تسليم وتسلم .
كانت خطواتنا محسوبة وكنا نخضع للمراقبة الدقيقة كانوا يراقبوننا اكثر من ان يراقبوا المواطن العادى .. لم تكن المراقبة عبثا فقد كان على رأس هذا الجهاز فى فترة انضمامنا رجل كان يقلق مضجعه ان يستغل اى فرد من الجهاز موقعه ذلك .كان السيد على عبد الرحمن النميرى "الان سفير بوزارة الخارجيه" . كان يخشى ان يستغل افراد الجهاز مواقعهم وهو يعلم ان النفس البشرية قد تضعف و يعلم ان الجهاز يديره بشر يخطئون ويصيبون .. كان لايريد لنا ان ننعم فى المال فنطمع ،كان يريدنا ان نعيش حياة المواطن العادى حتى ننقل المعاناة اليه ، كان يحب ان نعمل بتجرد .. لذلك راقب سلوكنا واتجاهاتنا كثيرا .. وكنا نعلم تماما اننا يجب ان نخضع للسلوك القويم حتى ولو لم يرد احد منا ذلك .. كان الجهاز ، على رأسه رئيس يسعى لحل مشاكلنا ويساعدنا ان نعيش حياة معقولة بالرغم من حرصه بالمحافظة على ميزانية الدولة دون ان يرهقها ، كان معروف عن كل شخص دخله ومشاكله وبالتالى اصبح ممكنا ان يخضع للمساءلة اذا ما لوحظ انه يرتدى حذاءاً جديداً او قميصا جديدا مثلا... كانت القصة تبدأ بان يلاحظه قائده او مدير قسمه ثم يحول الامر لشعبة المراقبة ، وقد كانت ضرورية للآتى :
أولا .. ضمان سلوك الفرد الامنى.
ثانيا .. عدم تعرض افراد الجهاز للتجنيد فى اجهزة مخابرات أخرى أو أى عناصر أخرى .
وتحضرنى هذه القصة التى حدثت بالجهاز ، لاحظ مدير الادارة ان احد العاملين معه بدأ يلبس فى المساء جلاليب جديدة ونظيفة ومن اقمشة غالية الثمن ، نقل الامر لشعبة المراقبة والتى بدأت بمراقبته وكان اكبر الظن انه قد تم تجنيده اما بواسطة الروس او الامريكان ، استغرقت المراقبة شهرين بالتمام ولم تسفر عن شىء و أن هذا الرجل لا يغادر

منزله اطلاقا وزواره هم زملاءه فى الجهاز وتمت مراقبة زملائه دون جدوى واخيرا عادت المراقبة من جديد ، لفترة طويله ، اتضح انه تصرف ببيع بنزين اذ كانت كل عربات الجهاز تعمل فى ذلك الوقت بالبنزين العادى بينما هناك عربة واحدة تعمل بالسوبر وبالتالى كان مطلوبا من هذا الجندى ان يذهب من وقت لآخرالى المستودع لتعبئة براميل السوبر فانتهز الفرصة واصبح يبيع جزءا من هذا البنزين .

الاستخبارات العسكرية

ان جهاز الاستخبارات العسكرية ، جهاز غير معروف وسط المدنيين الا باسمه ، ولا توليه الجهات الأخرىأهمية ، بحكم ان مهمته تنحصر فى عمل استخبارات الجيش او استخبارات الميدان وهناك مهمة اخرى للاستخبارات لا يعلم بها كل الناس ولا يتداولونها ، حتى ان تداولوها فانهم يتناولونها كمهمة خاصة بالجيش وهى مهمة حماية القوات المسلحة من الاختراق . فهى كلمة فضفاضه تحمل فى طياتها مهام كثيرة ، من ضمنها مهمة حماية النظام الحاكم ، وبالطبع تختلف انواعها ، ولكن الاستخبارات العسكرية السودانية كانت توفر الحماية لكل هذه الأنظمة بأنواعها إلا الأنظمة ذات الحكم الديمقراطى ، فان توفير الحماية لها كان مشكوكاً فيه ، لنأخذ مثالا لذلك منذ الاستقلال .

١ ـ هل ساهمت الاستخبارات العسكرية فى كشف كل المحاولات الانقلابية منذ عهد عبود والى عهد مايو ؟

٢ ـ هل المحاولات الانقلابية التى جرت فى عهد الديمقراطية الاولى، الثانية والثالثة ، هل كشفت كلها ام جاء الكشف عن محاولات ضعيفة أدت الى نجاح المحاولات القوية والأكثر تنظيماً ؟

ان- جهاز الاستخبارات العسكرية ليس جهازاً عاجزاً .. فهو يتمتع بكفاءات عالية وله من الامكانات المادية ما يفوق امكانيات جهاز أمن الدولة مثلا ، لماذا نجد هذا الجهاز يخفق

فى كشف كثير من التحركات الانقلابية التى يتم كشفها بواسطة الاجهزه المدنيه مثل الامن القومى او الامن العام، لذلك اجابة:

ان فرع الاستخبارات العسكرية جهاز عسكرى بحت وطريقة تفكير أعضائه تميل الى الطريقة العسكرية حتى فى تحليلهم للأمور ونقاشهم وحوارهم وتجنيد مصادرهم، يتم غالبا داخل المجتمع العسكرى. بالتالى فان اى رأى عام عسكرى سيكون مؤثراً فى المقام الاول على تفكيرهم كعسكريين، وبالرغم من ان هناك مجموعة من افراد وضباط الاستخبارات يتمتع بوعى سياسى واجتماعى كامل الا اننا نجد ان طريقة التعامل مع التقارير يحكمها الإنضباط العسكرى، فى النهاية فان هذه التقارير ترفع لمن هو أعلى من مدير الإستخبارات، وهو فى هذه الحالة اما مدير العمليات او رئيس الاركان او حتى القائد العام: بالتالى فان التقييم العسكرى للأمور هو الكفة الراجحة. وعلى سبيل المثال لا الحصر فان المحاولات الانقلابية التى كشفتها الاستخبارات فى عهد الفريق عبود وفى عهد المشير جعفر محمد نميرى وفى عهد المشير سوار الدهب وقارناها بالمحاولات التى جرت فى عهد الديمقراطية سنجد ان الاستخبارات العسكرية قد استنصرت الحكومات العسكرية على حكومات النظام الديمقراطي.

ان أجهزة الأمن الأخرى، الامن القومى، أمن الدولة، الأمن العام والبوليس بمباحثه كلها لها يد فى إستتباب الأنظمة ذات الطابع العسكرى، طابع الحزب الواحد ذى الحكام العسكريين ولكن اى منها لم يؤد خدمة لهذه الانظمة كما أدته الاستخبارات العسكرية، فى المقابل فاننا نجد فى تلك الأجهزة وطنيين حوكموا وتم إبعادهم لانهم عملوا فى تنظيمات معادية لتلك الحكومات سراً، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد:

١ - أن الاستخبارات العسكرية لم تساهم فى ثورة أكتوبر وأن الشعب بمساعدة بعض الضباط قد ساهم فى انجاح هتلك الثورة.

٢ - أن الإستخبارات العسكرية ساهمت فى إعتقال الضباط الذين قاموا بالمساعدة فى انجاح ثورة اكتوبر.

٣ - أن الاستخبارات العسكرية هى الجهة التى قامت بوضع

الخطة التضليلية لانجاح ثورة مايو ، لان الرائد مامون عوض ابوزيد كان يعمل بالاستخبارات العسكرية بالقيادة العامة وكان يخفى نشاط الضباط الاحرار وتحركهم لقلب نظام الحكم

٤- ان الاستخبارات العسكرية وطوال ستة عشر عاما ساهمت فى افشال كل المخططات الانقلابية المعادية لثورة مايو ، رغم ذلك فشلت مرتين فى تغطية تلك المحاولات:

المرة الاولى ، عندما تحرك الرائد هاشم العطا بانقلابه فى ١٩ يوليو ١٩٧١ ويرجع السبب فى فشل ذلك الانقلاب الى اشتراك عناصر من داخل الاستخبارات فيه.

المرة الثانية ، ما يسمى بالغزو الليبى وذلك يرجع اساسا لانه تكتيك جديد وغريب على وسائل الانقلابات المعروفة لدى الاستخبارات وقد غطاه جهازى الامن القومى والامن العام .. الا ان مدير الاستخبارات العسكرية رفض فكرة الغزو بان تقوم قوات من خارج القوات المسلحة بالاستيلاء على السلطة ورفض وضع القوات المسلحة فى حالة الاستعداد القصوى .. وفى صباح ٢ يوليو ١٩٧٦ عندما وقع الغزو علم مدير الاستخبارات بفداحة غلطته مما دعاه للاشتراك فى الخطة البديلة لمقاومة ما يسمونهم "بالمرتزقه" وفعلا نجح فى الاستيلاء على القيادة العامة مرة اخرى ولكنه دفع حياته ثمنا لذلك .

٥ - ان الاستخبارات العسكرية عندما شعرت بان الطوفان سيدركها فى ابريل ١٩٨٥ ، باعت جهاز امن الدولة لتحمى نفسها.كان بيعها للجهاز خطيئة كبرى ادت الى اختلال الامن فى السودان الى يومنا هذا.

٦- القت الاستخبارات العسكرية القبض فى فترة حكم المشير سوار الدهب على السياسيين وعلى من قاموا بمحاولة فيليب غبوش .

واجب الاستخبارات العسكرية حماية القوات المسلحة من ناحية الافادة بالمعلومات الاستخباريه .

٧- لم يكونوا صادقين تماماً فى حماية الانظمة الديمقراطية ، قد نجد لهم بعض العذر اذ فترة الديمقراطيات الثلاث فى السودان لم تكن القوات المسلحة راضية عنها بسبب ما عانته فى حرب الجنوب لنقص العتاد ، لكن هذا لا يغفر لها كجهاز

استخبارى عسكرى تدخل فى الامور السياسية وكان له فيها نصيب الاسد .
عندما شعر بان الضباط الذين وقفوا بجانب الانتفاضة تنبهوا له ، كال لهم ضربات متوالية . شرد بعضهم الى الشارع ونقل آخرين الى محطات نائية وقاسية ، اما ليلقى حتفه او يعود ليقود إنقلابا فيحتفى به ويتعاونوا معه وهم نفس الكادر ونفس الضباط ، من رتبة الملازم حتى رتبة اللواء فى هذا الفرع الذين عاصروا الديمقراطية الثانية ، مايو ، ثم الديقراطية الثالثة .. ولاندرى الى اين تسير بهم القافلة .
وقع حدث ظريف عندما تم اعتقال جميع ضباط امن الدولة لايداعهم سجن كوبر بعد الانتفاضة الشعبية .الشىء المعروف والمجهول لدى كثير من الناس ان حماية رئيس الجمهورية ، آنذاك المشير جعفر محمد نميرى كانت من صميم اختصاص الجيش ولم تساهم اجهزة الامن الاخرى فى توفير الحماية له ، وقد كانت حراسة منزله ومواقع زياراته تقوم بها القوات المسلحة ، وكانت هناك سرية كاملة حوالى " ١٥٠ " صف وجندى تتبع للاستخبارات العسكريه تتولى الحراسه الشخصية له وقد تم تدريبها فى أمريكا والمغرب . هذه السرية تمردت فى ٦ أبريل ١٩٨٥ عندما أعلن سوار الدهب انحيازه لجانب الشعب بينما أيد جهاز أمن الدولة الانحياز وأرسل برقية تاييد بذلك .
عندما وصل الرئيس السابق جعفر نميرى الى القاهرة كانت معه مجموعة من حرسه الخاص ، من الضباط والصف والجنود، وعند عودتهم الى الخرطوم لم يتم اعتقالهم او مساءلتهم ، وكان داخل سجن كوبر ضابط امن كل بقوته لحراسة الخزان من التخريب " لم يكن التخريب من عناصر داخلية فقط ولكن عندما صدر اعتقال الضباط تم اعتقاله ضمن زملائه واصبح الخزان دون حراسة لتأمينه . فعلق ذلك الضابط الشاب قائلا " **ياخوانا الناس ديل جنو . الحارس نميرى يطلقوا سراحه والحارس الخزان يمسكوه** " فى النهاية نرى ان ما قامت به الاستخبارات العسكرية لم يكن مرضياً او مقبولا ابان الانتفاضة وبعدها تجاه أمن الدولة ، وقد قالها العميد أمن أحمد الجعلى فى اجتماع ضم الضباط

المسئولين أيام الانتفاضة . "**مايو دى كانت سفرة دسمة بها ما لذ وطاب من الطعام وكنتم تنهلون منه وجئنا مرورا فدعوتمونا لمشاركتكم والان تريدون منا ان ندفع الحساب لوحدنا .. على الاقل شاركونا فى المحاسبة**" .

لقد قامت اللجان التى كلفت بحل الجهاز ، بحصر ممتلكات جهاز امن الدولة ، وتقديم بعضهم الى المحاكمة ، اما سياسيا .. او لفساد ، فهل وجدت ذاك المقصود ؟ ثانيا ، هل يا ترى لو قدر ان راجعت اى لجنة محايدة او عسكرية فرع الاستخبارات العسكرية ، كيف يتوقع ان تكون النتيجة ؟ لقد اعتقلت أجهزة الاستخبارات والقوات المسلحة كل الضباط العاملين بجهاز امن الدولة .. كان المتهم الرئيسى هو النائب الاول لرئيس الجمهورية ورئيس الجهاز .. فهل راجعت هذه اللجان مكتب النائب الاول لرئيس الجمهورية بالقصر . ؟ انها لم تفعل لان مدير مكتبه كان من الجيش ، وهذا يقودنا الى الآتى :

لقد اتهمت الانتفاضة الزبير رجب مدير المؤسسة العسكرية الاقتصادية وقدمته للمحاكمة .. فهل كان الزبير رجب وحيدا كالكومبيوتر فى تلك المؤسسة ، ام كان معه بعض العسكريين والمدنيين . ؟ اين كانت الاستخبارات العسكرية من هذا ؟ أين كانت من فساد افرع الجيش المختلفة فى المؤسسة العسكرية ، وأين ذهبت معدات جهاز امن الدولة الفنية ببحرى ؟ هربها ضابط كبير وباعها لاحد الاستديوهات .. !!!

اننا لا نريد ان نبرىء الجهاز ولا انفسنا ، لكن للتاريخ ..! لا نريد ان ندين الآخرين لان الحملة على الجهاز اتخذت شكلا كان الغرض منه اخفاء ما كان يحدث من الآخرين . كنا نندهش كثيرا عندما نرى أشخاصاً كانوا حتى ٥ أبريل ١٩٨٥ مساءاً يقفون مع مايو ويتحمسون لها ويتصدون للدفاع عنها وفجأة صاروا فى صبيحة ٦ أبريل ١٩٨٥ أبطالا يشار لهم بالبنان ومحل اعجاب الجماهير .. بل قادة من قادة الانتفاضه ، قال أحدهم ليحمى نفسه .. "**أبورنات ده بالذات أصلو ما يطلع من السجن**" أنا لا أقول ذلك حقدا وإلا لكنت قد ذكرت أسماء .. وأسماء ، لا اقول ذلك نتيجة لما حدث لى ،

لكن كم منهم تمنى لنا ان نظل حبيسى الجدران حتى لا ندلى ببنت شفة .. لكننا خرجنا من الجدران وأحتفظنا بسره وسر غيره وهم يعلمون ما فعلوا بنا .

عودة ألى الاستخبارات العسكرية ، عندما التحقنا بالقوات المسلحة كانت معرفتنا بالجهاز هى معرفة سطحية ، الا إننا عندما بدأنا ندرس التكتيك ، بدأنا نفهم ان الجيش يحتاج لعنصر استخبارى ، ثم بدأنا ندرس الاستخبارات كعلم مرتبط بالعمل العسكرى ، عندما تخرجنا ضباطاً كانت ثورة مايو على الساحة ووجدنا ان الاستخبارات موجودة فى كل الوحدات وبدأنا نعرف ان الاستخبارات عضو فعال فى السلم وفى الحرب كنا فى فترة العمليات الحربية الاولى بالجنوب وقبل تنفيذ اتفاقية أديس أبابا وجدنا أمامنا عناصر الاستخبارات ورأينا المصادر ثم أصبحنا نمارس هذه المهنة كضباط فى النقاط الخارجية وذلك لعدم وجود عناصر استخبارية بتلك النقاط ووجدنا زملاءنا السابقين بالنقاط على دراية أكثر منا بكيفية تجنيد المصادر . كنا نتابع المحاولات الانقلابية . هاشم العطا ، حسن حسين ، الضباط الاحرار ، احرار مايو . كنا نتابع النشاط الشيوعى ، الامن القومى ، الاتحاد الاشتراكى . كنا نسمع روايات عن زملائنا الذين اسعدهم الحظ فاصبحوا تحت المراوح والمكيفات ، ينالون الترقيات الاستثنائية ، ونحن نحارب ويموت جنودنا ، يموت أقراننا ، جاهزون نحن للموت وكل شخص منا ذهب ألى نقطة خارجية كان مدركا أنه يحارب وقد يموت فى أى لحظة وكان لدى معظمنا فى حقيبته "**قماش الكفن**" لأننا شاهدنا أقراننا يستشهدون وليس لهم من شىء نكفنهم به .. الا أحياناً بطاطين الحكومة ، وهذه للسعداء منهم بينما كانت الاستخبارات تنفى ضباطها الذين لا يرغب فيهم المايويون من الشيوعيين ، كنا نرى ضباطا ممتازين ابعدوا ، واحياناً نرى ضباطاً حاقدين على ما حدث لهم قد أتوا لنا ، فما امتازوا عنا بشىء الا بما هو اصيل وثابت . وفى هذا الوسط بدأنا نفهم حقيقة الصراع فى الخرطوم .

كان جنوب السودان بالنسبه للعسكريين هو المحك واختبار القدرات والصبر ، وكان بعض أخواننا يردد مثلا شائعاً "**الجنوب فتاشه**" والفتاشه هى الآلة التى يتم بها تفتيش

الجوالات لمعرفة النقى من التالف ، وكان وسطا يضم كل النوعيات من الضباط ، المظلوم ، الكفء وغير الكفء والممتاز وتعيس الحظ ، وهنا فى وسط هذا المجتمع العجيب المتباين من الانماط والرتب ، الذى يواجه الموت فى كل لحظة ، تبدو سلوكيات البعض حميدة وتنشأ صداقات زمالات الحرب ، وتتبادل الأفكار والمواقف (ونشتُم) مسئولى الخرطوم بالصوت العالى عند زيارتهم لنا .. لانه لا شئ يخاف منه او عليه ، اننا فى الجنوب نواجه الموت فى كل ثانية ، كان الضابط منا يستبسل مع قواته ويموت أفراد قوته ويصارع الآخرون الموت ويصرعون الموت احياناً ، ويصرعهم الموت دوماً ، يهبون الحياة رخيصة فداءا للوطن ، فى أماكن لا غذاء ولا كساء .

استميحكم عذرا لاحكى عن الضابط الذى استشهد له ١٦ " ستة عشر " جنديا ودمرت نقطته وجرح له ٢٨ من مجموع ٦٨ جندى هى قوته فارسل برقية يقول فيها " هجم الخوارج ليلة امس (.) دمروا النقطه (.) سحقناهم (.) قتلنا ١٢٦ (.) قتلانا ١٦ (.)جرحانا ٢٨ () نرجو ارسال زيت للسلاح () الروح المعنويه عاليه .

هكذا لم يصرخ الضابط مستنجدا بالرغم من انه كان فى اشد الحاجة للنجدة .. وكان يحتاج للرجال والسلاح والعلاج .

فى الجنوب أيضا تجد ضباطا يحملون أفكارا نيرة عصرية .. يمقتون الحرب لأنها وسيلة للدمار ويستبسلون فيها لانهم يؤدون الواجب ، ودائما ما تكون الخرطوم .. القيادة العامة بعيدة عنهم مهما بذلوا فيها من جهد ومهما حاولوا أن يقدموا للعسكريين بالجنوب ، لم يكن سوى حطب لاذكاء نار الحرب ، كان الضحية اما العسكرى أو المتمرد واللذان ينتميان الى السودان الواحد . لذا نجد أنه وفى أوار هذه الحرب تتفتق أفكار وتتبادل وجهات نظر وتناقش الآراء وتقيم الاحداث السياسيه فتخرج منها نبرة تشوبها المرارة والألم ، وفوق هذا وذاك ، وفى أوار هذه الحرب تنمو النظرة الانسانية الخالصة للامور ، فالذى يموت هو أنا وأنت ، صديق او زميل تعرف عنه كل ما يختص بانسانيته وآدميته ، بل وان الامر يتعدى ذلك ان العدو الذى يموت ويكون شجاعا مقداما ، ثم يهوى امام قدميك

ضعيفا خائرا يثير فى نفسك انفعالات ، ويثير فى نفسك كوامن كان فى باطنها مزيج من الانسانيه غريب . كل هذا يتواصل ويقود الى افكار و آراء لا تتفق فيما يفكر فيه حكام الخرطوم ، بالرغم من ان الاستخبارت العسكرية موجودة بينهم الا أنها منهم واليهم، تستشعر نفس شعورهم فهى غير قادرة على الدخول فى كوامنهم ، ولا تعرف كم هى قوية تلك الرابطة. رابطة غير منطوق بها فى تنفيذ ما يريدون .

جهاز أمن الدولة

ما هو جهاز أمن الدولة .. ؟

هو عبارة عن جهازى الأمن القومى والأمن العام بعد دمجهما فى جهاز واحد فى اغسطس ١٩٧٨ ليسمى جهاز أمن الدولة.
بعد احداث يوليو ١٩٧٦ ، كانت الجبهة الوطنية المعارضة قد قويت شوكتها ، رغم أن جهازى العام والقومى كانا قد اكتشفا التخطيط لذلك وقدما المخطط لبقية الاجهزه الأمنية الا أن بعضها لم يصدق ذلك بل وعمل على ان يوضح فى تقاريره التى يرفعها للرئيس ان الامر فيه كثير من المبالغة .. الا ان جهازى العام والقومى قد نسقا سويا وكان على رأس العام العميد عبد الوهاب ابراهيم والقومى الرائد على عبد الرحمن النميرى .. وقع الحادث واصيبت البلاد بكثير من الخسائر ، وعدم الاستقرار. وكان الرأى العام يحمل على أجهزة الامن اخفاقها وأنها لم تكن تعلم عنه شىء و أثبتت أنها كانت تعلم وتتابع وكشفت وقامت بكل ما فى وسعها ، الا أن الكشف عن كل شىء مستحيل . والذين يعملون فى مجال الأمن يعرفون أن المصدر الذى يتعامل مع جهة ما ربما لا تكون له المقدرة من الالمام بكل شىء ، وهذا طبيعى ، لان قائد الحركة هو الذى يعلم بكل شىء فهل تستطيع مصادرالاجهزة أن تعلم من قائد الحركة كل شىء ؟.
أدت حركة المقدم حسن حسين الى هز الثقة بأجهزة الامن رغم

ان الاجهزة الأمنية وخاصة الأمن العام استطاع أن يكشف بحق أن حركة حسن حسين كانت ناقصة وكان هناك جزء مكمل لها أذ ان حسن حسين توقع أن تنضم اليه قوى حزب الامه التى وَعدت بوضع يدها على يده ، لكنها تأخرت . وكان حسن حسين يعتقد ان القوات التى ستنضم اليه من داخل القوات المسلحه فىالخرطوم وليست خارج البلاد ، فانتظرها ولما لم تلحق به اقدم على تنفيذ انقلابه الذى كان فى نظر الكثيرين تهورا .. الا انه كان قد خدع فيه ، وعليه لما جاءت احداث ٢ يوليو ١٩٧٦ كانت امتداداً لحركة حسن حسين .. كان جهاز الأمن العام يعلم ذلك ويتابعه وعلى تنسيق تام مع جهاز الأمن القومى وفرع الاستخبارات العسكرية من تبادل للمعلومات وتمحيص لها وتحليل واستزادة .. لعله من الجدير بالذكر ايضا اضافة ان وزارة الخارجية عن طريق سفارة السودان فى ليبا قد افادت بتقارير واضحة عن عمليات تجنيد وتدريب لعناصر سودانية هناك واقامة معسكرات ..
ولكن هل ما كان يكتب من تقارير كان موضع تصديق ؟ كان وقتها بالسفارة القنصل ميرغنى محمد صالح والقنصل المرحوم الفاتح المصباح ، اللذين أفادا عن ذلك التحرك .. التجنيد والتدريب على السلاح .. ربما كان الوقت مبكرا لتصديق فكرة القيام بالاستيلاء على السلطة بعناصر من خارج الجيش .؟ كان يبدو ذلك ونذكر ان أول متابعه داخلي للغزو جاءت من دارفور وكردفان ، فكان اعتقال بعض العناصر التى حاولت الدخول الى السودان من ليبيا وقبض عليها وتحاكمت امام محكمة عسكرية عقدت فى جبل اولياء .. (سوف نتحدث بالتفصيل عن هذه القوه التى ارسلها الصادق المهدى الى السودان من خلف بقية اطراف المعارضة ، الشريف الهندى خاصة) ..
كان المسئول عن امن مديرية دارفور الزميل العقيد (م) محمد الفاتح عبد الملك .. الذى تابع تلك الجماعة .. وفى ذات الوقت قبيل التحرك المباشر للعناصر الغازية كانت مديرية كردفان أول من أستطاعت وضع يدها على عناصر التحرك .. وكانت قيادة أمن المديرية تحت أمرة العقيد أمن (م) الرشيد مكى .. والعقيد شرطه (م) مصطفى سربل .. تمت المتابعة

الدقيقة حتى كشفت العناصر بامدرمان والخرطوم.. فى تلك المنازل التى قام بتأجيرها السيد مبارك الفاضل المهدى لايواء العناصر حتى ساعة الصفر، هذا ما كان من كشفها.
بعد أحداث " ٢ يوليو١٩٧٦ " عدل الدستور ليعطى رجال الأمن مزيداً من سلطات الاعتقال التحفظى والاستجواب .. وكانت هذه بداية تعديلات الدستور نتيجة للحملة التى شنتها الصحافة عن اخفاق أجهزة الأمن عن القيام بدورها ، التى قادها الصحفى الطيب شبشه (ولم يكن وحده) بمقالة عن تقصير دور أجهزة الأمن وبالتحديد الأمن الداخلى أو العام مما أغضب قادة الأجهزة الأمنية وكان أكثرهم غضبا السيد عبد الوهاب ابراهيم رئيس جهاز الامن العام ، حيث نقل لرئيس الجمهورية غضبه للحملة التى تشن ضد جهازه على وجه الخصوص .. جمع نميرى قادة الاجهزة الثلاثة .. القومى ، العام والاستخبارات العسكرية ، تحدث اليهم معرباً عن رضائه التام عن ادائهم وأنهم يقومون بواجبهم على أكمل وجه وما دامت السلطه العليا تعلم جهودهم وتقدرها فستعمل على ابراز ذلك للرأى العام ، ارضى بذلك قادة الاجهزة.
كان نميرى كعادته فى ممارسة اللعبة السياسية المعروفة بالاستعانة فى كل مرحلة برجالها ، فكان قد جاء دور الاستعانة باللواء أ.ح عمر محمد الطيب الذى كان وقتها قائدا لاخطر سلاح لمايو ، المدرعات . كان نميرى يعلم الصداقه التى تربط اللواء عمر الطيب بمحمد نور سعد قائد انقلاب حركة ٢ يوليو ١٩٧٦ ، كان نميرى ايضا يعلم صلة عمر الطيب بالمعارضة ، حيث أشارت تقارير الاستخبارات العسكرية عن صلة عمر الطيب بالمعارضة ، ثم اخيرا حين بدأت تورد اسم عمر محمد الطيب والاستعانة به ، فكانت هنا حسابات نميرى التى قادته الى الاستعانة بعمر محمد الطيب ، لكن ليس من داخل المؤسسة العسكرية بل من خلال جهاز الأمن القومى ، ليكمل مرحلة المصالحة ، سنتعرض لخيارات نميرى فى اختيار رجل المرحلة للموقع فى فصل اخر، وهكذا اختير عمر محمد الطيب ليقود جهاز الأمن القومى .

اللواء عمر محمد الطيب وجهاز الأمن القومى

سمع اللواء عمر الطيب كما سمع الجميع عن سمعة جهاز الأمن القومى ولم يرضه ذلك ، كما ان الجهاز ضم عناصر لا يثق فيها ، وغير صالحة لمرحلته . الجبهة الوطنية المعارضة صرحت للواء عمر صراحة عن عدم رضائها عن قيادة جهاز الأمن العام الذى يعمل فى مجال الأمن الداخلى ، فهل يختار عمر الطيب شخصا موال له لقيادة الامن العام ام يقوده بنفسه ، وهكذا كان تفضيله لضم جهاز الأمن العام للأمن القومى وأن يكون هو القابض على كل الأمن بالبلاد والمسيطر عليه ، ذلك كان يرضى طموحه بانه أصبح يقود أكبر مؤسستين كان على رأسهما وزيرين ، عوضا عن طموحه لقيادة الجيش . (كان لاعضاء الجهازين راى فى ضمهما .)صدر القرار الجمهورى لقيام جهاز أمن الدولة وصدر بموجبه قانونه ولائحة انشائه ، مهام الجهاز ، واجباته ، اختصاصاته ثم حقوق الافراد من مرتبات ومعاشات وفوائد ما بعد الخدمة . (سنلحق قانون الجهاز واللائحه التابعه له بهذا الكتاب لمنفعة القارىء.)
عموما قام جهاز أمن الدولة ليحمى أمنه القومى من نشاط اقتصادى ، سياسى ، نشاط أجنبى معادى بالداخل ، ونشاط اجنبى بالخارج واثر ذلك على مسيرة الدولة ، كما من مهام الجهاز ايضا حماية الحدود والمواقع الاستراتيجية كالخزانات والسدود والموانىء وخزانات المياه وامدادات الكهرباء والتوليد .

وبشىء من التفصيل لا الحصرعمل الجهاز فى المجال الاقتصادىوهو مجال كبير وهام حيث تنعكس فيه كل انشطة الدوله ونجاحاتها . كانت مهمة الجهاز كبيرة ، فالمعروف ان حماية الاقتصاد هى حماية الدولة ، وعرف العالم كثيرا من التخريب الاقتصادى السياسى ، فدولة المانيا الشرقيه كانت قد تعرضت فى مرحلة انشائها الى تخريب اقتصادى ، مثلا "الابقار " حيث أستطاعت العناصر الخارجية المناوئة تسديد

ضربة قوية ، بتسريب نوع من دواء حقن الابقار بمضاد فاسد جعل الدوله تفقد كثيرا من الابقار نتيجة الدواء الفاسد . كذلك فى مجال زراعة البطاطا ، استوردت دولة المانيا الشرقية نوعا من بذور البطاطا الفاسدة الذى اضر ضررا بليغا بالموسم الزراعى ، مما افقد الدولة موسما زراعيا كاملا ، ادى ذلك الضرر الى نقص انتاج البطاطا التى يعتمد عليها الشعب الالمانى ، هذا نوع من انواع التخريب الاقتصادى ، ويشمل ذلك ايضا مراقبة الانتاج السلعى ، ومنافسة الاسعار عالميا ، وهل هناك جهات بعينها لها مصلحة فى تذبذب الاسعار ، وعدم استقراها ..؟ وهكذا......

ومن الامثله التى نسوقها هنا ما حدث من نقل لحبوب نبات الكركديه السودانىالى الصين وزراعتها هناك وكانت النتيجة ان غزا السوق انتاج الكركديه الصينى .. حدث ذلك فى مرحلة لاحقة لحل الجهاز ، ومن الامثلة ايضا محاولة سرقة شجرة "الهشاب" الصمغ العربى ، لدولة أخرى .. كان هذا فى مرحلة لاحقة لحل الجهاز .. ولعلنا نذكر جيدا السماد الفاسد وقصته ، (أليست بتخريب إقتصادى .. ؟) كل هذه الاشياء من المسائل التى يحميها الأمن .

اما الأمن الداخلى فمهامه تنحصر فى عمليات النشاط السياسى الداخلي ، فهو نشاط الاحزاب السياسية التقليدية منها والعقائدية ، نشاط النقابات، الاتحادات المهنية ، نشاط الطلاب والمزارعين .. الرأسمالية الوطنية ، نشاط النساء والشباب ، نشاط العسكريين المتقاعدين ، نشاط الاتحاد الاشتراكى ، مجلس الشعب ..الوزارات ، المؤسسات والمصالح الحكومية . ليس بالضرورة ان يكون النشاط مناوئا او معارضا بل والنشاط الذى يسير فى خط الحكومة وتوجهاتها .. ونتائج انعكاساته سلبا وايجابا . كانت مهام كل اداره من هذه الادارات . لعله يتبادر الى ذهن القارىء ان هناك صعوبة فى عملية التنسيق او ان كل ادارة تقف بعيدة عن الاخرى .. فتصبح امبراطوريات قائمة بذاتها ، على العكس من ذلك ، كان التنسيق تاما وسهلا .. اذ كانت هناك ادارة بعينها هى المنسقه لذلك ، ورئيس الجهاز ونائبه كانا الضمان وصمام الأمان لمسألة التنسيق تلك .

فى رأينا كانت فى رأس اللواء عمر محمد الطيب ثلاثة اشياء هامة هى أولا .. تحقيق طموحاته الشخصية بالزحف نحو قمة القيادة . ثانيا .. تغيير خط سير النظام بالتعاون مع المعارضة .
وثالثا .. ابعاد كل من يقف امامه من اجل تحقيق هدفه .
فبدأ أول خطواته نحو تحقيق هدفه بتصفية بعض عناصر جهاز الأمن القومى ، كما سيأتى ذكره لاحقا فى هذا الكتاب ، ثم ضم جهاز الأمن العام له ، وكانت له فى ذلك حسابات كثيرة ، منها انهاء المقارنة بين الجهازين فى الاداء .. سمعة جهاز الأمن القومى وما لحق بها من ضرر .. ثم رغبة الجبهة الوطنية ابعاد السيد عبد الوهاب ابراهيم والسيد خليفه كرار عن جهاز الأمن العام .
عند اعلان ضم الجهازين ثم اعداد كشف ابعدت بموجبه عناصر من كلا الجهازين ، خاصة جهاز الأمن العام ، وبعده تقدمت عناصر من الجهاز بتقديم استقالتها من العمل من تلقاء نفسها .. وبعضها فضلت البقاء والعمل .. البعض الآخر تضرر فى مرحلة لاحقة من تسكين الضباط فى الجهازين فى كشف الاقدمية حسب الرتب حيث آثروا الابتعاد . بالطبع قبل البعض البقاء على مضض ، هذه كلها اضافت عدم قناعات سيأتى ذكرها فى هذا الكتاب .
ضم جهاز أمن الدولة ضباط جيش وضباط شرطة وخريجى جامعات وبعض الموظفين الذين قضوا فترة طويلة فى الخدمة المدنية ، والذين رؤى انه من المصلحة الاستعانة بهم ، هذه المجموعه من الضباط جميعا منحوا رتبا عسكرية ، وبلغ عددهم (٤٨٠) اربعمائة وثمانين ضابطا منهم من احترف العمل الأمنى مدة طويلة ومنهم من كان يقوم بعمل ادارى بحت او مساعدا فى الشئون المالية او الاقسام الفنية المساعدة او الورشة المركزية لصيانة عربات الجهاز ، كان تعداد الصف والجنود ثلاثه آلاف لتغطية كل هذه الانشطة ، فان كان هذا هو العدد الكامل لكل العاملين فى الجهاز فنجد ان الذين كانوا يعملون فى مجال المعلومات لا يتعدون المائة وخمسين ضابطا بما فيهم الذين كانوا يعملون خارج البلاد و ٢٥٠٠ " الفين وخمسمائة " من ضباط الصف والجنود لكل السودان .

بكل مديرياته .

كان الجهاز يضم الوحدات الفعالة الآتية :

١ـ رئاسة الجهاز .. وتشمل هيئة الادارة ..

أ ـ مكتب رئيس الجهاز

ب ـ هيئة العمليات .. وتتبع له وحدات المراقبة والتحرى وسجلات الأمن المركزية .

٢ـ الأمن الخارجى ..

أ. المخابرات الخارجية .

ب . الاقسام ..

ج . المحطات الخارجية ..

د . المخابرات المضادة .. •

٣ ـ الأمن الداخلى .. ويشمل :

أ ـ القسم السياسى ..

ب ـ القسم العقائدى ..

ج ـ القسم القبلى والدينى ..

د ـ قسم أمن المؤسسات والمصالح الحكومية ..

ه ـ قسم الاقاليم وأمن العاصمة القومية .

٤ـ الاداره الاقتصاديه .. وتشمل :

أ ـ رئاسة الادارة .

ب ـ قسم الوزارات والمصالح .

ج ـ مكافحة التخريب .

د ـ مكافحة التهريب ..

هذا ما كان من تقسيم داخلى ، اما عن عملية التنسيق بين هذه الاقسام المختلفة فكان اشبه ما يكون بخلية النحل ، كل له دور معين محدد فى اداء الجهاز ككل كما سبق ذكره . اما كيف كان يؤدى واجبه المنوط به فهذا ما سنتعرض له فى فصل خاص ، اداء الجهاز ، قام الجهاز بدوره كاملا ، ام انحرف عن أداء دوره ، وإن لم يكن ، هل هناك اسباب لذلك وما هى ..؟ هل تغول الجهاز على اختصاصات مؤسسات الدولة الأخرى

ولماذا ..؟

الفصل الثانى

الامن والصراع على منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية

- اللواء الباقر نائبا اول ..والمصالحة الوطنية
- الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم نائبا اول .. وأمين عام للاتحاد الاشتراكى.
- الفريق أول عبدالماجد نائبا اول . امينا عاماً للاتحاد الاشتراكى. وزيراً للدفاع . قائداً عاما للقوات المسلحة .
- اللواء أ.ح عمر محمد الطيب نائبا أول وأخيرلرئيس الجمهورية . ورئيسا لجهاز أمن الدولة .

الصراع على السلطة

سوف نذكر فى هذا الفصل أدق التفاصيل عن كيفية الصراع على منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية .قام الاستفتاء لرئاسة الجمهورية بعد محاولة الرائد هاشم العطا بحركته فى ١٩٧١ فيما أسماه بتصحيح مسار ثورة مايو .
بعد اجازة الدستور الدائم للبلاد ، نُصب المشير جعفر نميرى رئيسا للجمهورية بموجب ذلك الدستور باستفتاء شعبى نال فيه ٩٨.٤ ٪ من مجموع أصوات الناخبين .. عين السيد بابكر عوض الله نائباً لرئيس الجمهورية (دون تحديد أنه نائب أول) ثم أتى ترتيب الاعلان بعده اللواء خالد حسن عباس وأخيراً السيد أبيل ألير .. كان ذلك هو أول إعلان لإنابة رئيس الجمهورية .
لم يستمر هذا الوضع طويلاً لأن الخلافات داخل مجلس الثوره ومسألة حله وزوال القيادة الجماعيةوإنفراد نميرى بالقرار لم يرض جميع أعضاء المجلس بما فيهم السيد بابكر عوض الله ، اذ شعروا بأن نميرى كان حريصاً على الإنفراد بالسلطة .
كان هناك خلاف بين نميرى وبابكر عوض الله منذ أول يوم لقيام النظام فى مسار التنظيم .. وقد ظهرت فى إعتراف النظام بدولة المانيا الشرقية كأول دوله شرق أوسطية تعترف بذلك النظام ، تصريح بابكر عوض الله بدور الشيوعين فى إنجاح ثورة مايو ولولاهم لما نجحت الثورة ، الحديث الذى لم يرض نميرى وصرح نميرى فى تصريح مضاد لذلك .. ثم جنوح السيد بابكر عوض الله بصورة واضحة نحو الشقيقه مصر والتقارب الواضح من النظامين ، الشىء الذى لم يرض بعض أعضاء المجلس منهم نميرى .. ثالث الأسباب لفتور حماس السيد بابكر عوض الله فى الإستمرار مع النظام هو وفاة الرئيس جمال عبد الناصر الذى كانت تتجسد فيه القومية العربية ..عليه عندما تقرر حل مجلس قيادة الثورة وصدور

قرار نميرى بعدم وضع الشارات المميزة لاعضاء المجلس شعر السيد بابكر عوض الله أن الأمر أصبح غير ما كان متوقعاً هو إستمرار القيادة الجماعية .. لذا فضل السيد بابكر عوض الله الإبتعاد فذهب الى مصر فى رحلة عادية ومن هناك بعث بإستقالته لنميرى .. نميرى لم يعط إهتماماً كبيراً لها بل أهملها ولم يعلن ذلك .. حتى هدأت الأمور وعاد بعد حين السيد بابكر عوض الله .. وجاء اللواء خالد حسن عباس كنائب لرئيس الجمهورية .

اللواء خالد حسن عباس ، كما هو معلوم أنه كان الأعلى رتبة فى المجلس بعد نميرى ، لذا أسند اليه المجلس أمر الجيش، فأصبح رئيس هيئة الأركان ، وإنطلاقاً من دوره فى إنجاح الثوره بقواته المدرعة فى خورعمر حاول أن يبنى القوات المدرعة أكثر على حساب بقية القوات يصارعه فى ذلك الرائد أبوالقاسم محمد أبراهيم الذى كان يحاول بناء قوات المظلات . حاول اللواء خالد أن يضخم ميزانية الجيش وإنشاء وحدات جديده قبل الحصول على الميزانية اللازمة . والحصول على السلاح الروسى مقابل القطن السودانى مما أرهق الميزانية العامة للبلاد ظهور تكتلات داخل القوات المسلحة وبروز مراكز قوى جعلت الضباط يشعرون بكثير من الإستياء .

إكتشاف خلل إدارى فى القوات المسلحة بعد أحداث ١٩ يوليو ١٩٧١ عزت الى تقصير اللواء خالد .. هكذا أبعد اللواء خالد .

اللواء محمد الباقر احمد .. نائباً اول المصالحة الوطنية..

اللواء الباقر من الدفعة الأولى للقوات المسلحة ، بينما نميرى ينتمى الى الدفعه الثالثه ، فيعنى ذلك أن اللواء الباقر أقدم منه عسكرية وأكبر سنا ، ومن كان أكبر سنا كان أكبر تجربة . كان اللواء الباقر حين نجح إنقلاب مايو ١٩٦٩ مبعوثا لدى أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية بالقاهرة لنيل درجة "الأركانحرب" "الماجستير فى العلوم العسكرية" لم يشمله الابعاد من الجيش هو والمرحوم العميد عمر الحاج موسى ، لأسباب يعرفها نميرى عنهما .. أهمها الكفاءة والمقدرة والثبات ورجاحة العقل ونفاذ البصيرة .
اختار نميرى اللواء الباقر لهذه الأسباب ليكون ساعده الأيمن .. فكانت أولى الأدوار التى نجح فيها الوصول الى اتفاقية أديس ابابا للسلام ..بين جنوب البلاد وشماله ،ساعده فى ذلك كادر مقتدر ودبلوماسيون ووطنيون غيورون ، فقد أبلى اللواء الباقر بحنكته وصبره على انجاح المفاوضات رغم ما أعتراها من صعوبات ، صمد اللواء الباقر مع نميرى خلال فترة المؤامرات ، محاولات الانقلاب ، المقدم حسن حسين .. العميد محمد نور سعد ، ومواقف أمنية صعبة كحوادث شعبان. ويهمنا هنا أن نوضح بالتفصيل موقف اللواء الباقر وكيف تصرف ، لنقارن هذاالموقف بموقف البلاد عام ١٩٨٥ الانتفاضة الشعبية من زاوية واحدة .
كان الرئيس السابق نميرى يحضر اجتماعا بالجزائر لرؤساء الدول الأفريقية .. حينما تولى رئاسة الجمهورية اللواء الباقر بصفته النائب الاول لرئيس الجمهورية ، ويحق له اتخاذ كل الاجراءات الدستورية والقانونية فى غياب الرئيس ..إندلعت مظاهرات الطلاب والعمال فى شعبان منده بالنظام وهاتفة بسقوطه ، كانت نقابة عمال هيئة السكة حديد بقيادة رئيسها

موسى متى هى رأس الرمح فى قيادة المعارضه للنظام ..
وكانت على خلاف مع اتحادها العام .. استفحل الأمر
وأصبحت عاصمة الحديد والنار فعلا نارا حاميه .. والخرطوم
عاصمة الصمود تغلى على مرجل ، مظاهرات طلاب جامعة
الخرطوم كان الوضع متردیا ، وعليه فقد قام اللواء الباقر
بعقد أجتماع للوزراء يبصرهم فيه بحقيقة الوضع الساسى
للبلاد ، بل أضحى الوزراء فى حالة اجتماع دائم .. يتبادل
الآراء ويستمع الى التقارير الأمنية من السيدين على نميرى
وعبد الوهاب ابراهيم ... وكان الفريق بشير محمد على
يحضر تلك الاجتماعات ويخطر بالموقف ويدلى بما لديه من
معلومات .. حتى أصبحت الصورة واضحة لكل المسئولين ..
تقدم السيدان عبد الوهاب و على النميرى بتقرير للواء الباقر
مفاده أن الأمر لم يصبح محتاجا لمراقبة ورصد ورفع تقارير
بقدرما هو محتاج لاجراء .. وعليه راى اللواء الباقر ذلك
الاجراء يكون فى اعلان حالة الطوارىء واستنفار القوات ..
وعليه فقد دعا اللواء الباقر ما كان يسمى بوزراء رئاسة
الجمهورية ورئاسة مجلس الوزراء فى اجتماع عاجل بمكتبه
بعد الظهر من أحد أيام شعبان .. ذاكراً أن الموقف متأزم
فهو يرى ان لم يتخذ اجراءاً حاسماً سيفلت الزمام ، لذا فقد
قرر أن يعلن حالة الطوارىء وهو يعلم ان هذا الاجراء لن
يقبله الرئيس .. لكن ليس امامه الا هذا الاجراء .. لأنه على
حد قوله حمل أمانه ولكى يحافظ عليها حتى يردها لابد له من
اعلان حالة الطوارىء ، ليعيد الوضع الى حالته الطبيعيه ..
وقال .. عندما يعود الرئيس ويستلم أمانته فله الخيار أن
يستمر فى حالة الطوارىء أو يرفعها . ولهذا قال أنا اخترت
المقدم صلاح عبد العال بصفته وزير رئاسة الدوله ليلحق
بالرئيس فى الجزائر لينقل له قرارى هذا وسيقوم فورا ..
وهنا ذكر اللواء الباقر للمقدم صلاح عبد العال قائلا

**" قول للرئيس أنا غايتو أعلنت حالة الطوارىء ..
ولمن تجى ما حتلقى ود مقنعه يهتف ضدك "**

هكذا استطاع اللواء الباقر أن يتغلب على مظاهرات شعبان
التى كانت قوية وكادت ان تطيح بالنظام .. من حيث التنظيم
الدقيق والنقابات التى انتظمت بها والتى جعلت نميرى يفكر

فى تفتيت مركزية السكة حديد برمتها من بعد هكذا عاد نميرى ولم يكن راضيا عن فرض حالة الطوارىء وحظر التجول ، لكن الحاله كانت قد تحسنت كثيرا .

ابان تلك المظاهرات فى شعبان كانت جماعة الاخوان المسلمين سعيده بها ، لكنها لم تكن راضية عن اللواء الباقر وذكر أحد قادة الاخوان وقتها بانه تحدث الى اللواء عمر محمد الطيب الذى كان قائدا حديثا لأحد ألوية سلاح المدرعات بعد ترقيته الى رتبة اللواء .. قال له اللواء عمر " **أنا موجود نادونى** ". وكانت تلك الشخصية الكبيرة من الاخوان المسلمين سعيدة لسماع ذلك من اللواء عمر خاصة وأنه كان يقود لواءاً كاملاًمن سلاح المدرعات .. وضعت الاستخبارات العسكرية عينها على اللواء عمر منذ تلك اللحظة .

نميرى لم ترضه اجراءات اللواء الباقر اعلان حالة الطوارىء ، خاصة ان اللواء الباقر كان يعتقد ان ذلك أفضل السبل لمعالجة الموقف .

وتمر الايام والسنين ونعبر الى المصالحة الوطنية التى سنتناولها بالتفصيل فى موقع آخر . لم يستشر اللواء الباقر فى أمر المصالحة ، ولما اضحت فى مراحلها الأخيره قرر اللواء الباقر أن يتحدث الى نميرى ويوضح رأيه فى المصالحة ، أولها أنه يعتقد أن قبول مبدأ المصالحة مع الجبهة الوطنية فيه خضوع واستسلام ، لأنه باستجابة نميرى لهم بعد محاولة الغزو من ليبيا سيكون هذا ديدنهم مستقبلا فى التعامل مع النظام .. الضغط بذات الاسلوب ، ثانيها أن اللواء الباقر يعتقد أن الجماعة التى ارتضت أن تتعامل مع دول أخرى لقتل ابناء الوطن من الاحرى ألا يتصالح معها النظام ، وثالثها أن نميرى لم يشركه منذ بداية المفاوضات .

لهذا قرر نميرى أن اللواء الباقر لا يصلح للمرحلة القادمة ، خاصة أن عناصر الجبهة الوطنية أبدت رأيا واضحا فى كثير من المسائل .. مثل تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، وقوى الأمن .. الخ تلك المطالب التى ورد ذكرها ، على كل .. بعد ان فكر نميرى فى الامر بمراجعة مواقفه وحساباته دعا اللواء الباقر والرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم ونادى ايضا نميرى على اجهزة الاعلام فى مقابلة كانت كالمسرحية .. لم يكن احد يعلم

ماذا كان ينوى نميرى .. وبعد ان اشاد باللواء الباقر وما قدمه من خدمة جليلة للنظام خلص الى اعفاء اللواء الباقر من منصبه وتعيين الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم نائبا اول له .وهو أحد مفجرى ثورة مايو واحد اركانها .

الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم نائباً أول ..

هكذا اصبح الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم نائبا لرئيس الجمهورية وكان رأيه فى المصالحة يوافق رأى نميرى الا بعض المواقف التى يختلف معه فيها .. لكنه كان الرجل السهل الانقياد لنميرى .. بل لعل نميرى فكر فيه من ناحيتين .. الاولى ارتباطه بثورة مايو وتفجيرها .. هو وزين العابدين اللذين بقيا مع نميرى دون خلاف يذكر ومسألة معادلة توازن القوى فى المرحلة كان الرائد ابوالقاسم يعلم موقف سلفه اللواء الباقر .. فكان يريد ان يحافظ على عدم انزلاق النظام ووقوعه تحت قبضة المعارضة وتكسير كل قنوات النظام .. كان وقتها الرائد ابوالقاسم الامين العام للاتحاد الاشتراكى ، التنظيم السياسى ، فكانت بيده كل خيوط اللعبة السياسية .

كان ذاك الموقف فى القمة السياسية .. بينما كان الموقف العسكرى يجرى سجالا بين الصديقين الحميمين عبد الماجد وعمر .. رغم ان التنسيق فى المجالين العسكرى والامنى صعب .. الا انهما استطاعا ان يحافظا على شعرة معاوية .. كلاهما يتطلع الى القمه السياسيه .. كل بطريقته المتفرده .. عبد الماجد بوضوحه بالسعى لها فى وضح النهار وعمر بطريقته الدبلوماسية المقنعة الخفية .. كانت تظهر بينهما بعض مواقف التنافس الملازم لشخصيتهما منذ الكليه الحربيه ، ابان مؤتمر القمه الافريقى ..مثلا ، اظهر عبد الماجد مواهبه التى تحدث بها الجميع والتى كانت على مشهد من الكل ،

عكس صاحبه الذى كان يوضحها للرئيس عندما يكون هو معه فقط .ان كليهما خشى من الآخر الا ان عبد الماجد كان اكثر وثوقا بنفسه من عمر .. الذى يعمل فى مجال تتوفر له فيه اساليب التغلب على عبد الماجد ، الا انهما كانا امام عدو مشترك هو الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم ، النائب الاول لرئيس الجمهورية .

كانت احدى الموضوعات الموضوعة على منضدة المفاوضات مع المعارضه وقتها مراجعة اجهزة الأمن والاتحاد الاشتراكى .. وبما ان عمر استولى على جهاز الأمن وخطى ليسيربه فى الاتجاه الذى تريده المعارضه ، تبقى موضوع الاتحاد الاشتراكى .. الذى كان يجد معارضة من الجيش قبل قوى المعارضة لانه فى رأيهم يشكل فسادا اداريا ويعجز عن استقطاب انصار للنظام .. بل وعبئاً على الميزانية العامة التى يحتاجها الجيش لبناء قوته العسكرية .

كانت اولى خطوات اللواء عمر نحو كيان الاتحاد الاشتراكى هى دخوله عضواً المكتب السياسى للاتحاد الاشتراكى .. فاستقطب حوله تلك العناصر التى دخلت بقبول المصالحة الوطنية .. تلك الشخصيات المعروفة " د . عبد الحميد صالح .. د . عمر نور الدائم .. احمد عبد الرحمن .." بل شجع كثيرا من اعضاء جبهة الميثاق " الاخوان المسلمين " لدرجة، ان بعض الصحف الغربيه اعتبرت ان اللواء عمر من جماعة الاخوان المسلمين كصحيفة African confidential أذ اصبحت تكتب عنه بصفته أخاً مسلماً .

وفى ذات الوقت اصبحت العناصر المناوئة لهذا الاتجاه بداخل الاتحاد الاشتراكى تواجه اللواء عمر (بدرالدين سليمان .. خليفه خوجلى .. مكاوى عوض المكاوى ، مهدى مصطفى الهادى). فكر عمر كيف يتغلب على هذه الجماعة التى هددها وتوعدها بخلق مضايقات واضحه لها .. ٠وكان اهم ما توصل اليه اللواء عمر تجاه هذه الجماعة التى كانت تجد سندها فى الرائد ابوالقاسم هو ان يعمل على اقصاء الرجل نفسه لتسهيل عملية ضربهم واحدا تلو الآخر .. وهكذا هداه تفكيره الى التخلص من الرائد ابوالقاسم ..وسيجد من يساعده فى ذلك ، عبد الماجد . بدأت عملية إقصاء ابوالقاسم رغم ان العملية

لم تكن سهلة لتمسك الرئيس به للمحافظة على توازن القوى ..
هكذا اصبحت قوى المعارضة بمساعدة عمر تنهش من لحم ابو القاسم واصبحت الضربات تتوالى عليه واضحت التقارير السرية تجد طريقها الى مكتب رئيس الجمهورية من رئاسة جهاز الأمن ، ايضا من الجيش .. ومن الشيوخ والدراويش الذين يقابلون الرئيس ويحدثونه .. رغم ان الرئيس كان حريصا على ابقاء ابوالقاسم الا ان القشة التى قصمت ظهر البعير ما اشيع أن ابو القاسم يتطلع الى كرسى الرئاسة ..
لكن الحقيقه التى نعرفها وفجرت الخلاف بين نميرى وأبوالقاسم بصفته نائب أول للرئيس ، هى طلبه من للرئيس منحه صلاحيات تنفيذية وصلاحيات فى للجيش أذ كانت له صلاحيات سياسية بصفته الأمين العام للاتحاد الاشتراكى ، لم يكن الرئيس يمانع فى منحه الصلاحيات التنفيذية الا أن طلب صلاحيات فى الجيش لم ترض نميرى بل اغضبته لأنه يعتقد أن أبوالقاسم ترك الجيش وهو برتبه صغيرة "رائد" وهناك من تأهل بالجيش لحد بعيد ، فلن يرضوا به ، ثم أنه أصبح سياسيا ، ربما تساءل نميرى بينه وبين نفسه لماذا ..؟ نميرى يعتبر أن الجيش له وحده وهذا هو حصنه ولن يفرط فيه ، هذا بخلاف التصريحات التى أطلقها أبوالقاسم من وقت لآخر كما حدث فى عطبرة وخلافها ولم يرض بها نميرى .

الفريق أول عبد الماجد حامد خليل

لم يجد نميرى بدأ من التخلص من ابوالقاسم .. فعين مكانه عبد الماجد حامد خليل .. نائبا اول وامينا عاما للتنظيم ، ذلك التنظيم الذى لم يتشرف عبد الماجد بمعرفته جيدا .. ولم يعمل فى صفوفه .. لكن الرجل قبل .. وهكذا عمل عمر الطيب جاهدا لاقصاء ابوالقاسم .. الا انه لم يقطف ثمار ذلك الجهد .. بل اصبحت المسأله بالنسبة له اكثر من صعبة ومعقدة حيث احتل المقعد صديقه ، صداقة العمر .. وشريك كفاح وشريك تفكير .. وشريك تدبير .

كان عمر يصرح بانه لا يتطلع الى المناصب الكبيرة .. وانه يخدم فى اى موقع يختاره له النظام .. انه عازف عن المناصب الكبيرة وليس له فيها غير ارضاء الله ورسوله ، كان يقول هذا لكل من يعمل معه او قريبا منه حتى يطمئن الرئيس وصديقه انه لا يسعى ليحتل المنصب .. فهل كانت تلك حقيقته ..؟
فى هذا المجال نذكر هذه القصة عن عيدى امين رئيس يوغندا سابقا .. وكان وقتها قائدا عاما للجيش..حيث كانت الاحوال السياسية مضطربة بيوغندا من عدم استقرار وقمع سياسى من حزب أبوتى الحاكم .
طلب وزير الدفاع وقتها فيلكس اوناما .. وهو من اهل شمال يوغندا طلب من الجنرال عيدى امين مقابلته بمكتبه ، وشرح له الموقف السياسى للبلاد..وان الموقف يتطلب تدخل الجيش لانقاذ البلاد ، وانه يرى فيه الشخص المناسب بصفته القائد العام لتولى السلطة .. لكن عيدى امين قال فى رده لوزيره بكل ادب واحترام بانه رجل عسكرى ولا يفهم فى السياسة ولا يرغب فى السلطة ، بل انه لا يمكنه هضم مثل هذا التفكير .
بعد عدة ايام جلس عيدى امين على كرسى السلطة السياسية الذى كان عنه عازفا .. ونصب من نفسه رئيسا ليوغندا مدى الحياه .. عيدى امين دادا.
نعود الى مسألة منصب النائب الاول .. حيث توقع المجتمع ابعاد ابوالقاسم محمد ابراهيم .. وتوقعوا ان يكون من نصيب اللواء عمر محمد الطيب ، فكان تنصيب عبد الماجد مفاجأة .. والاكثر اثارة للدهشة انه اصبح بين عشية وضحاها الاقوى فى النظام بعد رئيسه فضم اليه وزارة الدفاع وامانة التنظيم السياسى .
كانت مسألة هضم الحقيقة صعبة على عمر .. لقد قال لنا صديق لعمر أن عمر أسرَّ اليه فى ذات مره بانه بات وشيكا تعيينه نائبا اول ، صديقه ذلك لم يستطع ان يكتم السر فباح به حتى وصل الى نميرى .. ونميرى بحث عن منبع الخبر حتى توصل اليه وعرف مكانة الرجل من قلب عمر وهكذا افسد له صديقه مسألة تعيينه فى المنصب .
حاول عمر ان يتماسك وان يظهر شعوره الطيب نحو صديق

عمره عبد الماجد ، بل كان اول المهنئين له والمحتفين به ، وطلب من كل اعوانه فى الجهاز ان التعاون بينه وبين عبد الماجد يجب ان يكون فى القمة .. وسعى هو شخصيا ان تتم المشاوره معه فى كل صغيرة وكبيرة. كان عبدالماجد يحب عمر ويتعاون معه .. لكن كما اسلفنا كانت لكلا الرجلين شخصية متفردة ، كان لكل منهما رأى فى الاخر .. كان عبد الماجد رجل الساعة القوى .. عسكرى قوى الشكيمة .. صعب المراس .. يجابه عدوه بكل ضراوة .. لايهادن. بينما يتخذ عمر خطا مغايرا .. يتخذ اللين مع اعدائه حتى يظفر بهم .. داهية .. مراوغاً من الدرجه الاولى .. يجتمعان فى بعض الامور ويختلفان فى الكثير.

كان الجيش هو عبد الماجد والأمن هو عمر .. كانت الحساسيه بين الجهازين ، تبرد الصدامات الصغيرة بين افراد المؤسستين احيانا عندما تصل الى القيادة عبد الماجد ـ عمر .. لكنها تترك فى النفس شيئا .. أذ يغار كل منهما على اداء مؤسسته ، غيرة الحريص على مهنته واداء دوره.

فى دول العالم الثالث ، كبلدنا ، لابد حين تتسلم السلطة المؤسسة العسكرية ان تنشأ الخلافات فى الاختصاصات ، بل فرض مجموعة هيمنتها على مصدر القرارات والسلطة وتبدا الاطراف الاخرى فى زحزحة تلك المجموعة وفرض هيمنتها .. وللحقيقة نقول ان هناك اعتقاد راسخ عند العسكريين لا يتزعزع اذ يعتقدون بانهم اكثر فئات الشعب وطنية لتربيتهم القومية ، ويعللون انهم اصدق من غيرهم لانهم يهبون حياتهم فداءاً للوطن وتماسكه والذود عن اراضيه وينسون انتماءاتهم العنصرية اوالعرقية او القبليه او الحزبية او الطائفية ، ورأيهم فى الخدمه المدنيه انها اقل خطورة على الحياة ، وسهلة الممارسة حتى ليخيل الى بعضهم انهم حينما يتقاعدون او يبعدون عن الخدمة العسكرية لتوكل اليهم خدمة مدنية يشعرون وكأنهم لا يؤدون عملا مباشرا للوطن .. هذه بعض المفاهيم التى ما زالت راسخة فى اذهان ووجدان المنتمين الى القوات المسلحة .. ولهذا كان رأى البعض اذا كان هذا هو عطاء الفرد منهم فالاحق بالسياسيين اولى الامر ان يستمعوا الى ارائهم ، الاحق بالاخذ بها .

هذه النظرة كلفت البلاد كثيرا .. ومازالت تكلفها كل يوم الكثير من الجهد ، المشقة ، الوقت والمال ..الى ان تصحح هذه الافكار لن ينصلح الحال .
ومن اجل هذا كان ايضا الصراع بين القوات المسلحة وأجهزة الأمن الأخرى ، لذا كان تداخل الاختصاصات وحساسيته تجاه اتخاذ القرارات .. فكل انقلاب او استلاب للسلطة تاتى مجموعته العسكرية مدعية اجتثاث الفساد لإنحراف السلطه القائمه ، وتحمل آراء محدودة ، وخيارات اكثر محدودية الرؤيا ويلجاؤن الى مايسمونه بالعدالة الثورية وتحطيم القانون وأداة القانون وكل من يتمسك بالقانون .. فهكذا كل مرة نحن واقفون فى محطة الانتظار حتى يأتى القطار الذى لا نعرف ميعاد حضوره .. ولا من يحمل لنا معه طوق النجاة .. لكنه آت .. فيطول الانتظار .
عندما تربع عبد الماجد وعمر على قمة السلطة كان الصراع يتخذ الشكل التالى :ـ
١ ـ صراع فى المؤسسة العسكرية جيش ـ جيش.
٢ ـ صراع بين الاجهزه العسكرية وشبه العسكرية جيش ـ بوليس.
٣ ـ صراع بين المؤسسة العسكرية والاجهزة الأمنية.
٤ ـ صراع بين الاجهزة الأمنية ـ أمن ـ إستخبارات.
٥ ـ صراع داخل الاجهزة السياسية .. الاتحاد الاشتراكى ..مؤسسات الدولة .. مجلس الشعب.
٦ ـ صراع على السلطة .. ابقاء النظام .. اسقاط النظام من الداخل.
٧ ـ صراع على مقاومة الفساد .. اجتثاثه.
٨ ـ صراع على تثبيت دعائم الفساد.
وفى خضم هذا الجو المتوتر لم يكن الفريق عبد الماجد فى حاجة ان يكيل ضربة لعمر الطيب ، لانه كان محتاجا لعونه فى دعم سياسته التى يؤمن بها .. لكن عبد الماجد كان عنيفا .. ولم يرض هذا عمرا .. بل اعتقد عمر ان عنف عبدالماجد سيجر وبالا عليه بل سيعطل كثيرا من استراتيجيته التى وضعها ويسير عليها .. فهى ما زالت ناجحة .. وعليه بدأت الخلافات بينهما تطفح على السطح .. ومعروف انه كلما اختلف اثنان فى

السلطة سرعان ما انقسم الناس حولهما .. وسرعان ما جاءت لكل طرف اخبار الطرف الآخر بما تجعل الخلاف يستفحل ويزداد .. وتساعد المناسبات السعيدة ومناسبات "المآتم" فى تبادل الاراء بين الناس ، وينسج اصحاب الغرض القصص والروايات .. وتزداد الشقة بعداً ، الصلة بين الرجلين لم تنقطع بسبب الوشايات .. الا ان الجميع بدأوا يسمعون ان منصب النائب الاول كان لعمر الطيب وتتداخل الخيوط وتحبك الاقاويل والوشايات .

يأتى عام ١٩٨٢ والعاصمة القومية تغلى ، والامور تسوء ، مجلس الشعب يعقد الجلسات والنواب يكيلون السباب والهمزات .. والاتحاد الاشتراكى يجتمع وينفض دون ثمرات ، وتخرج الى الشارع الزفرات مظاهرات ، وتتبادر الى الاذهان نذر سقوط الحاكم .. السولجانات .. حكم الفرد الواحد .

كان نميرى يستمع الى اعضاء مجلس الشعب .. نواب الشعب من جهاز التلفاز الداخلى ، الحديث ساخناً ، سخونة جو الخرطوم .. لا سخانة قاعة المجلس التى يحكون منها عن الفساد وعن المفسدين . المقربين من الرئيس نميرى .. وزراء يتقاضون عمولات .. ووزراء يبنون بيوتا بملايين الجنيهات ، وهكذا كان نميرى يستمع الى ما يقال فى المجلس .. وقرر ان يستمع الى الجيش .. فكان ان اجتمع بكبار ضباط القوات المسلحة ، الاجتماع المشهور المشهود به ، اجتماع الاسره الواحدة ، فالمجموعة الموجوده داخل القيادة العامة هى مجموعة تم اختيارها بواسطة الفريق عبد الماجد من الضباط ذوى الكفاءة وممن يثق بهم والذين كانوا يسيّرون وقتها دفة العمل داخل المؤسسة العسكرية ، ومعظمهم من الضباط الذين عملوا معه بالمعاهد العسكرية .. كانوا يشكلون مجموعه متحمسه لوأد الفساد حسب إعتقادهم ، كانوا كغيرهم يسمعون عن الفساد لكنهم لا يعرفون مكمنه ولا السبيل اليه ، لكنهم يحسونه ، هكذا اجتمع نميرى بالضباط داخل القيادة العامة ، كان الاجتماع محط انظار الجميع ، كان مواجهة ساخنة بين رئيس الجمهورية والضباط .. الضباط الذين سمعوا من زملائهم الاقل رتبة وجاءوا بحماس شديد ، تحدثوا للرئيس عن الفساد .. عن مستشارى الرئيس .. اقرباءه .. حتى حرمه لم

تسلم من التلميح بان لديها ثروة .. كان الفريق توفيق حسن أبوكدوك من كبار الضباط بالقيادة العامة . لكنه لم يكن ضمن المجموعة التى اجتمعت من قبل مع الفريق أول عبد الماجد وأعدت نفسها لذلك الاجتماع فكان غريبا عليه أن يسمع ما يقال ، طلب من الفريق أول عبد الماجد بصفته المسيّر للاجتماع أن يأذن له بالحديث فرفع يده مرتين فلم يسمح له عبد الماجد ، لاحظ نميرى ذلك فمنحه فرصة للحديث فقال الفريق أبوكدوك انه يرى أن الحديث الذى يدور عن الفساد يجب أن يحدد بطريقة قاطعة ، أى أن تكون التهم لها ما يسندها من الاثبات والبراهين . أما أذا كانت مجرد حديث ، فان بعض الضباط هنا فى هذا الاجتماع بنوا بيوتا أفخم وأضخم من بيوت الوزراء وهم أقل دخلا ومرتبا . فمن أين لهم بها ..؟ وعليه فانه يجب أن تحدد التهم وفى أى المواقع .. فهم الفريق أول عبد الماجد لماذا منح الرئيس نميرى الفرصة للفريق أبوكدوك ... فجأة غادر الرئيس نميرى قاعة الاجتماع .. علم الضباط بان الرئيس غاضب . وهكذا توجه الى منزله ووجد امامه من كان فى انتظاره ليحكى له عن خلفية الاجتماع والتحضير له .. لقد القى نميرى تبعية هذا الاجتماع على الفريق عبد الماجد لانه هو الذى اعد له ، واتفق .. على ما سيقال فى الاجتماع .. وهكذا فان دواعى الانضباط العسكرى لم تكن تسمح للضباط بمخاطبة رئيس الجمهورية بذلك الاسلوب بصفته القائد الاعلى .. وعليه فقد حمل الفريق عبد الماجد مسئولية الخروج عن قوالب الضبط والربط .. وما سمعه الرئيس من اتهام لمن حوله .

لقد أضاع عبد الماجد فرصة لا تعوض ، كان اجتماع قاعة الصداقه عام ١٩٨٢ حين قدم الرئيس نميرى إستقالته امام المجتمعين ورحبت به جماعات سياسية جديدة كان يجدر بالفريق عبد الماجد ان يتقلد السلطه منذ تلك اللحظة ، لاسيما وهو يتمتع بسند قوى فى الجيش ، لكنه رغم كفاءته كضابط عظيم ، وكما اسلفنا القول عنه ، لم يكن طموحه غير ان يصبح قائدا عاما للقوات المسلحه ، وقد تحقق له ذلك ، ليس ذلك فحسب بل اصبح بجانب ذلك وزيرا للدفاع ونائبا اول لرئيس الجمهورية والامين العام للاتحاد الاشتراكى

السودانى فى قفزات سريعة متوالية ، لكنه لم يشأ ان يهدم المعبد رغم تشجيع الكثيرين له بالتحرك لملء الفراغ الدستورى .. وقد اخطأ الفريق عبد الماجد فى عدم تحركه ، أذ ان الفرصه التى أوتيت له لم تؤت لغيره قط .. فقد اجتمعت له كل السلطات ، تأييد ، المؤسسة العسكريه ، المعارضة والتنظيم السياسى ، ماذا بقى .. لا شىء . كانت هذه هى فرصة عبد الماجد الذهبية .. لكنه تركها تفلت من يده أذ تعلق بعض اعوان نميرى وانصاره به واقنعوه بالبقاء فى السلطه قبيل مغادرته للقاعه .. وهكذا حمل بعض الضباط لنميرى كيف ان الفريق عبد الماجد حضر لهذا الموقف.. وتحرك نميرى بسرعة ، بذكاء شديد ، ذكاء المتبصر بشئون الحكم ، الدارس للمواقف العالم ببواطن الامور .. تحرك ليهزم عبد الماجد ومن التف حوله من الضباط ليضربهم ضربة قوية واحدة ..نام عبد الماجد ولم ينم نميرى حتى اعد لذلك الاجتماع ،، اجتماع الضباط بالقياده العامه ،، ليعزل الفريق عبد الماجد وكل الضباط الذين اشتركوا معه فى نقد ادارته .. بلغ عددهم ٢٢ ضابطا من كبار قادة القوات المسلحة بعد اربعة وعشرين ساعة فقط.

هكذا تحول الموقف من كفة راجحة باليمين الى كفة راجحة بالشمال .. فى خطوات اخطأ حسابها عبد الماجد واجاد تحويلها نميرى الى مصلحته ، فحقق بذلك تحولا فى الرأى العام لصالحه ، محافظا على مواقع انصاره ومسكتا مجلس الشعب القومى ، والاتحاد الاشتراكى ليخرج فى النهاية منتصرا من المعركة .

الذى خسر المعركة ، هو الفريق اول عبد الماجد الذى شكره نميرى على ما قدمه من خدمات جليلة للبلاد والقوات المسلحة ، فشكر الفريق عبد الماجد نميرى وقال له .. سوف تظهر لك الايام صدق نوايانا وصدق مقصدنا وذهب الى منزله .

فى اليوم التالى حضر الرئيس نميرى الى القيادة العامة وهو يحمل قوائم باسماء الضباط الذين احالهم على الخدمة المعاشيه .. حوت القائمه كل الضباط الذين تحدثوا فى الاجتماع اضافه الى الضابط العظيم الذى كان مصدر نميرى فى ذلك الاجتماع .. وهكذا ذهب الفريق عبد الماجد ومجموعته

.. بل ضم الكشف بعض الضباط الذين لم يوجهوا نقداً لنميرى لكن لهم عداء مع اللواء عمر .
هكذا اصبح الموقف مهيئاً للواء عمر .. الذى انتابته احاسيس ومشاعر شتى . منها ارتباطه بصديقه الفريق عبد الماجد وخوفه من التاثير على موقفه .. ومنها الالم والأسى لفراقه بتلك الصوره .. ومنها احلامه بتقلد المنصب من بعده .. لذا كان الموقف يتطلب من اللواء عمر حرصا شديدا وتبصرة ومراجعة مواقف .
كان اول المسرعين الى منزل الفريق عبد الماجد هو اللواء عمر محمد الطيب . مخففا عنه. لكن عبد الماجد الرجل العسكرى الشجاع لم يكن ليرضى ان يأتى اليه هؤلاء واولئك .. فقرر الانتقال الى منزله الخاص بمدينة النيل رغم انه كقائد عام يحق له البقاء فى منزل الدولة مدى الحياة ، حسب قانون معاشات القوات المسلحة.

اللواء عمر محمد الطيب ....الاشاعة تقوده الى القمة

لقد تلاحظ لنا وقتها ان اللواء عمر اصبح يميل الى العزلة ، ويتفادى الاجتماعات ولقاءات السياسيين وغيرهم ، تجده قابعا ، صامتا طوال اليوم بمكتبه . كان واضحا انه يفكر كثيرا ، يقلب الامور بكل وجهاتها .. يحسب حسابات ما كانت تخطر على بال وكان تواقا ليسمع بتعيينه نائبا اول لرئيس الجمهوريه، كانت الساحة مهيأة لذلك .. فهو قد اصبح الفارس الاوحد فى الميدان .. وهو بعيد عن كل مؤامرات او وشايات .. بينما هو كذلك أذ بخبر يتسرب ويملأ الساحة كلها .. اتهم اللواء عمر فى اخلاقه .. اصبح الرواة لها هم اعداءه .. اصبحت تروى كل صباح بشكل جديد .. يضاف اليها ما يجعلها مقبولة لدى المستمع .. فاصيب الرجل فى

مقتل .. أذ انها اشاعة نادرة الحدوث .. ولم يحدث ان تعرض مسئول لمثلها .. لذا كان تحرك اللواء عمر تجاهها بعنف وغضب جم .. كّون لجنة تحقيق من ضباط مشهود لهم بالكفاءة وكتمان السر ، ليتقصى عن مصدر الاشاعة .. أمر بقبض واعتقال كل من له يد فى الموضوع .. كان رأى البعض ان الموضوع جد خطير ومدمر .. وكان البعض يرى انه من باب تكسير الرجل سياسيا .. ورأى بعضنا ان الامر نال منه ، وقيل لعمر ان العمل السياسى وارد فيه مثل هذه الاشاعات .

ظل اللواء عمر طيلة اسبوعين كاملين فى حالة نفسية سيئه للغاية ، فماذا يفعل ..؟ أيستقيل .. لا .. أيسكت .. لا .. أ يتحرك .. نعم .. فى أى اتجاه .. ماذا يقصد الرئيس.

وبينما اللواء عمر فى حالته النفسية تلك قرر نميرى أن يحسم الموقف اسكاتا لكل هذه الاصوات ، حتى لا تتكرر مع مسئولين آخرين مستقبلا .. قرر نميرى أن يرفع الرجل الى منصب أكثر مسئولية وأكثر أهمية .

كان منصب النائب الأول شاغراً بعد عزل الفريق أول عبد الماجدحيث كان نميرى يفكر في من يملؤها .. وكان يفكر فى رجل عسكرى ، فجاءت الاشاعة عن اللواء عمر ، فكان لابد مما ليس منه بد ، رغم أن اللواء عمر كان من الناحية العسكرية ضابطا بالمعاش ، وعندما أوكلت له مهمة رئاسة الجهاز ، احتفظ برتبته العسكريه وزيه العسكرى بقرار من الرئيس لكى يعطى هيبة للجهاز ، تلك الهيبة التى كان يحتاجها الجهاز لأنه كان يضم جهازين وهيبة يحتاجها اللواء عمر ، لذا كان تعيينه نائبا أول لرئيس الجمهورية ورئيسا لجهاز أمن الدولة . قرر نميرى ذلك ، و بطريقته المعهودة لم يخطر أحدا بقراره .. بل طلب من اللواء عمر أن يقابله فى مكتبه فورا ..كان قرار تعيين اللواء عمر نائبا أول لرئيس الجمهورية قد صدر .. وأُستدعيت أجهزة الأعلام .. حضر اللواء عمر وهو فى حالة قلق لا توصف وهو لايعرف سبب إستدعائه العاجل .. عند حضوره قابل أحد مستشارى الرئيس نميرى وأنتظر حتى يسمح له بمقابلة الرئيس نميرى .. عندما علم الرئيس نميرى بحضوره نادي عليه .. وأخطره بقراره وطلب منه أن يؤدى القسم فى حينه ، لم تحمل اللواء عمر

رجليه .. فأدى القسم وذهب الى مكتبه ولا أحد يعلم .. دخل الى مكتبه وجلس هادئا يقلب الأمور ويسرح بخياله .. أذ دخل عليه مدير مكتبه العقيد هاشم أبو رنات ليقول .. **سيادتك اتصل د.بهاء من القصر وقال ترسلوا عربه لنستلم القرار الجمهورى بتعيينك نائبا أول** .. ومن الطريف أن العقيد أبورنات كان يعتقد انه قد أعد للواء عمر المفاجأة التى طال انتظاره لها ..

الفصل الثالث

- كيف نشأت فكرة القوانين الاسلامية
- مرحلة ما قبل أعلان قوانين سبتمبر ١٩٨٣ . ودور عمر الحاج موسى .
- مرحلة أعلان قوانين سبتمبر ١٩٨٣ .

من وراءها .. من الذين صاغوا تلك القوانين .. ؟

النيل - عوض الجيد - عمر عبد العاطى .

- إعدام الاستاذ محمود محمد طه .
- صحة نميرى وأثرها على استقرار البلاد.
- مراكز قوى جديدة بالقصر الجمهورى ..

عمر الحاج موسى والتوجه الاسلامى

يغيب على كثير من ابناء هذا الشعب الكريم فكرة توجه الرئيس نميرى نحو الشريعة الاسلامية .. لذا كان لابد لنا ونحن نكشف الخبايا والخفايا أن نوضح بأن نسترجع الى الأصول لتلك الفكرة ، نشأتها .. وكيف جاءت ..؟

المرحوم العميد عمر الحاج موسى ، وزير الأعلام فى حكومة نميرى ، كان له مجلس أنس ظريف ، كان رحمة الله عليه ، كما هو معروف للجميع متحدث بارع ، يجذب المستمع اليه فى شتى المواضيع ، فكانت تلك الجلسات تضم نفر كريم من أصدقائه والمعجبين بأسلوبه ، كان من رواد تلك الجلسات الأستاذ دفع الله الحاج يوسف ، الذى يهمنا أمره فى هذه المرحلة للدور الذى لعبه ، وآخرين .. منهم الفنان صلاح ابن الباديه .. كانت تلك المجموعة التى تلتف حول العميد عمر فى مجلسه تتخذ من نفسها جماعة أستشارية لنميرى فى الخفاء حيث تتبادل الأراء والافكار التى تتبلور لتنقل للرئيس نميرى .. خاصة أن العميد عمر مهندس لكثير من الأعمال السياسية ذات الأخراج المتقن .

الأستاذ دفع الله الحاج يوسف عضو فى جماعة الأخوان المسلمين طوال دراسته وحتى تخرجه والتحاقه بالعمل فى مجال المحاماة بمكتب الاستاذ محمد أحمد محجوب .. كان عضواً نشطاً فى جبهة الميثاق الاسلامى من بعد .. سافر ألى غرب أفريقا .. نيجيريا .. حيث التقى بالأخوين عثمان الطيب وابراهيم الطيب .. ذوى الاتجاهات المرتبطة بحزب الاخوان المسلمين .. ثم قامت علاقته بالدكتور خليل عثمان

الفنان صلاح أبن الباديه فمعروف عنه أنه شقيق الاستاذ النيل عبد القادر أبوقرون .. بدأ فنه بإنشاد المدائح النبويه ثم إتجه الى الغناء .. كان يكثر من جلسات دراسة العلوم الدينية لتربيته الدينية أصلا .

كانت البلاد تتقدم نحو الولاية الثانية لرئاسة الجمهورية ، طرحت فى مجلس العميد عمر الحاج موسى مسألة إيجاد برنامج لتلك الولاية ، الفكرة التى برزت فى تلك الجلسات هى تبنى الرئيس لبرنامج جديد يطّهر وينقى المجتمع مما لحق به

من ممارسات وسلوكيات ظهرت. وأصبحت حديث المجتمع ، حيث تفشت الرشوة والمحسوبية والسرقات وأكل أموال الناس ومعاقرة الخمر والنساء ، فاصبحت الداء فى مجتمع تلك المرحلة ، الفكره أن تنقح القوانين لتتماشى مع الشريعة .. جاءت فى تلك الجلسات فكرة القيادة الرشيدة ، ليبدأ الحاكم بنفسه ومن حوله .. حملت الفكرة للرئيس القائد الذى تبهره مثل هذه الأفكار فوقعت فى نفسه موقعا حسنا .. بل راقت له الفكرة واختزنها حتى يحين وقتها .

المرحوم عمر الحاج موسى لم يقف عند حد بث الفكرة وحدها بل ذهب أبعد من ذلك .. أقنع نميرى بأن المسألة والطريق لذلك يبدأ بتربية النشىء منذ نعومة أظافرهم تربية دينية صحيحة ، التربية الاسلامية الحقة دون جبر أو قهر .. عين نميرى دفع الله الحاج يوسف وزيرا للتربية ليقوم بذلك الدور بتغيير المناهج والبرامج التعليمية حتى يخرج جيلاً معافاً .. أذ أن اصلاح النشىء بالمدرسة لا يكفى أذ أساس الاصلاح هو البيت والمجتمع ككل .. فكانت مسألة القيادة الرشيدة وضوابطها وتطبيقها .. كتب الرئيس لكل معاونيه .. وأمتدت الى قيادات الخدمة المدنية والعسكرية حتى عمت عموم أهل السودان .

حتى ذاك الوقت كان نميرى يضع كل هذه المسألة فى اطارها الصحيح بإصلاح المجتمع من ناحية إجتماعية ، ليزيل ما علق به من شوائب ، لم يضعها فى اطار دينى فقط .. هذه للحقيقه والتاريخ .. ونحن عليه شاهدون .

كان تأثير المرحوم عمر الحاج موسى كبيراً على نميرى فلم يكتف العميد عمر الحاج موسى بذلك .. بل إنتهز فرصة إنتخاب الرئيس لرئاسة الاتحاد الاشتراكى تمهيداً لرئاسة الجمهورية للولاية الثانية فطرح افكاره تلك فى اسلوب دبلوماسى رائع جذب اليه الجميع فكان الإستفتاء عليه قبل الاستفتاء على رئاسة الجمهورية .. قال المرحوم عمر الحاج موسى .. :

(واحتشدت أمامنا نعم ٤ مليون و٢٥٦ ألف و٨٥٢ نعم قالوها بدون اكراه .. دون إغراء .. دون وعيد .. رددوها لحنا .. وشدوا بها نشيدا .. قالوها نثرا وشعرا .. عقدوها إجتماعات

.. كتبوها وثائق .. سطروها الواح ..
وأحبك أهلك سيدى الرئيس لأنك كرمت القرآن .. وأمرت مساعديك ومعاونيك أن يكفوا عن لعب الورق وشراب العرق وإستباحة الجمال .. وأحبوك لأنك تصلى معهم الأوقات الخمسة أماماً لهم فى جماعة تكفى سهوها ويدخر لنا اجرها،
أحبك أهلك سيدى الرئيس لأنك تحب الحق وتكره الظلم .. تستجيب لنبض قلوبهم .. وتعيد النظر فى القرارات الحزينة .. تقنن التأميم وتلغى المصادرة .. وتعيد المريخ والهلال ..)
هذا ما دعا له المرحوم عمر الحاج موسى .. نرى هنا عزيزى القارئ أن ما رمى اليه المرحوم عمر الحاج موسى أن يتبنى الرئيس مواضيع محددة تحديدا قاطعا .. تكريم القرآن .. والعاملين فى حقله .. القيادة الرشيدة .. أن يقوم أماما يصلى بالناس فى جماعة .. يقوم قرارت .. المصادرة والتأميم .. ويعيد المريخ والهلال لأنه كان مطلبا شعبيا .
عزيزى القارئ ... أظنك تذكر كيف ضجت القاعة وقاطعت خطاب السيد عمر الحاج موسى بالتصفيق الشديد .. وفى عدة مقاطع من ذلك الخطاب الموجه الخطير .. كانت سعادة نميرى لا تحدها حدود فقد كان مرتاحا لموافقة الناس على طرح السيد عمر الحاج موسى .. هكذا أخذت الفكرة حيزاً كبيراً فى نفس الرئيس نميرى وقتها .
ومن بعدها خطا نميرى خطواته التالية نحو كراهة الظلم وحب الخير والحق .. فأصبح يرتاد المناسبات الدينية للطرق الصوفية .. ٢٧ رجب .. المولد .. صلاة الجمعة فى كل منطقه .. كركوج .. طيبه.. أبوقرون .. كدباس .النيل عبد القادر أبوقرون .. خريج جامعة الخرطوم .. كلية الشريعة .. عمل فى القضاء . تقرر نقله الى الأبيض . النيل لا يريد أن ينقل .. كان أيضا لتربيته فى بيت دينى أتجه نحو الشريعة والإرتباط بها .. حاول أن يلغى هذا النقل بشتى الطرق .. سعى له والده الشيخ عبدالقادر أبوقرون لدى اللواء عمر محمد الطيب لما بينهما من رابطة دينية .. الطريقة القادرية .. اللواء عمر محمد الطيب من جماعة الشيخ الجعلى .. كدباس .. قادرية ، الشيخ ابوقرون
..قادرى ..ابو قرون ، لم تجد وساطة اللواء عمر ، وفىاحدى

المناسبات الدينية أُقيم أحتفال بقرية أبوقرون حيث وجهت الدعوة للرئيس نميرى من شيخها .. فى هذا اللقاء قال الشيخ لنميرى .. أننى اريد أن يكون النيل بقربى حتى يستطيع أن يتشبع منى ليخلفنى فى المشيخة .. إلا أن القضائية تريد نقله الى .. كان هذا الإلتماس للرئيس .. علم الرئيس ان النيل تخصصه قانون شريعة . وللفكرة التى فى رأسه وافق على أن يجد حلا للنقل .. فكان أن اختاره مستشارا له بالقصر الجمهورى .. رغم عدم وجود وظيفة له، ووجود ثلاثة من المستشارين بالقصر ، هكذا حُل الإشكال بنقل النيل ، دخل النيل القصر كأحد مستشارى الرئيس ، بالطبع لم يجد ترحيباً من العاملين بالقصر ، لكن هكذا كان سعى الرئيس لدى الطرق الصوفية وبالمناسبات الدينية ، و هذا لم يكن ليرضى جبهة الميثاق الاسلامى فهى تريد خطوات محسوسة وملموسة فى إستبدال القوانين ووضعها بما يتماشى والشريعة الاسلامية ، ثم أن الاستاذ دفع الله الذى كان يمكن أن يؤدى دوره فى وزارة التربية والتعليم قد انتقل من موقعه الى موقع وزارى آخر ، وتململت الجبهة وأخذ الدكتور الترابى يستفز بحديثه الرئيس عن عدم جديته فى إتخاذ خطوات إيجابية بعد القيادة الرشيدة ، أصبح الترابى يطلق التصريحات ، يقول كلاماً فى لقاءات سياسية وطلابية ، ثم ينكر أنه قصد منها ما نقل اليه ، لكنه أدى الدور . وهنا شعر الرئيس نميرى أنه لابد وأن يسحب البساط من تحت أرجل الجماعة ، بنفس طريقته وتفكيره فى مسألة التأميم والمصادرات التى كان ينادى بها الشيوعيون .

حتى هذه المرحلة لم يتخذ الرئيس مسألة تعديل القوانين تمشيا مع أحكام الشريعة على أساس سياسى ، بل كما أسلفنا على أساس تربوى ، تنقية المجتمع وسلوكه ، بتعميق الدور الحضارى للمجتمع .

فكانت محاولات مشروعات القوانين التى أعدت عام ١٩٧٨ . ويقول الدكتور منصور خالد فى كتابه " الفجر الكاذب ، نميرى وتحريف الشريعة " ص ٥ ـ ٦ حيث قال : ـ

" كانت المحاولات هى مشروعات القوانين التى أُعدت فى عام ١٩٧٨ عقب دراسات مستفيضة شارك فيها عدد من الفقهاء بهدف

اعادة النظر فى قوانين السودان لتتماشى مع الشريعة الاسلامية . وقيل يومها للناس أن مشروعات تلك القوانين تمثل التطبيق العملى الممكن ، فى ظل واقع السودان ، للشريعة الاسلامية ، وتلخصت تلك القوانين فى مشروع قانون أصول الاحكام القضائية لسنة ١٩٧٨ .. ومشروع قانون القروض الإستهلاكية والتعاونية لسنة ١٩٧٨ ... ومشروع قانون السرقه الحدية لسنة ١٩٧٨ .. ومشروع قانون حظر المعاملات لسنة ١٩٧٨ .. ومشروع قانون الآداب العامة لسنة ١٩٧٨ .. ومشروع قانون حظر الخمر لسنة ١٩٧٨ .. ومشروع قانون التعديلات العامة "حظر القمار" لسنة ١٩٧٨ . وقد أثارت بعض مشروعات هذه القوانين .. مثل مشروع الآداب العامة جدلا عنيفا بين الناس ، وقد قيل يومها للمعارضين والمتحفظين على مشروعات تلك القوانين بان تلك المعارضة والتحفظ أنما إثم كبير ومناهضة لشرع الله ."

لقد خضعت مشروعات هذه القوانين للتروى والدراسة المتأنيه التى أشرف على اعدادها علماء مشهود لهم فى صياغة القوانين وغزارة العلم والنضوج.

لكن هذا لم يكن ليرضى الاخوان المسلمين الذين جاءت زرافة منهم لتحتل موقعها فى قيادة التنظيم القائم آنذاك "الاتحاد الاشتراكى السودانى" وتؤدى قسم الولاء لدستوره وتعمل فى اطار منهجه "الاشتراكى" المعلن ، وتحاول فى اطار ذلك الدستور أن تنشر فكرها ورؤاها الاسلامية "الفجر الكاذب ص ٥ "..

ولذا فقد كان زعيمها الدكتور الترابى يتحرك لأداء ذلك الدور.

هكذا بدأ نميرى مرحلة سحب البساط من تحت أرجل الجماعة . فعين المرحوم الاستاذ الرشيد الطاهر بكر نائب عاما للقيام بتلك المهمة . لكن كان الرشيد يرى أيضا أن مرحلة التدرج ضرورية ، وعامل الوقت مهم .. فالمسألة فى نظره لم تكن فقط حشد قوانين وتشريعات ومواد بقدرما هى تدرج لتلك القوانين الموجودة المعدلة لفترة معقولة من الزمان . كان يفكر فى حشد جديد من العلماء ، والاقتباس من الدول التى سبقتنا فى هذا المضمار .. وثالث سبب شخصى .. لدى

المرحوم الرشيد أن أهله بكركوج زعامة الطريقة السمانية ، كانت قد طلبت من الرشيد أن ينقل لنميرى صراحة اعتراضها لتدخله فى مسألة الدين .. كان معروفا ذلك الرأى .. بل وطلبت من نميرى الابتعاد عن الخوض فى مسألة الدين . كما قلنا ، لم يكن نميرى ينظر
الى المسألة من ركنها الدينى ، بل ركنها الاجتماعى .. لذا كان تباطؤ الرشيد فى الاقدام والتنفيذ .
لذلك اتجه نميرى وجهة أخرى ، هى الاستعانة بالنيل أبوقرون .. النيل يعرف قدره ومقدرته فى الصياغة القانونيه فلجأ الى زميله وابن دفعته عوض الجيد محمد أحمد الذى التحق بعد أن أكمل تدريبه للمحاماة بمكتب الاستاذ عبد المنعم مصطفى المحامى وزامل الاساتذة مهدى محمد أحمد وعبد الله امين التوم .. كان عوض الجيد خريج كلية القانون المدنى .. بجامعة الخرطوم .. كان صديق للنيل فأتى به للقصر ليتعاونا فى الأمر .. وأستعان كلاهما بالاستاذ عمر عبد العاطى .. وبدأوا عملهم .
ولعلم القارىء الكريم .. هذه هى المجموعة التى صاغت قوانين سبتمبر ١٩٨٣ .
ويقول الدكتور منصور خالد فى كتابه " الفجر الكاذب ص ٥
" جاء التطبيق الفورى لقوانين لم تخضع لمثل التروى الذى خضعت له مشروعات قوانين عام ١٩٧٨ .. ولم تتعرض لمثل ما تعرضت له من حوار فى الصحف والمجالس وأنما بموجب ارادة سنية تجافت كل شورى ، وأشرف على اعدادها إيفاع قاصرون ليس من بينهم واحد يدانى فى علمه أياً من أولئك العلماء الذين احتشدوا لصياغة مشروعات قوانين السبعينات ومع كل مقولات السبعينات حول مخاطر التطبيق الفورى خرج نفس الفقهاء "والاسلاميين" يهللون ويكبرون لقوانين سبتمبر بحسبانها شرع الله ، حتى أضحى الناس فى لبس من أمرهم ،
أ يتبدل شرع الله هكذا كل صباح ..؟ "
سار الركب بالتشريع والصياغة والاجتهاد المحدود ، ومن ورائهم جبهة الميثاق الاسلامى بقيادتها وكل ثقلها .. فكانت قصة بيعة النميرى اماما .. بايعه الجميع .. جبهة الميثاق

الاسلامى كانت فى مقدمة المبايعين .. بايعناه بقيادتنا وضباطنا .. بايعه الجيش .. سوار الدهب والقادة والضباط والافراد .. كل القوات النظامية .. الاتحاد الاشتراكى .. جماعات الطرق الصوفية .. بايعناه جميعا اماماً تجب طاعته، فى كل شىء.

وهنا جاء دور الدكتور بابكر عبد الله وزير ديوان الزكاة .. وهو رجل عالم لا شك فيه جاء حين اعترض على البيعة للرئيس اماما، أذ قال ان للامامة شروط لا تتوفر فى الرجل .. وعدد تلك الشروط، فغضب منه الرئيس نميرى .. الا أنه أخفى ذلك حتى حين.

كما جاء ذكر الشيخ بابكر فى غير هذا الموضع، كان من أكثر العناصر التى تحاول أن تتقرب الى قلب الرئيس لنصحه بالنصيحة الصادقة التى يقبلها الله، وكان أكثر المتأثرين بهذا التقرب ورفضه اللواء عمر محمد الطيب الذى لم يكن ليرضى أن تكون للرئيس بطانة غير الذين يختارهم هو وبمعرفته، فكان يحاول أن يبعد هذا الرجل عن مجلس الرئيس.. وهكذا قامت المحاولات لإبعاده.

لقد صورت تلك الجماعة " النيل .. عوض الجيد .. بدريه سليمان " الأمر للرئيس بصورة مشوهة، فكانت أقوال الرئيس المتضاربة فى مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. تلك الجماعات التى قامت تحمل السيطان بيدها تجوب الأحياء.. وكانت أقوال الرئيس فى استباحة البيوت وحرماتها والدخول من غير أبوابها امور لا تمت الى الدين بصلة، بل مسخت سماحة الاسلام ونقائه. كان للشيخ بابكر دوره فى محاولة إبعاد الرئيس عن بعض المزالق. فكان بما له من مقدرات وقدرات يساعد الرئيس، ورغم ذلك تحدث انفلاتات لتأتى بعواقب وخيمة نعرفها جميعا .. تلك التى أدت بسوداننا الى مدارك سحيقه من الفوضى وتطبيق أعرج لقوانين لا تمت لشرع الله بصلة، بل أضرت بمصالح العباد فكان الأوفق والأجدر أن تتناول هذه الأمور والأفكار باسلوب علمى يهدف الى كشف الزيف ومحاصرة الارهاب الفكرى، لا بالتطبيل له وحرق البخور والسير به بدعوى اقامة شرع الله . والله برىء من شرعتهم.

كانت دعواهم تلك مطية ليصلوا بها وبعد ان وصلوا بها انسلخوا منها ورموا بها غيرهم.

(وأتقوا يوما ترجعون فيه ألى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.) صدق الله العظيم. سورة البقره. الآيه ٢٨١.

ماقبل قوانين سبتمبر ١٩٨٣

صحة نميرى وأثرها على استقرار البلاد

عندما اعلن الرئيس تطبيق الشريعة لم يكن احدا من العاملين معه من وزراء وآخرين يظنون ان اللعبة قد بدأت تتغير .. فقد تمكنوا اخيرا من معرفة كل اساليب الرئيس وطرقه، ولم يكن صعباً عليهم العمل معه او الطبخ لما يودونه .. ولقد قال الرئيس نميرى لعمر محمد الطيب انه يريد عمل هزة فى الشعب الذى خملت حركته ويريد ان تكون هناك صحوة .. حسنا لا يعترض احد على هذه الهزة او هذه الصحوه .. وهذا التغيير خاصة عمر محمد الطيب الذى كما نعلم عنه انه يريد تطبيق الشريعة بشدة ولقد اخبرنى اللواء عمر انه شخصيا قال للرئيس مره عندما كان يحدثه عن رصد الجهاز للسلوكيات اللا اخلاقية قال له .. **"ربنا حيسألك يا السيد الرئيس"**.

لكن قبل ان نتعرض كثيرا للهزة التى ارادها الرئيس نميرى .. ما هى الهزة التى ادت بالنميرى الى هز الشعب كله .. ؟ مما لاشك فيه ان الرئيس نميرى عندما اعلن القيادة الرشيدة والتى طلب فيها من المسئولين الاقلاع عن تعاطى الخمور والتمسك بالاخلاق، كان نميرى قد بدأ فعلا فى تطبيق الامر

على نفسه ..كان واضحا منذ بداية حركة هاشم العطا ان نميرى قد اخذ خطا مغايراً للخط اليسارى الذى كانت تتجه ثورة مايو هذا الخط فيه الوجهة الدينية وملامح التصوف .. لذلك اعتقد نميرى عندما كان يتحدث عن اللجوء الى الدين ، لم يكن الامر مرتبطا باى شهوة حكم كما كان يقول بعض الساسة.. لان الخط الذى دعا له نميرى كان صعبا فى المقام الاول على معظم مؤيديه لكنه تجرأ وطرحه .

هل اعلان الشريعة الاسلامية بواسطة نميرى موضوعة ضمن خطته ؟ واذا كانت ضمن خطته فهل جاء ذلك فى الوقت المناسب ؟

المراجع لخطابات نميرى فى الفترة التى سبقت اعلان الشريعة نجد انه تدرج بالقيادة الرشيدة ثم ايقاف بيع الخمور ببعض الاقاليم ثم وقف بيع الخمور بام درمان ثم الغاء قرار بيع الخمور بام درمان من الرئيس شخصيا .. وسياقة أسباب مقنعة لكنها غير شرعية.. ثم اعلان الشريعة الاسلامية .. ثم قوانيين سبتمبر .. فترة حافلة بمتناقضات وسقوط نميرى .

ان الفرق بين قوانيين سبتمبر ١٩٨٣ وسقوط نميرى فى ابريل ١٩٨٥ كانت فترة اقل من العامين .. وكانت فترة ساخنة بحق .. ليست ساخنة بسبب القوانين الجديدة فقط انما بسبب سخونة رأس الدولة وتناقض قراراته .

ياترى ماذا حدث للرجل ..؟

هل هو هوس دينى ؟ هل الرجل ؟

الرجل يعيش الان عاديا فى مصر .. لاهوسة .. لا لوثة تتلمسه .. يصوم كثيرا ويرعى الايتام ويمارس السياسة ويقابل السودانيين.

اذن ماذا جرى له ..؟ هل خدعه مستشاروه .. ؟ ام إغتر بالحكم والحكم يفسد الحاكم ..؟

ربما نعم .. ربما لا .. لكن دعونا نحكى .. الرئيس نميرى عند سفره لامريكا عندما اصيب بنوبة ضغط عال عاد منها بعد اجراء جراحة فى شرايين متصلة بالرأس وكانت الجراحة لنوع من الضغط العالى اشتهر به الحكام ورجال الاعمال واصحاب المسئوليات الجسام .. يعود نميرى الى كرسى الحكم مرة اخرى وكان عليه ان يتعاطى عقارا معينا لهذا المرض .. هذا

العقار قوى جدا ويتم تناوله فى ايام محددة من الاسبوع مرتين فقط .. نصحه الاطباء عند تعاطى هذا العقار ان يخلد للراحة التامة .. وألا يقوم باصدار اى قرارات متعلقة بالعمل .. لكن الرئيس وكما يقول عن نفسه .. **انا عنيد .. عنيد .**

كان لا ينام .. لايرتاح .. وكان لابد ان ياخذ العلاج . عند تعاطيه للعلاج فى اليوم المحدد مفروضا عليه ان يخلد للراحة حسب توجيهات الطبيب حتى ساعة متاخرة من صباح اليوم التالى . كانت برامج عمله فى اليوم التالى تبدأ بعد الساعة الثانية عشر .. كان من حوله يحرصون ان ياخذ العلاج وان يرتاح .. لكن نميرى كان ياخذ العلاج وينسى توجيهات الطبيب .

بما ان مبانى جهاز الأمن مجاورة لمنزل رئيس الجمهورية وللقيادة العامة .. ولارتباط عمل الرئيس بنائبه الاول .. فقد كنا نتابع من خلال مكتب النائب الاول كل تحركات الرئيس منذ استيقاظه صباحا حتى نومه مساءا .. كنا نعرف ان كان الرئيس قد خضع للعلاج ام لا .. ونعرف ان برامجه غدا ستبدأ متاخرة . فى الصباح نعلم من ضباط حراسته ان الرئيس نائم .. وفجأة يخرج الرئيس بادياً عليه الارهاق .. رغم انه لا يحب ان يبدو عليه ..وفى دقائق ينطلق موكبه الى حيث يود ان يذهب

حدث ان قابلت (١) احد دبلوماسى السفارة الامريكية فى حفلة استقبال .. وقد ابدى انزعاجه الحقيقى من تحرك الرئيس نميرى اثناء فترة العلاج وقال ان الرسالة التى حملها له الاطباء بان يخطروه بان هذا الدواء خطر وخطر جدا عليه وعلى الدولة . اذ عليه ان يخلد للراحة لان هذا الدواء يجعل الجسم والعقل مسترخيا ..عندما يحدث هذا الاسترخاء فانه قطعا يكون فى حالة اخرى .. ويكون كمن يتخذ قرارا وهو نصف نائم .

وهكذا بدأنا نسمع عن قرارات عجيبة تصدر ، بدأنا نسمع

العقيد/ ابورنات

قرارا جمهوريا يتخذ فى المساء ويلغى فى الصباح ومن..
منّ ؟ نميرى ذلك الحاكم اذا اتخذ قرارا فان الدنيا تقوم وتقعد.. لا يتراجع عنه.. الا ببديل مقنع بعد اضافة جملة " ان الثوره تراجع ولا تتراجع" .وهل يا ترى ان ما نعرفه قد عرفه غيرنا من ان الرئيس نميرى يتعاطى علاجا معينا يجعله غير متزن فى اتخاذ قراراته .. طالما عرفناه فلابد لغيرنا ان يكون قد عرف .. وطالما ان غيرنا قد عرف فلابد ان يكون من ضمن هؤلاء الغير مجموعة يمكنها الاقتراب من نميرى والتاثير عليه .

وكان ماكان .. اصبحت عاطفة نميرى تجاه اهله قوية .. ولا ادرى هل عرفوا .. ام انها عاطفة اراد بها التكفير عن قسوته عليهم ايام مايو الاولى عندما كان خط مايو شيوعيا عندما كان اثاث بيته كما قال للمرحوم عبد الخالق محجوب هو نفس اثاث بيته قبل مايو .

عرف بعضهم ذلك ..وكانوا ادرى من غيرهم بنقاط ضعف نميرى .. قرر بعضهم استغلال الامر لمآرب شخصية .. وقرر بعضهم تسخير هذا الضعف الى قرارات سياسية لمصلحتهم .. وقد كان هناك اتهام قوى لجماعة الاخوان المسلمين بانهم قد استغلوا لحظات ضعف الرئيس نميرى لتنفيذ كثير من القرارات التى لم يبد فى الامر ان لهم يد فيها .. ويقال انهم استخدموا رجلهم ال COMPROMISER احمد عبد الرحمن محمد الذى كان يجد احتراما شديدا من الرئيس نميرى .. دللّ هؤلاء المراقبون على الامر بواقعة الشريعة الاسلامية .

كان اعلان الشريعة الاسلامية فى عيد الاضحى من عام ١٩٨٣ .. اعلنها نميرى فى زيارة لمسقط رأسه بقرية ود نميرى لقضاء اجازة العيد بين اهله وكان احمد عبد الرحمن محمد آنذاك يؤدى فريضة الحج .

قفل احمد عبد الرحمن عائدا الى السودان بأول طائرة عائده من الاراضى المقدسة .. امضى طيلة يوم حضوره مع الرئيس نميرى بمنزله الخاص .. بدأت الزيارة صباحا وانتهت مساءاً .

صباح اليوم التالى كانت القرارات بدأت تخرج فى صيغة الاعلان عنها بامر جمهورى .. كان اول قرار صدر هو الافراج عن جميع السجناء والمجرمين .. والعفو عنهم واعطائهم فرصه

ليتوبوا على ان يحاكموا تحت طائلة قوانين الشريعة الاسلامية اذا ما ارتكبوا اية جناية اخرى بعد ذلك .
هذا القرار قد اتهم به احمد عبد الرحمن مع قرارت أخرى .. الا ان هذا القرار بالذات لنا فيه وجهة نظر اخرى ، وهى ان السيد احمد عبد الرحمن والذى اعرفه (١) هو رجل انسان فى المقام الاول ولقد شهدت له مرة موقفا عندما كان وزيرا للشئون الداخلية ، فقد قام بزيارة لسجن كوبر بحكم انه الوزير المختص .. بعد هذه الزيار كتب خطابا شديد اللهجة لم أعهد مثله من وزير يخاطب النائب الاول لرئيس الجمهورية .. فقد كان عنيفا فى خطابه وتحدث عن الحالة المزرية للسجناء السياسين وخلافهم ويطالب بتوفير الاموال اللازمة لتحسين وضع السجون بالسودان .. كنت اتوقع ان يكون النائب الاول أيضاً جافاً فى رده .. الا ان النائب الاول تحمس وطالب وزير المالية بتوفير المال اللازم .. بل وأمرنى أن أوفر مالا عاجلا من وزارة المالية وتسليمه لرئاسة السجون .
هنا عرفت القصة من أولها ، احمد عبد الرحمن كسياسى ينتمى لجماعة الاخوان قضى عدة سنوات معتقلا بالسجون .. عانى فيها ما عانى .. ويقال ان فترة السجن خلفت فى نفسه ذكرى اليمة .. وانه كان حساسا تجاه اعتقال السياسين .. وانه يرأف بالمساجين والمعتقلين .. اذاً فلا عجب ان كان قد اتصل بنميرى ليخفف العبء عن هؤلاء السجناء والمعتقلين .
نعود لأمر نميرى .. كان هناك استغلالاً كاملاً ومنظماً لحالة الرئيس تلك ، من اطراف كثيرة ومتناقضة .. كانوا يمدونه بمعلومات يعلمون انه لا يتخذ منها قرارا ويؤثرون عليه لاتخاذ القرار عند الساعات التى يكون متأثرا فيها بتعاطى الدواء .. كان هذا الاستغلال يتم كأنما لم يتدخل احد .. تدخلت فى الامر رئاسة الجمهورية بمستشاريها وبعض الوزراء ونواب الرئيس وحرسه الخاص وحتى خاصته واهله . وهكذا أصبح اليوم الذى يحقن فيه الرئيس بالدواء يوماً للتباري فى إخراج القرارات الجمهورية .
فهل لهذا السبب وحده سقط نميرى ..؟ كلا .. لقد كان هذا

---

(١) العقيد/ ابورنات

عاملا مساعدا فى ان ترتيك الامور وان تتعقد وحرى بنا ان نبحر اكثر فى الفتره التى سبقت الانتفاضة والتى سقط فيها نظام حكم استمر ستة عشر عاما .
سقط بسرعة تفوق التصور .. وانهار كأن لم تكن له دعائم، ان سقوط مايو لا يعنى اطلاقا انها لم تقم على دعامة وعلى مبادىء .. لكن سقوطها كان كما قيل" ان الثورات عندما تقوم ولكى تكون قوية .. فان التضحية ونكران الذات هو قوامها .. وبالتالى فى مراحلها الاولى تفقد كثيرا من ابنائها .. ولذلك فالمثل يقول "ان الثورات تأكل بنيها" وفى مايو شهدنا الثوره تأكل بُناتها".
ان مايو وبرغم انجازاتها التى سوف يقيمها التاريخ فيما بعد .. الا ان هناك هدما مستمرا قام به كبارها .. هد من دعائمها وجعلها حركة عسكرية بحتة يقودها رجل واحد يسمع عندما يريد ان يسمع ولا يسمع عند ما لا يريد ان يسمع .. ياخذ بالنصح ثم لا يعمل به .. قلبه طيب لكنه متعلق بالحكم .. والتعلق بالحكم ليس نزهة .. لم تسقط مايو لتلك الاسباب .. ولا لكل ما ذكرنا .. مايو سقطت لأن وزير دفاعها وجهاز استخبارات جيشها سلب السلطة .
سنتعرض هنا للجوانب التى لمسناها او شاهدناها فى الفترة من ١٩٨٣ وحتى ١٩٨٥ .. كان اللواء عمر محمد الطيب سعيدا بتطبيق الشريعة الاسلامية واعلانها وهذا ناتج عن تربيته الدينية .. الا اننا لاحظنا انه كان قلقاً جداً ، كان يعرف تماماً ان الوقت غير مناسب .. كان على علم بدقائق الموقف الاقتصادى وهو كسياسى ومناور كان يرى المستقبل مظلماً ، لم يكن ظاهرا فى ايام اعلان الشريعة الاولى ان الاخوان المسلمون لهم يد فى هذا الاعلان ولم يكن معروفا ماذا ستكون الخطوة التالية والمستقبل كان مجهولا تماماً .
كان واضحا ان اعلان الشريعة الاسلامية ، خطوة انتحارية كان القصد منها انقاذ الموقف الاقتصادى باعانات عاجلة من الدول العربية الغنية والتى تعزف فى هذا الوتر لم يكن نميرى يتوقع ان تفشل الخطة .
تصوف نميرى واقتنع بان تطبيق الشرع هو الحل .. لكنه لم

يبدأ بالحل العلمى لان الحل العلمى قد تضاهيه تطويلات لا يحتملها الموقف .. الرئيس نميرى تصور الموقف كالاتى :
١ - ورود اموال من الدول العربية لاعانة تطبيق الشريعة وتعويض الدخل الناتج من ارباح الخمور.
٢- دخول مستثمرين عرب الى السودان.
٣- فرض قوانين تضبط الشارع وتقلل من الفوضى والتسيب المالى.
غير ان استجابة الدول العربية كان على غير ما توقعه نميرى .. وعاملت الامر على اساس انه سياسة داخلية وان من واجبها كدول مسلمه هو التهنئة على هذه الخطوة فقط .. معنى ذلك ان الاستثمار لن ياتى عاجلا من الدول العربية .
ترقب نميرى الشارع .. ويبدو ان مجالس الاخوان المسلمين السبعية والاربعينية تجمعت وناقشت ورأت انه بغض النظر عن كل رأى سواء كان مرتبطا بتوقيت الاعلان او طريقة الاعلان او سببه .. فان الشريعة قد اعلنت ولابد من تأييدها ولابد لهم من السير فى طريقها .. وهكذا خرجت ما يسمى بالمسيره المليونية مؤيدة . كانت دفعة قوية وخيالية لم يتوقعها الرئيس ، هامت وهام بها ورسم فى خياله الاساطير وسمعنا روايات عن الوزير الذى اخطر الرئيس ان الرسول (ص) يجلس بجانبه على الجهة اليمنى وانه يجب ان يكون هناك كرسيا خاليا عن يمينه .. سمعنا من يبشره بالجنة ليصبح المبشرون بها احد عشرة ، كان نميرى غارقاً فى تصوفه وتصوُره ،كانت هذه المجموعة تختار اوقات الضعف ،اوقات جرعة الدواء ، كان هناك عاقلون يتكلمون معه ، كان يستمع اليهم ولا يسمعهم .. كان الوتر الوحيد الذى اذا دق عليه يتذكره هو وتر التهديد بسلب السلطة .
ظل القصر الجمهورى يصدر الاوامر المؤقتة لقوانين سبتمبر .. كان يعمل بها قبل ان تجيزها الهيئة التشريعية فى البلاد " مجلس الشعب " ، كان يصيغ هذه الاوامر قانونيين مغمورين .. هم النيل ابوقرون وعوض الجيد محمد احمد .. وبدريه سليمان . لم تسلم كما اسلفنا هذه القوانين من اخطاء .. لم يسلم تطبيقها فى محاكم الطوارىء من اخطاء اخرى .. لكن الخطأ الاكبر كان ان بعض القضاة ينفذون احكاما لا

يؤمنون بنصها ..كان الحافظ الشيخ الزاكى الذى انتقد حكما بالقطع من خلاف لمحاسب وادسيدنا ، استدعى فى اليوم التالى الى إصدار أمر جمهورى بعودته الى ديوان النائب العام مستشارا .

كان بعض القضاة متشددين ومتحمسين للشرع ناسين اومتناسين ان القاضى هو الذى يقضى بين الناس بالعدل .. كان بعضهم يبحث عن وسيلة يدين بها المتهم بدل البحث عن وسيلة يبرأ بها المتهم .. جاء بعضهم بعد سقوط نميرى ليقولوا انهم كانوا يفعلون ذلك لاسقاط النظام .. يا لعمرى سقوط نظام بقطع يد ورجل .. وقتل برىء .

كان الاخوان المسلمين وبحكم انها فئة منظمة حريصون على ان يؤيدوا النظام وان يقفوا مع الشريعة دون ان تكون لهم اصابع ظاهرة فى الامر . ان السبب الرئيسى فى ذلك انهم لم يكونوا مطمئنين للوضع ، كانوا يعلمون ان انهيارا اقتصاديا قد وقع ، كانوا يعملون مع النظام وفى أجهزته ، لكنهم لم يكونوا ابداً واثقين من تقلبات الرئيس ، هكذا اصبح الامر بالنسبة لهم ، مهم جدا ان يؤيدوا الشريعة ويقفون معها والاهم بالنسبه لهم ان يكونوا حريصين كل الحرص . فعلى الاقل البرنامج الذى فرضه نميرى لم يكن برنامجهم ، وهكذا نجد ان كل الافراد الذين تعاونوا مع نميرى كانوا اما من الكادر المكشوف بانتمائه للتنظيم او من الكادر الذى يعتبرونه اخا مسلما من الدرجة الثانية او من المسلمين الذين لهم علاقات ود مع تنظيم الاخوان المسلمين ، ولهذا لم يشركوا ايا منهم فى السلطة حين انفردوا بها .

وبادىء ذى بدء نبدأ بعوض الجيد محمد احمد .

عوض الجيد محام شاب له مكتب فى المنطقة الصناعية بالخرطوم جنوب ، إشتهر قليلاً عندما تولى الدفاع عن جعفر اشيقرا المتهم باستيلائه على اراضى كثيرة فى المنطقة الصناعي بحكم وضعه السياسى كمسئول عن المتطقة . كان يعمل عملا متواضعا ، كان معروفا عنا انه متزن اخلاقيا .. كان شابا هادئا بالجامعة .. وحتى الان .. لم تظهر نجوميته الا بعد ان ظهر كاحد القانونين بالقصر الجمهورى .. حاول كثير من العاملين بالدولة نسبة الى تنظيم الاخوان المسلمين

الا انه لم تبد ظواهر تدل على هذا الإنتماء ، انما يبدو انه كمسلم ملتزم له تعاطف ما مع بعض اقرانه من الاخوان المسلمين ، ولا نستطيع ان نحدد مدى علاقته بالاخوان ، لكن مما لا شك فيه ان هناك علاقة ما قد نشأت ، لاننا علمنا ان معظم القوانين التى تمت صياغتها باوامر مؤقتة ورفعها النيل ابو قرون وعوض الجيد وعمر عبد العاطى كانت معظمها تصاغ فى جامعة الخرطوم بواسطة بعض اساتذة القانون من جماعة الاخوان المسلمين،

كان واضحاً ان المستشار القانونى عوض الجيد ورفيقه متحمسان ومندفعان بشده نحو تطبيق الشريعة الاسلامية خاصة القوانين التى صاغها ثلاثتهم ، ووضح ذلك عند تعقبهم الشخصى للمتهمين فى القضايا وإبلاغ الرئيس بها ، ومتابعة كبار المسئولين بالدولة خاصة اصحاب المناصب الحساسة ممن ليس لهم انتماء لحزب الاخوان المسلمين ، كانت هذه ظاهرة دالة على ان مصادر معلوماتهم ربما كانت ايضاً من كوادر الاخوان المسلمين .

وضح منذ بداية تطبيق قوانين سبتمبر ان الامر ذو شقين ، الشق الاول هو إجراء نظافة داخلية للكوادر الغير موالية . او التى تشكل خطورة على عوض الجيد والنيل ابو قرون وانصارهم ، ثم ابعاد كل المقربين من نميرى ، سواء بتهم حقيقية او سماعية ، مثل ما حدث للواء أمن كمال حسن احمد نائب رئيس الجهاز ووزير الدولة بجهاز الأمن وتم عزله من جميع مناصبه برواية سماعية وصلت الى نميرى عن طريق شخص اوصلها الى احد مستشارى نميرى القانونين . كان هناك شق ثالث من الامر وهو المضى حثيثاً فى قوانين الشريعة توطئة لاعلان الدولة الاسلامية وتنصيب الرئيس نميرى إماماً للمسلمين .

كانت هذه التحركات مزعجة تماما للواء عمر محمد الطيب عندما بدأ الامر يمسه هو شخصيا ، عندما علم ان عوض الجيد شخصيا بدأ يتتبعه ، وبأن الامرأصبح جلياً عندما تم القبض على شقيق اللواء عمر بتهمة تخزين حوالى طن واحد من السكر ، لم يكن مقصودا اطلاقا اخ اللواء عمر بقدر ما كان المقصود هو اللواء عمر وجماعته .. فلكل سياسى عشيرة

واهل وجماعة تؤيده. هنا لابد ان نعرف ان التهمة نفسها كانت بسيطة وهى ان الفاتح محمد الطيب كان لديه مخزن لتعبئة المياه الغازية وانه استلم سكرا للتعبئة ولم يعلن عنه للسلطات ، لكن الرجل اثبت انه كان بمدينة القضارف فى الفترة التى طلبت فيها الدولة الاعلان عن السكر ، كما اسلفنا ان اعداء اللواء عمر لم يكونوا اخوانا مسلمين فقط ، بل كانت له بعض الصراعات فى الجيش .. كان له اعداء سياسيون ، وهكذا سرب احدهم المعلومه الى الجيش وقامت المظلات بوضع يدها على السكر والمخزن وفتح بلاغ بالبوليس ، وارسلت القضية الى قاضى ينتمى لتنظيم الاخوان المسلمين وهو القاضى " حاج نور" وتحضرنى فى هذه الواقعة قصة حكاها لى احد الاخوان (١) انه علم ان حاج نور عندما قدمت له القضية وجد انها قضية بسيطة لا تحتاج لعقوبة كبيرة ، لكنه فى نفس الوقت كان يعلم ان المتهم هو أخ اللواء عمر محمد الطيب النائب الاول لرئيس الجمهورية وان براءته من التهمة او إنزال عقوبة هينة به قد يؤدى الى اقاويل و عقابه عقاباً رادعاً قد يؤدى الى اقاويل ايضا ، المهم اصدرت المحكمة حكمها بسجن المتهم لمدة شهرين يقضيها باصلاحية الجريف غرب .

كانت هذه الحادثة بمثابة المؤشر لعمر محمد الطيب بان الامر سيطاله فى النهاية خاصة ان بعض المصادر أكدت لعمر ان الشئون القانونية بالقصر تحاول الحصول على معلومات عنه وعن علاقاته ونشاطه السياسى وحتى املاكه .. وان كان هناك فساد ام لا.

حرب بين عوض الجيد وابوقرون يسندهم نميرى من جانب وبين كوادر مايو من جانب آخر منها السياسى والتنفيذى .

اين كان يقف النيل ابوقرون ؟ صار النيل احد ابناء القصر المشاهير بين ليلة وضحاها ، كان يريد للشرع ان يسود حسب ما يفهمه هو ، كان كذلك يريد لاهله ان يسودوا حتى تكون لهم الزعامة القادرية .. بالتالى اصبح عمر محمد الطيب الذى لم يساعده فى الغاء نقله الى الابيض .. اصبح الان بين مطرقته

---

(١) العقيد/ ابورنات

وسندان عوض الجيد .
هذا ما اعرفه تماما عن تضييق الخناق عل عمر ..لكننى علمت ان خناقاً كهذا حدث للكثيرين بعضهم بالخدمة المدنية وبعضهم من الوزراء ، كانت الاخبار تلتقط ثم ترسل بسرعة البرق الى القصر فتتخذ الاجراءات.. كانت إجراءات قاسية وظالمة لان فرصة العدالة فيها غير متوافرة وليس بها بينه او يمين .
اما فى المحاكم فقد شهدت المحاكم احكاما مجحفة واخرى جائره ، واسوأ ما فى الامر ان بعض الاحكام كانت متعجلة وكان فيها القطع والصلب والقطع من خلاف والاعدام .
وتحضرنى فى هذه الواقعه قصة (١) عندما تم اصدار القرار من احد المحاكم باعدام الواثق صباح الخير كان الرئيس مسافراً فى اليوم الذى يليه ، ولما كان اللواء عمر باعداً نفسه كثيرا عن محاكم الطوارىء واجراءاتها ، لرأيه الخاص حولها ، يبدو ان هناك من سرب لنميرى هذا الرأى ، هكذا لم يشأ نميرى ان يوقع على إعدام الواثق صباح الخير ، فوجه بان يوقع على الاعدام نائبه الاول فى غيابه ، يبدو انه كانت فرصه لا تعوض لإقحام اللواء عمر فى امر لا يشأ ان يفعله ، هكذا اسرعت الشئون القانونية فى اليوم التالى بارسال الاوراق للواء عمر مع الحاح شديد بضرورة التوقيع عليها فورا ، عندما وصلت الاوراق للواء عمر وقع عليها اللواء عمر فوراً ، وهكذا فوت فرصة عليهم .
كان اكبر حدث فى عهد تطبيق الشريعة هو تكسير الخمور، تليه حادثة اعدام محمود محمد طه ، ومهما يكن من امر اعدام محمود محمد طه واختلاف الاراء حول تكفيره ، الا ان اعدامه كانت له النتائج التالية :-
١- افسحت المجال للاخوان المسلمين للعمل بحرية دون منافس حقيقى.
٢ - ابرزت ان النظام اصبح يناقض نفسه ، أذ ان نميرى لم يرفض من قبل التعامل مع محمود محمد طه على اساس انه كافر ، وذلك عندما كانت جماعة الجمهوريين تقدم تأييدها للنظام .

٢ ـ أدت حادثة الاعدام نفسها الى ردود فعل عالمية واسعة كانت فى جملتها إدانة كامله للنظام .
اصبحت الاخبار تتواتر وتتوالى عن محاولات ضرب اللواء عمر محمد الطيب ..والحقيقة ان الخطة كانت تشمل تطهيراً كاملاً للوزراء ، كانت الخطة تسير نحو ما اسماه نميرى بثورة اسلامية تشريعية ، لكن كما اسلفت فان نميرى كان يقف ومعه رجلان وامرأة حتى الذين كانوا يريدون تطبيق الشريعة لم يكونوا مع نميرى وفى الجانب الآخر كانت قوى المعارضة وتذمر القوات النظامية وحرب الجنوب وحرب مراكز القوى .
كان لابد للواء عمر ان يسعى لايقاف الضربات التى بدأ يكيلها له مكتب الشئون القانونية بالقصر الجمهورى . بدأ اللواء عمر تحركه فى إتجاه نفس المكتب ، كان سهلاً عليه ان يخترق جدار النيل ابوقرون وصعبا جدا عليه ان يخترق جدار عوض الجيد محمد احمد ، قام اللواء عمر بإتصالات قوية بمن له صلة بالنيل ابوقرون وتوجه بكلياته لدعم اهالى منطقتهم وبدأ يؤثر نفسيا فى المجموعة التى تحيط بالنيل ابوقرون حتى أثمرت المحاولات بمقابلة النيل ابوقرون واللواء عمر محمد الطيب ذات امسية عام ١٩٨٤ تناقش فيها الاثنان ، يبدو انه وضح ان هناك خط التقاء يجمعهم ، ذكر لى (١) شاهد عيان ان النقطة الهامة فى الموضوع ان النيل بدأ يشعر ان عوض الجيد قد بدأ يسرق منه الاضواء ، هكذا حقق اللواء عمر خطوة مباشرة نحو تغيير وجهة نظر احد الاعداء ..كانت اخبار مثل هذه اللقاءات تصلنا مباشرة ، كانت عادة اللواء عمر ان يحافظ على اسراره الخاصة وكنا نجد صعوبة احيانا فى فهم بعض الاشياء ، لكن كانت مثل هذه اللقاءات تصلنا ، كان الوسطاء يعتقدون اننا نعرف كل شىء ، كانت القوات التى تقوم بحراسة اللواء عمر وهى ما تسمى بفرقة المتابعة على اتصال مباشر معنا بالراديو ، بالتالى كنا نعلم اين موقع النائب الاول ومع من يجلس ، هكذا كنا نعرف ، اصبحت القناه مرنه جدا مع اللواء عمر والنيل ابوقرون لكن كان الرأس بعيد

---

(١) العقيد/ ابورنات

المنال ،والرأس هو عوض الجيد محمد احمد .
ذات يوم أتى احد المصادر الى اللواء عمر ، كان يتصل باللواء عمر بعد ان يأتينى طالبا المقابلة ، قال له المصدر انه قد قابل عوض الجيد ، "فات على ان اقول ان هذا المصدر شاب يتمتع بدهاء عال". وان اللواء عمر اخطره ان يقول انه يعمل بالجهاز ، ثم بدأ فى انتقاد الجهاز ، واللواء عمر محمد الطيب ، ثم قال ان عوض الجيد يريد معلومات عن اللواء عمر محمد الطيب وعن املاكه وعلاقاته بالسياسين وعمل الجهاز والمشاكل التى به ، بعد ان قابل المصدر اللواء عمر محمد الطيب ، تم اخطاره بان يواصل مع عوض الجيد.
انا شخصيا لم استنكر تصرف اللواء عمر هذا لاننى اعتقد انه وفى عالم السياسة فان من يسعى وراءك فان واجبك على الاقل ان تعرف ماذا يريد حتى تتحوط من الضربة القادمة اليك بوسائلك الخاصة .
استمر المصدر فى عمله ، كان ينقل ما يدور بالقصر الى اللواء عمر ويغذى عوض الجيد بما يريده اللواء عمر ، فى عالم الخابرات ، المصادر دائما هى سلاح ذو حدين لان المصادر التى تقدم المعلومات ، اما ان تكون دوافعها للحصول على بعض المزايا اما ان تكون دوافع وطنية او عقائدية ، وفى كل الحالات فان كبح جماح حماس المصدر يكون دائما من اصعب الاشياء خاصة انهم ربما يكونون غير مدربين على عمل المخابرات .ان نسبة اكتشاف المصادر الذين يقومون بعمل سرى قد تصل الى ٥٠٪ احيانا او تزيد.
هكذا كان حال مصدر اللواء عمر داهية ومناور وسريع الالتفاف ، لكنه يتعجل الامور ويتمنى ان يكون ضابط بالجهاز ذات يوم من عام ١٩٨٥ إستغل المصدر غفلة سكرتارية مكتب اللواء عمر واستعمل تلفونا خاصا لا يستعمله الا الوزراء وكبار المسئولين "وهو التلفون السرى" واتصل بعوض الجيد ، كان غرضه ان يؤكد لعوض الجيد انه يعمل بمكتب اللواء عمر لكنه فات عليه انه حتى العاملين فى مثل هذه المكاتب لا يستعملون مثل هذا التلفون للمحادثات الا بتوجيه بإستعماله ، لم تفت على عوض الجيد هذه الملاحظة وشعر ان هذا المصدر مزروعا ، كان رد فعل عوض الجيد مباشراً ، إتصل فوراً

باللواء عمر وقال له ان هناك شخص اسمه كذا يتصل بى ويريد ان يقدم لى معلومات عنك وان هذا الشخص يدعى انه يعمل بالجهاز ، ولقد إتصل بى منذ قليل بالتلفون السرى وادعى انه يتصل من مكتبك ، وهكذا سقطت الخطة . لكنها ادت غرضاً كبيراً للواء عمر أذ انه عرف ما كان يرمى اليه عوض الجيد .
كانت هناك حرباً اخرى تدور فى مجلس الشعب حيث قدّم مشروع الدستور الاسلامى السودانى . كان هذا الدستور دستورا يتوقع له ان يجاز فى مجلس الشعب .. وكانت اجازة هذا الدستور تعنى الانطلاق نحو التطبيق الفعلى للشرع . كان وراء اجازة هذا الدستور مجموعة الاخوان المسلمين بقيادة على عثمان محمد طه ، ومباركة الترابى له وتأييدها له " كان وقتها مساعد رئيس الجمهورية " ، كان الجميع يتوقع ان تكون الخطوة التالية هى مرحلة الامامية، تنصيب امام المسلمين . كانت هناك مجموعة اخرى تسعى لهذا الامر .. هى مجموعة بابكر عبد الله الذى عينه نميرى وزيرا مسئولا عن الزكاه والضرائب ، لم تكن هذه المجموعة من الاخوان المسلمين . لكنها كانت تلتقى مع الاخوان فى فكرة الامامة هذه وكان الغرض الاساسى ان يتم ابعاد البطانة القديمة من حول الرئيس والالتفاف حول الرئيس ليعمل لشرع الله ، يقال ان هدف الاخوان المسلمين حسب ما اوردته التقارير كان اكبر من ذلك ، كانت المرحلة الاولى ستكون تطبيق مبدأ الامامة بمعنى ان يصبح نميرى إماماً ، بعد ان يطبق هذا المبدأ تماماً وتسود قوانين الشرع تثار قضية أهلية الامام ، وهل النميرى مؤهل لكى يصبح إماماً ؟ وهنا يكون نميرى قد اصبح وحده وسط هذه التنظيمات الدينية والتى تكون فى تلك اللحظة قد سيطرت على كل مناحى الخدمة ، عندها سيعزل نميرى ليبدأ امام جديد يقوم بتطبيق الشريعة التى يرى الاخوان انها الأصح .
على اى حال سواء كان هذا القول صحيحا ام لا ، الا انه مع عوامل اخرى كانت من الاسباب التى طرحت للنميرى حتى يتمكن اعداء الاخوان من ابعادهم عن الساحة.
لم ينجح التصويت حول هذا الدستور لان جميع عناصر مجلس

الشعب ما عدا مجموعة الاخوان المسلمين كانت ستقف ضده ..
كان متوقعا سقوط القانون " طلب ٩٨ نائبا ضد ١٢ تاجيله "
. كان نميرى يتابع الامر فعلم ان القانون لن يجاز ، ولما تساءل تطوعت جهات مختلفة داخل الحكومة لإفهامه خطة الاخوان ، ولما كان الامر جديدا على نميرى فانه آثر ان يؤجل الامر ، عليه فقد ارسل مجلس الشعب فى اجازة .
كانت كما اسلفت هناك مجموعة اخرى هى مجموعة بابكر عبد الله وزير الزكاة ، الذى قدم ميزانية سوف تتم جبايتها من الزكاة والريع تعادل اضعاف اضعاف ما كانت تجده الدولة ، كانت الميزانية تعتمد على تقديرات ، كانت موجودة فى الكتب والملفات ، لم تكن تلك الدراسة مكتملة . بابكر عبد الله ذلك الوزير المتحدث اللبق كان جريئاً آشتهر بالحاسة السادسة ، كان احياناً يذهل بعض المسئولين حين يحدثهم بما يعرفه ..
كان لصيقاً بالرئيس نميرى وصديقا لمجموعة الشئون القانونيه بالقصر .. كان يريد تغييراً جذرياً فى كل شىء ويبدو انه كان ناصحاً قاسياً على الرئيس وغيره مما اهله ان يكسب عداوات كثيرة ودارت روايات عنه انه رجل خرافات .
كان الرئيس نميرى يحترم كثيراً حاكم الاقليم الشمالى البروفسير عبد الله احمد عبد الله ، فى احدى زيارات الرئيس للاقليم لشرح موضوع الزكاة وكيفية جبايتها وكان معه بابكر عبد الله وفى جلسة ضمت الثلاثة شرح بابكر عبد الله للرئيس نميرى وحاكم الاقليم كيفية جمع الزكاة ، عند نهاية الشرح طالب بابكر عبد الله من حاكم الاقليم الشمالى ان يجمع فوراً أربعين مليون جنيه زكاة هذا العام ، هنا قال له الرئيس .. ما رأيك يا دكتور ؟رد بروفسير عبد الله ، الاقليم الشمالى إقليم فقير ولدينا متاخرات ضرائب تبلغ العشرة مليون جنيه متراكمة على المواطنين من عدة سنين لم نستطع جبايتها من المواطنين مراعاة لظروفهم ولاستحالة جمعها .. فكيف تريدنى ان اطالبهم بأربعين مليوناً .
هنا ثار بابكر عبد الله وقال فى حدة ياريس سيبك من إمور الحكام دى . نظر الرئيس الى بابكر نظرة طويلة ثم صمت .
لكن إتضح فيما بعد ان الرئيس لم يرض اطلاقا ان يساء د . عبد الله ولم يرض كذلك ان يثور بابكر عبد الله هكذا .

بابكر عبد الله يواصل جولته مع الرئيس فيذهب الى كسلا عاصمة الاقليم الشرقى وهناك يخطب بابكر ويشرح ، ويشرح عندها يتصل الكلام عن الرئيس فيذكره بخير وينهى حديثه بان هذا الرئيس ان اخطأ سوف نقومه ، وهنا اسرها الرئيس فى نفسه .

كما اسلفت كانت الحرب ضد بابكر عبد الله ومجموعته وانصاره داخل سرية حرس الرئيس عنيفه فقد تمكن بابكر من تغيير قيادة حرس الرئيس وإحضار ضابط موال له " تم نقل المقدم عبد السلام صالح فرح من سرية حرس الرئيس الى قيادة الاستخبارات العسكرية واستبدل بالعقيد محمد المهدى " ، كان الغرض هو حصار الرئيس ببطانة يكون ولاءها االمطلق لبابكر عبد الله ، وبنظرة فاحصة لهذا الامر تأكد لنا ان القادمين الجدد سيدخلون فى صراعات مراكز القوى الجديدة . هكذا اصبحت سرية حرس الرئيس ترسانة جديدة تحجب المعلومات لمن كانوا يعرفون ما يدور بها من خلال معارفه . على كلّ تسربت اخبار ما كان يجرى داخل سرية حرس الرئيس ، كانت هناك خطة لإقناع الرئيس بانه امام المسلمين تماماً ، كخطة الشئون القانونية حيث هناك تنسيق بين القصر وبابكر عبد الله وسرية الحرس مع دعم كامل لمجهودات منطقة ابوقرون والمناطق التى حولها .

سمعنا عن إيهام الرئيس بان النبى (ص) معه اينما حلَ .. سمعنا قصصا ، روايات ، احلام ، ورؤيا رآها مسئولين كبار ، ضمن ما رؤوه ان السيد الرئيس الذى لم ينعم عليه المولى سبحانه وتعالى بنعمة الانجاب سوف يرزق ذرية صالحة اذا ما تزوج امرأة اخرى ، ويقال ان إمراة بعينها قد رشحت له من قرية ابو قرون ويقال انها ذات قرابه بالنيل ابوقرون .

الرئيس نميرى له تقدير خاص لزوجتة يمتد الى جذور تربيته عند خاله والد زوجته ، يبدو ان النبأ لم يكن صحيحاً او لربما كان قد ذكر له ، ولم ياخذ به لانه عندما بدأ الامر ياخذ شكلا جديا وعم المدن والقرى وبدأت الاسرة تتساءل عن مدى صحة الخبر ، حسم نميرى الامر بابعاد كل من كان وراءه .

واستعراضنا لهذه الحقائق نجد ان إعلان قوانين سبتمبر ١٩٨٣ كانت قد ولدت مرحلة جديدة بلورت صراعا على

السلطة من نوع خاص لم يألفه السودان ، كما ان العجلة فى تطبيق هذه القوانين جعلت الصراع يأخذ شكلا عنيفا وسريعا .

لا يمكن لأى احد ان يبرىء تنظيم الاخوان المسلمين من الضلوع فى الحكم بطريقة مباشرة منذ عام ١٩٨٣ وهى فترة قوانين سبتمبر التي ادت فى النهاية الى تغيير النظام . فالاخوان المسلمين بدأوا بالمسيرة المليونية ، كان هذا التأييد الظاهر ، أما التأييد الباطن للنظام فقد بدأ منذ قبولهم المصالحة ودخولهم التنظيمات السياسية لمايو ، بالرغم من ادعائهم بان التنظيم قائم ومسنود من السلطة . اذاً فالمسيرة المليونية كانت بداية علنية لتأييد قوانين سبتمبر ، كما ان ترفيع الدكتور حسن الترابى لمنصب المستشار والذى لازمه تأييد علنى ومبايعة للرئيس فى أم ضواً بان ، كان تأييداً مكملاً لهذه القوانين ولا اظن ان الاخوان كانوا سيجدون سبباً للتنصل من هذه القوانين لولا ان نميرى قد إنقلب عليهم فى نهاية المطاف .

لقد كان تنظيم الاخوان المسلمين حريصاً كل الحرص بان يدفع بعدد محدد من كوادره للمشاركة فى تطبيق هذه القوانين ، وفى رأينا ان هذا الحرص كان ناتجاً عن هذه العوامل :ـ

١ . تحفظاتهم تجاه صياغة القوانين او تطبيقها مما لا يتوافق مع برنامجهم .

٢ . تحسبهم لأى إنقلاب فى المزاج يحدث للرئيس نميرى .

٣ . عدم تأكدهم من موقف الشارع تماماً تجاه هذه القوانين

وهكذا ظهر التأييد لنميرى فى الوسط الطلابى فقد سلكوا طريقة حسنة بعد زوال اكبر خطرين واجها الاخوان المسلمين ، الشيوعيين والاخوان الجمهوريين ، كما ظهر التأييد وسط الكادر القيادى المكشوف . دفع الاخوان ببعض كوادرهم للمشاركة فىالعمل القضائى والادارى واعمال الجباية والضريبة ، كما تمكنوا من اختبار قدرات تنظيماتهم الشبابية مثل " شباب البناء واتحاد النساء " ولابد انهم استفادوا من كل هذه التجارب عندما تولى كادرهم السلطة مرة اخرى فى ١٩٨٩ بقيادة العميد عمر البشير ، ان الفائدة التى حصلوا

عليها انهم علموا قبل وبعد الانتفاضه ان الرأى القائل بصعوبة تطبيق قوانين الشريعه هو رأى له وزنه .
كان الموقف منذ اعلان القوانين عام ١٩٨٣ موقفا عجيبا فكم من موقف مدهش اتخذه الرئيس نميرى أدى الى هزة قويه فاقت حسابات وتصورات المراقبين الى تدهور سريع فى السلطه اعقبته عدة هزات حاول نميرى ان يدفعها لقلب مايو المريض . لكن القلب لم يتحمل هذه تلك الصدمة وترنحت مايو متألمة جريحة بضربات وجهت لها من كل الجهات حتى من داخلها .
ونحن فى خضم معمعة قوانين سبتمبر بدت اشياء كثيرة . التنظيم السياسى بقادته السابقين قد شل تماما وهيمن عليه الاخوان المسلمين ، الخدمة المدنية تتأرجح بين الطعنات الموجهه لكادرها القديم ، بين مفاجأة مكتب الشئون القانونيه ، المواطنون مطاردين حتى فى منازلهم ، الشريعة طبقت حسب اهواء القائمين بها ، وحسب اهواء القضاة ، سمعنا عن شرع لم نسمع به فى كتاب ولا سنة ، قاضى يحاكم بالشروع فى الزنا ، وآخر يحاكم مرتكبى مخالفات حدثت قبل اعلان الشريعة ، بينما اطلق نميرى سراح كل السجناء الذين ارتكبوا جرائم قبل الشريعة ، آخر يبحث عن سبب ليقيم الحد على سارق آلة تسجيل اتضح ان قيمتها اقل من قيمة المبلغ الذى يقام الحد عليه ، فيبحث عن شريط التسجيل ليضيفه لقيمة الجهاز ليقام الحد على الرجل كان هناك فزع وسط المواطنين . أى فزع كانت نشرات الاخبار المسائية وقد سميت فى ذاك الوقت" التشهيرات المسائية " اذا وجدك رجل أمن مع زوجتك فعليك ان تثبت انها زوجتك ، والا تودع الحراسه وتقدم للقاضى ، هنا يطلب منك القاضى ان تحقق المعجزة فوراً وتثبت ان المحروسة زوجتك فان تمكنت من الاثبات ، وهذا لن يحدث .. وان لم تتمكن من ذلك وهو المرجح ، سيتم التشهير بك فى النشرة المسائية .
وبما اننا كنا من العاملين بجهاز أمن ذلك النظام لابد ان يتبادر الى ذهن القارىء وان يتساءل ، اين جهاز الأمن من هذا ؟ جهاز الأمن افراده لا يعيشون فى ابراج عاجية فهم من ابناء الشعب السودانى رضوا ان يعملوا مع هذا النظام إما عن

اقتناع او لظروف او لاطماع ، ربما كان لوضعهم الأحسن عن بقية العاملين بالدولة من ناحية الامتيازات ، لكنهم لم يكونوا طبقة خاصة من الشعب او قبيلة خاصة مميزة عن القبائل ، كان فى كل منزل او اسرة او قرية فرداً منهم يأكل طعامهم ويحس الآمهم ، كان منزل الاسرة الواحدة يجمع احيانا بين الشيوعى والاخ المسلم وضابط الأمن وربما ضابط البوليس او الجيش ، كما اسلفنا كان دائما مطلوبا من رجل الأمن هذا ان يكتب عن الرأى العام ،كان الافراد يكتبون ويحسون بمشاكل الشعب ومعاناته ، هكذا كانوا جميعا موجودون على الساحة ، ان شعورهم بما يعانيه الشعب وما يحدث فى الساحه حاضرا ، اما عن الممارسات الخاطئة فجهاز الأمن جهاز عسكرى والعامل به يقرأ قانونه فيجد ان عقوباته تفوق عقوبات قانون القوات المسلحة ، فإطاعة الاوامر والضبط والربط سمة من سمات هذا الجهاز إضافة الى ان العقوبة رادعة ، بالتالى فان احساسك بالخطأ لا يعنى ان تتعامل معها وانت فرد او ضابط بالأمن ، لا يعنى ذلك اطلاقا ان تحتج او ترفض ، لكن بجهاز الأمن متنفس آخر ففرد الأمن يستطيع ان يكتب عن كل ما هو خطأ على عكس فرد القوات المسلحة ، الذى ان كتب عما لا يرضاه ، ربما اعتبرت كتابته اخلال بالضبط والربط وسياسة ليس مطلوب منه ان يكتب . ثم ان دور جهاز الأمن دور استشارة كما ذكرنا من قبل ، عليك ان تكتب وليس عليك ان ترغم السلطة بالاخذ بتقريرك .

كانت لجنة حصر ممتلكات جهاز أمن الدولة عند حل الجهاز فى ابريل ١٩٨٥ تحت أمرة العميد ا.ح الهادى بشرى ، حيث ذكر لاحد الصحافيين بعد اطلاعه على ما كتبه افراد الأمن إقتنع ان نميرى لو كان يأخذ بما يكتبه ضباط الأمن وافراده عن الممارسات الخاطئة لما حدثت لنميرى مشكلة .

فى فترة التخبط والإنهيار لنظام حكم مايو كان افراد الجهاز يعايشون الاحداث حدثاً حدثاً ولم يكونوا راضين تماما عما يحدث ، كانت قيودهم كثيرة تمنعهم الحركة ، قبل بعضهم بالامر الواقع وإنتظروا صابرين النهاية.. آخرون سايروا موجة التخبط وكان جلهم من المجموعة الانتهازية ، رفضت مجموعة كبيرة منهم هذه الفوضى فكان مصير بعضهم الرفت ،

ودخل آخرون السجون ، ومجموعة اخرى دخلت فيما دخل فيه رفقائهم فى القوات المسلحة ، انضموا لتنظيمات سريه لقلب نظام الحكم ، لم يكن معروفاً عدد الذين دخلوا فى هذه التنظيمات ، اذ كثرت التظيمات فى تلك الحقبة.
كان الحال مكشوفا ومعروفا واول من توقع إنهيار النظام هم افراد الأمن وبالطبع آخر متوقع للانهيار هو رأس الدولة ، بالرغم مما قيل عن اللواء عمر محمد الطيب الا انه كان عالماً ومدركاً وواعياً الى ان النظام اصبح الى زوال ، وقد سمعته مرات عديده (١) يتحدث عن ذلك الى بعض المسئولين ، سمعته عندما كان السيد الصادق معتقلا بسجن كوبر وهو يصرح فى ذلك اليوم الذى اطلق فيه سراح الصادق فى سبتمبر ١٩٨٤ اى قبل سبعة اشهر من حدوث الانتفاضة . صرح للسيد الصادق المهدى بأن يصبر شويه .. وقال له :ـ **الزول ده إنتوا ما عارفنه بقى كيف ..** "يقصد الرئيس نميرى"
لكن رغم ذلك كان اللواء عمر يؤدى عمله ويحاول إصلاح ما يمكن وهو عالم ان الامر قد انتهى ، واذكر انه فاجأنى بسؤال **..الجيش كله بقى تنظيمات انتو تنظيماتكم عامله كيف ؟** كان السؤال مفاجأه لم استطع الرد عليها فرآن علىّ صمت قطعه هو بالاستمرار فى الحديث عن مواضيع أخرى .
من الطرائف ان الضباط فى جهاز أمن الدولة كانوا يعلمون الحال ، وبما انهم كانوا فى الامسيات يحضرون للعمل ويعودون لمنازلهم ليلا فانه جرت العادة ان تكون هناك لحظات للراحة يتبادل فيها الاصدقاء اللقاء .. كان هناك مجلساً مليئاً بالانس يتصدره نقيب يدعى الكتيابى إشتهر بملكة التقليد .. كان يجيد محاكاة الناس .. واشهر فقرة يقدمها الكتيابى هى فقرة محاكاة الضباط عندما يتم التغيير السياسى كيف سيكون حالهم فى سجن كوبر عند الاعتقال هذا كان وضع الأمن وهذه حالته واذا ما قارنا وضعهم ووضع الجيش والبوليس ، نجد ان كل هذه الوحدات شاركت فى تثبيت نظام مايو والإساءة اليه بنفس القدر الذى ساهم فيه الجهاز ، اذن

---

(١) العقيد/ ابورنات

لماذا تحمل جهاز الأمن كل التبعية ؟
كما أسلفنا نحن بطبعنا فى السودان نبجل العمل بالجيش والبوليس ونحتقر العمل بجهاز الأمن للاسباب التى ذكرناها فى فصل سابق وهذا سبباً اولياً.
ثانى الاسباب ان أمن الدولة تمتع بإمتيازات فاقت إمتيازات الجيش والبوليس مما ولد غيرة خفية .
وثالثهما ان الكوادر التى إنضمت أخيراً للجهاز فى الفترة من ١٩٨٠ الى ١٩٨٥ كانت كوادر غير مدربة ولم يتم إختيارها بعنايه مما ولد سلوكيات شاذة أضرت كثيراً بإسم الجهاز.
يأتى عامل رابع هو ان اجهزة الأمن كانت تعمل دائماً فى صمت وتميزت فى الفتره من ١٩٨٠ الى ١٩٨٥ بشهرة واسعة لنشاط الجهاز على الصحف ووسائل الاعلام ضخم من اسم الجهاز وساعد على كراهية الناس له .. نعم ضم الجهاز عناصر أضرت بعمل الجهاز ، أضرت بسمعته ، ونحن هنا نقر ونعترف بذلك ، ان البعض القليل من أعضاء الجهاز كان أداؤه وصمة للجهاز .. حاول المسئولون عن الجهاز إصلاح ذلك .. لكن ما حدث كان ضرراً بليغاً .. ثم ان المجتمع قد ساهم فى ذلك .. كانت الساحة كلها تعج بكثير من الممارسات الخاطئة .. تفشى الرشوة ، محاولة رشوة اعضاء الجهاز ، وتقبل البعض تلك الرشوة التى أصبحت سمة من سمات المجتمع ..وفى النهاية كله يعود الى النظام ، ودوره ، والكل يحاول استغلال موقعه او وظيفته ، وساعدت عن اقوال غير مسئولة التدهور والوصول الى تلك الحالة " مايو فرص الغنى غنى والما غنى ما غنى " حتى مناقشة اعضاء اللجنه المركزيه للاتحاد الاشتراكى مسألة الفساد .. ورد الرئيس عليهم ان الفساد موجود ومعروف وما ترسانة الاسمنت فى فى الرياض والطائف وقاردن سيتى ومدينة النيل الا هى تلك الاموال . ومعظم الحضور يسكنون ويملكون بيوتا فى تلك الانحاء ، هذا ليس دفاعا عن الجهاز واعضائه .. فالحقيقة الواقعة ان هناك جماعة فى الجهاز أضرت أبلغ الضرر باداء الجهاز ، ولولا الغرض المبيت من الاستخبارات لوصم الجهاز كله ، لكان من السهل علينا ان نصفى ذلك الجهاز وبانفسنا وبما نعرف عن بعض ، فلم يكن الامر صعبا علينا ، كان الخطأ ان يوصم

الجميع ، بل ان يقال عن الجميع ، وفى ذات الوقت لإستطعنا ان نكشف بل وندين بالبينة الدامغة تلك العناصر الفاسدة فى الحكم من وزراء ووكلاء ومديرين .. الخ

اما العامل الخامس والذى لا يريد الزملاء بالقوات المسلحة ان يعترفوا به هو ان الجيش طيلة الفترة من ١٩٧٢ الى ١٩٨٣ كان فى حالة إسترخاء تام ، كان الجيش يقوم ببعض برامج التدريب وبإحباط بعض المحاولات الانقلابية داخل العاصمة ، لم يكن هنالك إحتكاك حقيقى . لم يكن هناك اختبار حقيقى لمقدرات بعض الكوادر .. فكل الضباط الذين تخرجوا فى الفتره من ١٩٧١ وحتى ١٩٨٣ كان تدريبهم جيداً ، لكن دون إحتكاك ، بالتالى كانت العمليات التى تمت طوال هذه الفترة لا تتعدى ان تكون عمليات أمن داخلى ، كانت اكبر هذه العمليات هى عملية جبل بومه والتى احتجز فيها الخوارج بعض الرهائن الاوربيين ، حتى هذه العملية لم يكن بها احتكاك قُوى حقيقى بالخوارج ، أذ ان الخوارج قد أُخذوا على حين غرة فهربوا تاركين وراءهم الرهائن .

وعندما تمردت الكتيبة ١٠٥ فى مدينة بور فى بداية ١٩٨٣ وهرب جزء كبير من الكتيبة المتمردة الى الغابة ثم إنضم اليهم وليم نون بقواته ، اعقبه انضمام جون قرنق لهم .. بعدها بدأت المواجهة الحقيقية بين القوات المسلحه وقوات التمرد ، كانت المباده بحكم خبرتها فى المناطق الجنوبية من السودان .

(كانت هناك بعض العناصر من قبل ، لكنها إزدادت فى الفتره من ١٩٨٠ الى ١٩٨٥) هنا بدأ الجيش يفيق على ما هو مقبل عليه ، مثلا سلاح الطيران والذى كان يفقد طياراً او طيارين على الاكثر فى العام الواحد بسبب الكوارث الطبيعية ، فقد اربعة عشر طياراً فى فتره اقل من ستة اشهر . اصبحت الوحدات الوادعة التى إستقرت بالخرطوم هدفاً للنقل الى الجنوب ، خاصة وحدات المدرعات والمظلات والاسلحة الفنية الاخرى ، بدأ الجيش يشعر بان هناك حرباً مفروضة عليه ، ويعى الجيش ان الحرب سببها هذا النظام الذى اعترض على سلوكيات قادته . كنا نسمع من اخواننا الضباط بالقوات المسلحة كيف يعانون من نقص فى التدريب ، نقص فى العدة

والعتاد، نقص فى كل جانب من الحياة العسكرية، حتى النقص فى المعنويات، كانت حالة الجيش فى اواخر عام ١٩٨١ سيئة للغاية، الجميع يشكون بل يجرأون بالشكو وصلت الى اسوأ مما كان عليه فى اعوام ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ حيث كان الجنود بالجنوب يشكون من كل شىء حتى اللبس، كنا نسمع كغيرنا عن حال الجيش وما آل اليه، الا اننا لا نستطيع ان نفعل شيئا لانه ليس من مهامنا ان نكتب عن الجيش، اللواء عمر حاول ان يتحدث الى الرئيس، الا ان الرئيس نميرى قال له " انت الجيش ده خليك منه يا عمر " فلم يكن له ان يتحدث عنه بعدها.

كان واجب الاستخبارات ان تكتب عن ذلك، كان واجبها الاول، وواجب فرع التوجيه المعنوى ان يرفع من الروح المعنويه بحل مشاكله وإبراز الجوانب المشرقة لدى القواد

كان الجيش يغلى ولا احد يسمع شكواه وأنينه .. كانت الاستخبارات تغير من جهاز الأمن .. لكن فى صمت، وبعد اعفاء الفريق عبد الماجد إزداد الشعور بالنفور من جهاز الأمن لدى القوات المسلحة عموماً لإعتقادها بان رئيس الجهاز وراء إبعاد الفريق عبد الماجد، هنا استطاع فرع الاستخبارت ان يحول نفور القوات المسلحة منه ويصبه على جهاز الأمن، كانت تلك فرصته الذهبية.

ان جهاز الأمن كان ضحية لهذا الموقف ولبعض ممارسات افراده الخاطئة التى قد تحدث كثيرا من اجهزة الأمن فى العالم دون ان يؤدى ذلك الى شطب هذه الاجهزة من كشف الاجهزة العاملة على تأمين الدولة، لقد كان واضحا فداحة وخطر حل الجهاز وذلك عندما اصرت الاقاليم الجنوبية الثلاثه بانها لن ترسل العاملين باجهزة أمن الدولة للمعتقلات لانها فى حوجة اليهم فى مدها بالمعلومات اللازمة لادارة الحرب الدائرة فى الجنوب وأدى الجميع واجبهم ولمدة ثلاثة اشهر رغم حل الجهاز.

كان كلما ازداد الموقف توترا .. ازداد الشعور بالنفور من جهاز أمن الدولة .. كان اخطر ما فى الامر ان تغذية هذا الشعور بالنفور عالية جداً فى القوات المسلحة، واريد ان اكرر، ان الاستخبارات العسكرية كانت لها اليد الطولى فى

تغذية هذا الشعور لاسباب تبدأ من الغيرة الى الجهل بما يقوم به الجهاز والى الطموحات الشخصية حتى يصل الامر فى النهاية الى تغطية عيوب جهاز الاستخبارات بتعريض جهاز الأمن للجمهور . ولقد قال لى أحد قيادى النقابات اننا لم نكن نعلم اى شىء عن ممارسات جهاز الأمن الا بعد ان أخطرتنا القوات المسلحة بعد نجاح الانتفاضة باشياء يندى لها الجبين ، ثم أردف، وللاسف كانت ٢٠٪ من هذه المعلومات هى الصحيحة .

كانت ايام مايو الاخيرة هى ايام تعبئة قوية ضد النظام من المعارضة وقد صاحب هذه التعبئة تعبئة عنيفة ضد جهاز أمن الدولة ، وهذا بديهى من معارضة تسعى لتغيير نظام حكم دام ستة عشر عاماً ، المعارضة من حقها ان تقول كل شىء عن النظام ، لكن الاستخبارات العسكرية لم يكن من حقها ان تدفع بجهاز الأمن كبش فداء لنظام هى أقوى حماته.

عندما شعرت بان النظام يتهاوى إستعانت بحماية القوات المسلحة لتدفع بالجهاز لقمة سائغة .. بالرغم من ان بعض ضباط الاستخبارات العسكرية كانوا على علم ووعى بما يقوم به الجهاز ، الا ان صوتهم قد أُخرس أمام غمرة الحماس وسيل المعلومات الكاذبة المتدفقة عن ممارسات الجهاز.

الاستخبارات العسكرية نقلت بلا وعى قبل الانتفاضة تقارير للجهات المسئولة وللشارع قبل ان تتأكد منها، مما أجج شعورا عنيفا ضد الأمن والنظام . الا ان هذا الشعور قد إنقلب على الاستخبارات نفسها . لم ينس ضباط الجيش الذين قاموا بمحاولات إنقلابية او الذين اتهموا بتلك المحاولات وهم منها براء .. لم ينسوا اصدقاؤهم وزملاؤهم من الضباط وما جرى لهم ، كانوا يعرفون تماماً من هو الذى يحمى النظام اكثر من الآخر ، وإنقلبت الحملة على الاستخبارات اعقبتها حمله عنيفه من الاحزاب العقائدية . كنت اتمنى فى تلك الايام لو ان الاستخبارات العسكرية قد حوسبت كما حوسب جهاز الأمن ، الا ان أمنيتى كانت ستنقلب الى حزن الى ما سوف يصير عليه حال السودان بدون حزام أمن . لقد ضحى الجيش والاستخبارات العسكرية بالجهاز لكن هذا افرز فى المقام الاول فراغاً أمنيا جعل ضباط الاستخبارات والشرطة يلهثون

لعدة سنين لملىء ذاك الفراغ خاصه ان الصراع الحزبى والعقائدى كان على اشده بعد الانتفاضة ، تارة للحصول على معلومات موجودة بالأمن ، تارة لاخفاء معلومات ، ومرات كثيرة لبناء سلطة أمنية خاضعة لجهات عقائدية او حزبية بعينها .

ان الحديث عن الاستخبارات العسكرية يطول ، وهذه الواقعة التى حدثت فى عام ١٩٨٢ العام الذى تحركت فيه تنظيمات داخل الجيش وخارجه ، بعضها ينتمى الى الاحزاب السياسية . وبعضها حزبى عقائدى والبعض تنظيمات مستقلة فى المدرعات أحدى الوحدات التى اشتهرت بأنها وزميلتها المظلات بأنهما الوحدات التى تقوم بالانقلابات العسكرية فى هذا السلاح وعن طريق الصدفه أكتشف " الغوث " أحد ضباط الاستخبارات تنظيما عسكرياً ينوى الاطاحة بنظام الحكم ، كان هذا التنظيم صغيراً ، الا ان الاستخبارات لكى تحتوى الموقف قامت باعتقال الضباط الذين وردت عنهم معلومات عن نشاط غير عادى ، فجمع الاعتقال مجموعات متباينه لا يربط بينها أى شىء سوى الرغبه فى تغيير نظام الحكم .. وكان بين المعتقلين الملازم ابراهيم شمس الدين الذى أصبح فيما بعد عضوا بمجلس الثورة " حكومة الانقاذ الوطنى " . لقد قامت الاستخبارات العسكرية بتعذيب بعض المعتقلين من الضباط ، قام بالتعذيب أقرانهم الضباط ، ورغم ذلك لم يتمكنوا من الحصول على معلومات تمكن من تقديم هؤلاء الضباط لمحاكمه ، وعلى هذا اضطرت الاستخبارت للتوصية باطلاق سراح الضباط مع أبعادهم من خدمة القوات المسلحه .. هكذا صدر قرار باحالة هؤلاء الضباط على التقاعد ، تم أستدعاء الضباط الى رئاسة الاستخبارات العسكرية وتلى عليهم القرار ولبسوا الملابس المدنية . حمل ضابط من الاستخبارات خطاب موجه الى جهاز الأمن تطلب فيه الاستخبارات العسكرية من الجهاز أن يحتفظ بهؤلاء الضباط تحت الاعتقال التحفظى .

تصبح المهمة التى كلف بها الجهاز فى اطار التعاون بين هذه الأجهزة هى الاحتفاظ بهؤلاء الضباط فى سجن كوبر حتى تقرر الاستخبارات العسكرية شىء ما بشأنهم .. أودع الضباط سجن

كوبر . ذات يوم توفيت والدة أحد الضباط المعتقلين وكان لابد ان يذهب الضابط المعتقل الى منزله لتقبل العزاء فى والدته ، علمنا بالوفاة فذهبنا اليه بحكم زمالتنا له .. الضابط هو الرائد عثمان ساتى ، كان أساساً ضابط استخبارات وكنت أسبقه بدفعة فى الكلية ، لما حضرت لمنزل العزاء ورفعت يدى معزياً له لاحظت أن وجهه قد تجهم فنظرت اليه ملياً فعرفت أنه غاضب ، عند جلوسى جواره سألته .

كيف حالك يا عثمان ؟

فرد .. **جاى تسأل من حالى يا هاشم .. ما كفايه العملتوه فينا .**

سألت :**عملنا شنو ؟**

رد .. **يعنى نحنا طلعنا ما علينا حاجه ،وبراءه وتختونا فى كوبر .**

سكت .. ثم طلبت منه الانزواء فى ركن معين وبادرته .. **عثمان .**

رد .. **نعم .**

نحن اعتقلناكم لما كنتوا فى الجيش ..؟

رد .. **طبعا لا ..**

سألته .. **نحن حققنا معاكم .. أو عذبناكم ..؟**

رد .. **معروف ديل ناس - أس -** وهى اختصار للاستخبارات

قلت ... **ياعثمان لعلمك الناس ديل احالوكم المعاش .. وطلبوا تكونوا فى السجن .** قال .. **يا سيادتى هاشم ما تطلع بى العالى نحن بعد ما اخطرونا بالقرار سلمونا لناس الجهاز .. ناس الجهاز هم اللى جابونا لسجن كوبر .**

قلت .. **يا عثمان اسمعنى ، واحده بواحده ، تمام كلامك ده .. لكن الطالبين بقاءكم فى السجن هم ناس الاستخبارات .. وارسلوا جواب رسمى وصورته موجوده معانا .**

صمت عثمان ساتى فتره ثم فكر مليا وقال لى .. **والله يا أخى كلامك ده فيه منطق .. اولاً ناس الاستخبارات كل مره يقولوا لينا ما عندنا دخل فى الموضوع .. لكن جاءنى ضابط من الاستخبارات فى السجن وأخطرنى**

بالوفاه وهو الذى احضر الأذن للذهاب للعزاء
قلت ومن حارسك يا عثمان .
رد **الحرس الذى معى من الاستخبارات .**
قلت .. **طيب يا عثمان ..**
قاطع .. **لا الموضوع وضح لى الان .**
قلت .. **له على أى حال أنا من ناحيتى أعدك بأنى لن اترك هذا الامر .**
ذهبت وكنت فى حقيقة الامر جد متألم .. أذ معظم المعتقلين تجمعنى بهم صداقات أو معرفة وزمالة .. مثلا عبد المعروف الدسوقى صديقى .. خالد فرج يتقدمنى بدفعة .. محجوب ناصر وقنبور زميلا دراسة .. تجمعنى صداقه بالدكتور الجزولى دفع الله والذى أخطرنى ان شقيق زوجته معتقل .. كنت فى تلك الفترة عضوا بتنظيم جذوره أغلبها من الجيش .. لذلك ذهبت للجهاز طرحت الأمر لرئيس الخلية الذى كان يشاركنى الألم لحال هؤلاء الزملاء .. وحال اسرهم بعد يومين حضر الى مكتبى رئيس الخليه قائلا .. هاشم .. رددت نعم .. قال فى تعليمات بأنك تحاول بقدر الإمكان تخارج المجموعه المعتقله . قلت .. لكن .. قاطع ما لكن .. الجماعه ديل معتقلنهم ناس الاستخبارات وراميِنها فينا كالعاده .. من المنطلق ده حاول .. فهمت ما يقصد ،احاول
كان اللواء عمر على علم بهذه المجموعة ويعرف معظمهم بحكم انه عمل قائداً لسلاح المدرعات . كانت زيارتى فى السادسة صباحاً لمكتب اللواء عمر هى أحسن وأنسب الاوقات لطرح مثل هذا الأمر .. كتبت فى مفكرتى .. " الضباط المعتقلين فى صباح اليوم التالى تهيأت للامر .. دخلت الى مكتب اللواء عمر وبدأت بالتفاكر معه حول مختلف المواضيع .. ثم دخلت فى الموضوع الذى كنت قد هيأت نفسى له ..
سيادتك تعرف المجموعة المعتقله فى كوبر .. ناس قنبور و عبد المعروف وخالد فرج ..
رد اللواء عمر .. **ايوه عارفهم .. مالهم .**
قلت سعادتك الناس ديل معتقلين عشان ..
قاطعنى .. **شوف الناس ديل جابوهم لينا ناس الاستخبارات وهم قالوا عاوزينهم يقعدوا فى السجن .**

قلت .. **تعرف الحاصل شنو ياسعادتك .**

سأل اللواء عمر .. **شنو ..؟**

سعادتك الاستخبارات مفهمه الجماعه ديل أنه المجموعه دى مقبوضه بواسطتنا وأنك "انت شخصياً أمرت بذلك" وكانت كلماتى الأخيره اضفتها من عندى .

فى نفس اللحظة برفع اللواء عمر سماعة التلفون المايكرويف ويتحدث مع مدير الاستخبارات العسكرية ...

يا فارس انا اللواء عمر .. كيف حالك . فارس يا أخى الجماعه اللى إتقبضو عندكم فى المحاولة الأخيرة موجودين عندنا أنتو محتاجين ليهم ولا الموضوع شنو ..؟

لم أسمع ماذا قال فارس .. لكن بعد برهة اللواء عمر يرد على فارس ..

على أى حال أنت شوف موضوعهم وناقش الرئيس فى الموضوع وورينا رأيكم شنو لأن الجماعه ديل طولو وظروفهم المادية صعبة شوية .

وضع اللواء عمر السماعة وقال لى .. **خلاص .**

من جانبى حييتة وأنصرفت ولم أشا أن أقول أكثر من هذا ..

ومر أسبوع ولم أسال اللواء عمر .. حتى جاءنى من يذكرنى بالأمر .. وهنا وبنفس الطريقة كررت المحاولة .. **سيادتك الجماعه المعتقلين ..**

سأل اللواء عمر .. **منو ..؟**

قلت .. **الضباط ..**

قال اللواء عمر .. **ذكرتنى أنا كلمت فارس .. وفارس وعد أنه يخلص من موضوعهم .. الليله أجتماع اللجنة الفنية .. سوف أتكلم معاه .**

ومرة أخرى بعد ثلاثة اسابيع ذهبت للواء عمر ..

وقلت له .. **يا سعادتك الناس بره نجهونا بحكاية الضباط ديل .. كل الناس حتى الضباط عندهم قناعه بأننا ماسكين الضباط ديل .**

يحاول اللواء عمر الاتصال بفارس ليجد أنه غير موجود ..

ثم قال لى .. **يا هاشم أنا بحسم الموضوع ده مع الرئيس .. لكن انت قلت لى الضباط ديل ظروفهم**

صعبة حسه لو طلعوا نعمل شنو .. ما برضوا حيكونو قاعدين ساكت .

والله يا سعادتك لو الفريق يوسف (الفريق يوسف احمد يوسف كان مديراً للجمارك) **قدر يشغلهم لينا وهو بعرف معظمهم يكون أحسن .** قال اللواء عمر .. **طيب حضر ليهم أعانة عاجلة .. أنا بشوف ليهم قطع أرض .. وكلم الفريق يوسف لأنه أنا طالع دلوقت للرئيس وقول ليه أنا موافق على شغلهم لو فى طريقة .**

فى حوالى الساعة الثانية عشر ظهراً إتصل بى اللواء عمر من مكتبه بالقصر الجمهورى وقال .. **يا هاشم عاوزك تجيب الضباط ديل الساعه أتنين ونص عشان أقابلهم ويكونوا جاهزين لإطلاق سراحهم .. أنا خلاص اقنعت الرئيس .. أنا حأجيكم في الجهاز .**

قطعا أن هذا لا يعنى أن الأمن لا يقوم بالإعتقال .. أحياناً الإعتقال الغير عادل .. لكننى أسوق هذا المثال لأننا قد تعرضنا الى أن جهاز الاستخبارات فى الآونة الأخيرة لمايو قد درج على رمى التبعات الثقيلة على جهاز الأمن .. كانت القيادات السياسية المعارضة لنظام مايو تسعى لتغيير النظام بكل الطرق وسيان عندها من يبعد نميرى لأن إبعاده كان الهدف الاول .. ما هو الحل بعد ذلك .. ؟ كانت القوى المعارضة تعلم أن الحسم بيد الجيش .. لذلك تغاضت عن كل شيء حدث من القوات المسلحة تجاه المعارضة خلال ستة عشر عاماً .. اللهم الا التحقيق فى مقتل الأمام الهادى المهدى ..... تغاضت المعارضة عن كل ذلك لأن الجيش أخيرا أنحاز لها وكان كبش الفداء جاهزا .. لكن طريقة الذبح كانت غير شرعية .. كان من الممكن الابقاء على الجهاز والتخلص من أفراده تدريجياً ، والأبقاء على الصالح منهم .. والصالح منهم هو من سيدل على مواقع الخلل وتصبح مهمة البتر هينة .. أما أن يزج بالجميع فى السجون .. ثم تبدأ بالتحقيق معهم على أساس أنهم مجرمون فأن ذلك قد ولد مرارة ، وحرمهم الادلاء بشهادة وخلق تآلفا بين أعضاء الجهاز لم يكن موجودا اصلا .

إعدام الاستاذ محمود محمد طه

الأستاذ محمود محمد طه المفكر الإسلامى المجتهد بدأت قصته كقصة كثير من المتصوفة تم تكفيرهم ثم تخليدهم بعد إعدامهم . كان للاخوان الجمهوريين شعبية وسط الجماهير السودانية ، كان الاخوان الجمهوريين يلاقون سندا من ثورة مايو ، بالتالى يشكلون سنداً ودعماً لها ، كيف أن نميرى شخصياً دافع عن الاستاذ محمود محمد طه .

بالرغم من أن دعوة الاخوان الجمهوريين كانت دعوة قام بها رجل واحد إلا أنه كان قد إمتلك ناصية قلوب من إتبعوه . فى بداية عام ١٩٧٧ كان قنصل جمهورية السودان فى القاهرة المقدم محمد على مالك ، فقد كان متزناً وذا كفاءه ، إلا أن تقارير المراقبة عن ضباط الجهاز أفادت بإنه بدأ يميل الى جماعة الاخوان الجمهوريين والتى تعتبر من الجماعات الدينيه التى لها نشاط يعتبر عقائدى سياسى . قام الجهاز برصد المقدم محمد على مالك ورصد بعض كتب ومنشورات الاخوان الجمهوريون تسافر له الى منطقة عمله فى القاهره بالحقيبة الدبلوماسية ، لما كان نشاط الجمهوريين محظوراً فى مصر آنذاك فقد كتبت وزارة الخارجية المصرية للخارجية السودانية عن هذا بالتالى كان واجباً استدعاءه الى الخرطوم لطرح الأمر عليه والتفاهم معه . عندما تمت مواجهته بالأمر أفاد بإنه جمهورى الإتجاه ، لما كان لا غبار عليه ورتبته تكاد تكون أحدى الرتب الكبيره فقد خيرته سلطة الجهاز بين ترك العمل وانهاء انتدابه وبين أن يترك جماعة الاخوان الجمهوريين . جاء قراره حازماً وإختار أن يعمل حواراً مع استاذه محمود محمد طه .

المقدم عبد الله الدابى هو الآخر كان ضابطاً يعمل بالقسم الدبلوماسى بالجهاز ومن المنتمين للجمهوريين ففضل العمل مع استاذه على العمل بجهاز الأمن ، لم يكن مستغرباً أن ترى على رصيف الشارع هذين الجامعيين يروجان لكتب استاذهم

فى ملابس متواضعه.
العداء العقائدى بين الشيوعيين والاخوان المسلمين به فوارق دائماً، فنقاط الالتقاء بينهما مستحيلة، ولقد تفوق الاخوان المسلمون على الشيوعيين فى أيام مايو خاصة الضربة التى لحقت بالحزب الشيوعى وثم عامل آخر أهم هو أن المقارعة بالحجة فى مجال الفقه والقرآن كان مقبولاً للسودانى المتصوف النزعه، بينما لم يكن وسط الشيوعيين من يمتلك هذه الموهبة إلا قلة.
كانت جماعة الاخوان الجمهوريين منافساً حقيقياً للاخوان المسلمين للاسباب الآتيه:
١ - لانها كانت على درايه بالقرآن والسنه ويمكنها أن تقارع الاخوان المسلمين حجة بحجة.
٢ - لانها كانت تتمتع بحرية الحركة لتأييدها لنظام مايو.
إستشعر الاخوان المسلمون أن المنافس الوحيد لهم على الساحة وسط الحركات الدينية القائمة، هم الاخوان الجمهوريون، كانت الحرب شعواء فى منابر الجامعات والمساجد والندوات، كانت شعبية الاخوان المسلمين تسير على وتيرة واحدة أغلبها وسط الطلاب، بينما كانت شعبية الاخوان الجمهوريين تسير فى كل الإتجاهات، وسط الطلاب، الموظفين ومعظم الطبقة المتعلمة والوسط الشعبى. بدأ بعض المتصوفة ينسلخ عن طريقتة للإنضمام لهم وأصبح منزل الاستاذ محمود محمد طه مزاراً لكل المريدين والمعجبين ولمن يريد أن يستمع حتى الاجانب أصبح من أهم برامجهم هو زيارة منزل الاستاذ محمود محمد طه.
وأصبح الاستاذ محمود محمد طه خطراً يهدد تنظيم الاخوان المسلمين، خاصة أن الاختراق السريع قد بان واضحاً، ووضح أن حصان الجمهوريين قد تقدم كثيراً على حصان الاخوان المسلمين.
كان تنظيم الاخوان المسلمين يستعين بكل الوسائل لهزيمة تنظيم الاخوان الجمهوريين، ولم تكن تنقصه الامكانيات لذلك، أصبحت تأتى فتاوى من خارج السودان من مصر والسعوديه والدول العربيه والإسلاميه بتكفير الاستاذ محمود محمد طه، علاوة على الفتاوى التى صدرت من قبل بالسودان .. إضافة

أن الاخوان المسلمين بدأوا يوحون للنظام بالسودان أن حركة محمود محمد طه قد تشكل خطراً على النظام وأنها يجب أن تكون مرصودة.

كان ذلك الصراع ونميرى لم يعلن بعد قوانين سبتمبر . فى سبتمبر عندما أعلن نميرى قوانين الشريعة الإسلامية إرتفع صوت السيد الصادق المهدى معارضاً تلك القوانين ، بينما أصدر الجمهوريون كتاباً يعارضون فيه تلك القوانين بالطبع كان مصيرهما الإعتقال ، لكن إعتقال السيد الصادق المهدى وبعض زعماء الأنصار لم يكن مفرحاً للاخوان المسلمين مثل إعتقال الاستاذ محمود محمد طه وأنصاره ومصادرة كتبه ومنع مريديه من الترويج لافكاره ، كان هذا كافياً لايقاف محمود محد طه وأعوانه من الحركه .

ذكر لى المقدم أمن " معاش " عبد الله الدابى والذى مكث عاماً كاملاً معتقلاً بسجن كوبر مع أستاذه عند خروجه من المعتقل ، الحمد لله أنها كانت خلوه للتعبد وذكر الله . وخلال هذا العام لم يتمكن الاخوان الجمهوريون " سبتمبر ٨٣ - سبتمبر ١٩٨٤ " من تعكير صفو الاخوان المسلمون . فقد كان نشاط الجمهوريين محدوداً لم يتعد بعض الكتيبات هنا وهناك . لكن عند خروج الاستاذ محمود محمد طه وتلامذتة من المعتقل بدأ نشاط الجمهوريين يتصاعد . وكانت حجتهم تتلخص كلها فى معارضتهم للطريقه التى تم بها تقديم قوانين الشريعه وأن وقتها لم يحن.

الاخوان المسلمون فى وقوفهم بجانب قوانين الشريعة كانوا يلجأون دائماً الى إستخدام عناصر ليست ملتزمة بالخط السياسى للاخوان ، لكن لديها إلتزام دينى وحماس دينى معين ، وربما كان بعضهم من الاخوان المسلمين ، لكن التنظيم لا يعتبرهم من الملتزمين تماماً بالخط الترابى لوناً

كان مهماً الإيحاء للرئيس نميرى بمحاكمة الاستاذ محمود محمد طه وقادة تنظيمه ، كان مهماً أن يكون هناك قراراً حاسماً تجاهه فى هذه الظروف المهيئة لهم .

كان بعض الصوفيه يكنون عداءاً للاستاذ محمود محمد طه وجماعته بحكم التنافس الذى على ساحة العمل الدينى بظهور جماعة الاخوان الجمهوريين ، فقد كانت هذه الجماعة تشكل

مدرسة غريبة على مجتمع الصوفية فى السودان ، تنادى بافكار تقع فى حساب المحظورات لدى رجال الدين ، كانت بعض هذه الافكار لها أدلة على إنحراف قد يدل على زندقة وكفر ، كان كثير من الشيوخ ورجال الدين لهم رأى فى الاستاذ محمود محمد طه وجماعته ، بالتالى كان أنسب من يقوم بهذه المهمة نيابة عن التنظيم الذى عانى ما عانى من الاخوان الجمهوريين هم الصوفية ، خاصة أذا كان ممكناً أن يبدو الأمر وكأنه عادىٌ .

النيل أبو قرون مستشار الرئيس نميرى للشئون القانونيه يعرف قاضى يمت له بصلة القرابة يُدعى المهلاوى .. المهلاوى هذا هو الذى قضى فى قضية الاستاذ محمود محمد طه .. وكان الحكم سريعاً " محاكم طوارىء " .

على ما أذكر أنه وفى خلال شهر يناير ١٩٨٥ كنت (١) موفداً فى مهمة كلفنى بها اللواء أ.ح عمر محمد الطيب الى القصر تستدعى مقابلة المستشار النيل أبوقرون ، عندما دلفت الى مكتبه قابلنى مقابلة جيدة ، ثم رن جرس الهاتف لم أكن أعرف من هو المتحدث على الطرف الآخر .. برهة وأذ باساريره تنفرج .. ويهتف فرحاً .. **خلاص .. ده تمام .. الله أكبر .. الله أكبر . وضع السماعة ..** ثم قال لى ..فرحاً **المحكمه حكمت على محمود محمد طه بالإعدام .**

لم أدر ما أعترانى فى تلك اللحظة فسرحت بخيالى وحزنت حزناً عميقاً ففى تلك الأيام كل شىء جائز ولم نعد ندرى الصحيح من الخطأ صمت طويلاً ولما لاحظ النيل وجومى رفع السماعة مرة أخرى وبدأ يحدث أخرين بالنبأ كما أنه نقل الخبر الى عوض الجيد محمد أحمد .

بعد الإنتهاء من مهمتى مع النيل أبوقرون دلفت الى مكتب اللواء عمر بالقصر ووجدت مدير مكتبه العقيد أ.ح صلاح محمد محمد صالح فاخبرته بالنبأ فلم يصدق بعدها دخلت الى اللواء عمر محمد الطيب فاخبرته بما سمعت ، كان يبدو أنه يعرف ولاحظت أنه منزعجاً . توقع الجميع أن يراجع السيد

---

(١) العقيد / ابورنات

رئيس الجمهورية قرار المحكمة ويصدر حكماً أخف ، خاصة انه فى تلك الأيام كان يتراجع عن قرارات كثيرة ، لكن نميرى أيد قرار المحكمه وأتى بفتوى إضافية تؤكد إصراره لإعدام الاستاذ محمود محمد طه . حاول اللواء أ.ح عمر محمد الطيب إثناء الرئيس العدول عن قرار الإعدام إلا أنه لم يوفق ، فبذل جهداً خارقاً لكى يثنى الاستاذ محمود محمد طه لقد سمعته (١) يجادل بعض رجال الدين لكى يحاولوا قدر الإمكان أن ينصحوا محمود محمد طه ليجد له مخرجاً هو وجماعته من هذا المأزق . كما قال لهم ..

" إتكلموا معاه فهموه إنه الراجل ده حيعدمو .. يا أخوانا إنتو ما شايفينو بقى كيف "

وهكذا أُعدم الأستاذ محمود محمد طه .. وأُسدل الستار على دعوتة وجماعتة .

من الأخطاء الشائعة أن إعدام الأستاذ محمود محمد طه كان بعلم جهاز الأمن .

لقد كان قرار الرئيس .. وصادق عليه ما بين منزله الواقع داخل القيادة العامة .. وما بين القصر الجمهورى .. وجرى التنفيذ داخل سجن كوبر التابع لوزارة الداخلية .. وحملت الجثمان طائرة هلوكبتر تابعة لسلاح الطيران السودانى .. أحد ملاحيها عضو مهم بحكومة الفريق عمر حسن أحمد البشير .

---

(١) عقيد / ابورنات

الفصل الرابع

- جهاز أمن الدولة يدبر انقلاب
- السودان وليبيا يتبادلان الانقلابات
- عثمان طويل .محمد سليمان .. الكابتن ...
عملاء مزدوجون ..
- المعارضة بالاتفاق مع ليبيا تقصف الاذاعة

عباس سر الختم يحاول تجنيد أبو رنات
فى تنظيم معادٍ لمـايو

عملاء مزدوجون ..
جهاز أمن الدولة يدبر انقلاب ..
السودان وليبيا يتبادلان الانقلابات ..

عثمان الطويل ، رجل يتمتع بذكاء خارق ، ينتمى الى أب من شمال السودان وأم من جنوبه ، متحدث لبق ، حلو الحديث يجمع بين دهاء الساسة وهدوئهم ، يجيد خلط الأوراق ثم فرزها ، لا تفوته مائدة لينهل منها .

فى إنتفاضة أبريل ١٩٨٥ ، كان عثمان الطويل نزيل معتقلات جهاز أمن الدولة ، خرج من المعتقل وتناول الحديث فى الصحف فى الايام الأولى كبطل من أبطال الجيش الشعبى لتحرير السودان .. حتى صدر بيان من العقيد جون قرنق بأن عثمان الطويل لا يمثل الجيش الشعبى لتحرير السودان .. وقال : أى جيش هذا .. ؟ هنا كان لابد أن يرد عثمان الطويل على الأمر اذ قال : إن الجيش الشعبى الذى أمثله ليس هو جيش ال S P L A . وإنما هناك تماثل فى الأسماء .. كان هذا رده بثقة مفرطة وبهدوء . كان عثمان الطويل والذى كان على صلة بأجهزة المخابرات الليبية تقدم الى جهاز أمن الدولة حاملاً معلومات عن محاولة لقلب نظام الحكم ، كانت المعلومة صحيحة .. لكنه قدمها لإنقاذ نفسه من ورطة أخرى كان قد وقع فيها ومعه أحد ضباط الجيش . المهم دُرست المعلومة وقُورنت بما لدى أجهزة الأمن ووجدت أنها صحيحه .

أخذ الجهاز يتعامل مع عثمان الطويل . كانت ليبيا تسعى لتغيير نظام الحكم فى السودان بأى طريقة ممكنة ، وكانت تتعاون مع كل من يمكنه أن يضرب نظام نميرى ، وذلك للعداء بين الرئيسين .. القذافى ونميرى . الدليل أنها :-

١ - تعاونت مع الجبهة الوطنية .. أمه .. اتحادى .. اخوان مسلمين .

٢- سعت للاستفادة من عناصر شيوعية .

٣ - حاولت إستقطاب أعضاء مجلس الثورة .

٤ ـ إستخدمت حركة الجيش الشعبى لتحرير السودان .
٥ ـ سعت لإقامة إنقلابات عسكرية .
٦ ـ إستخدمت اللجان الثورية .

ومن كل هذه المحاولات كانت المحاولة الكبرى التى إستخدمت فيها ليبيا عثمان الطويل ،الذى نجح فى أن يوصل ليبيا الى قاب قوسين أو أدنى من هدفهم ، ثم فشلت الخطة فى آخر لحظة . قبل أن يبدأ طويل محاولته هذه كانت ليبيا قد جندت أعداداً كبيرة من الشباب السودانيين الموجودين فى ليبيا بضمهم الى اللجان الثورية حيث تم تدريب هذه العناصر سياسياً وعسكرياً .. بعد أن تأهلوا ككوادر تم إرسالهم الى السودان ومعهم عناصر قيادية تتولى الإشراف عليهم .. كان الغرض من إرسالهم الى السودان هو العمل وسط الجماهير لزعزعة نظام الحكم والسعى لتغيير النظام والإستعانة بالضباط والجنود من داخل القوات المسلحة .. لقد ورد الى القيادة الليبية أن العمل يسير حسبما خطط له ، بدأ التجنيد داخل القوات المسلحة وتمكنت أجهزة اللجان الثورية من الحصول على كوادر ممتازة وموثوق بها داخل القوات المسلحة . وبدأت الخلايا تعمل بتنسيق تام مع اللجان الثورية ، جاء موسم الحج الى بيت الله الحرام ، وأخذ الضباط إجازاتهم للحج وسافروا الى جده ومنها الى ليبيا حيث تم تنسيق الأمر هناك . قابل الضباط والسياسيين العقيد معمر القذافى الذى القى عليهم كلمة قصيرة حيث شجعهم وقدم لهم المال اللازم لأشخاصهم وللتنظي بعد ذلك تحركت سفينة تحمل سلاحاً تم شراؤه بمبلغ أربعة عشر مليوناً من الجنيهات الاسترلينية ، تحركت تجاه ميناء السودان ، كانت السفينة صغيرة ورست فى أحدى الجزر المواجهه لبورتسودان حيث قامت عناصر اللجان الثورية باستلام السلاح سراً وتوزيعه على كوادرها ..

.. هكذا كان العمل السياسى يسير جنباً الى جنب مع العمل العسكرى ، ووضح أن اللجان الثورية تعمل جادة على تغيير نظام الحكم ونقلت الى القيادة الليبية أن نظام نميرى بعيداً كل البعد عن الشارع وعليه تقرر أن تقوم اللجان الثورية بإجراء بعض التفجيرات التخريبية لاختبار قدرات المخابرات

السودانية ، وفعلاً تمَ ترتيب عملية تفجير لمستودعات البترول بالشجرة " خارج الخرطوم "وقامت بشراء عربة لاندروفر تم تفجيرها لاسلكياً و سمع دوى انفجارها داخل الخرطوم ، لكن المستودعات لم تنفجر لأن العربة لم تكن فى الموقع المناسب حتى يصل آثارالحريق الى المستودعات . على أى حال فقد أدت العملية بعض الغرض إذأن قوات الأمن لم تتمكن من إكتشاف الجناة بالرغم من أن الحكومة قد اصدرت بياناً إتهمت فيه ليبيا أنها وراء الأمر. ردت ليبيا بأنه ليس لها دخل فى الأمر وأن الجماهير هى التى وراء الأمر ، وختمت بيانها بالعبارة التالية : "**الكلب ينبح والقافلة تسير**". عملت اللجان الثورية داخل الجماهير وإستعانت بالكوادر المعارضة للنظام فى تعبئة الشارع . كانت تتصل بليبيا عن طريق جهاز إرسال تمَ تهريبه الى السودان ويتصل مباشرة بمكتب العقيد القذافى ، لأن العلاقات الدبلوماسية كانت مقطوعة بين ليبيا والسودان . هكذا كان لابد من وضع الخطة النهائية من أجل العمل على تغيير نظام الحكم .

ذهب السياسيون الى الخارج يتبعهم العسكريون ثم عرجوا على ليبيا وتمَ وضع الخطة النهائية وتحديد ساعة الصفر . تركزت الخطة فى أن تقوم اللجان الثورية تساندها الكوادر المجندة داخل القوات المسلحة فى صباح الجمعة وهو يوم الراحة ، بإحتلال مبنى الإذاعة وتأمين بعض المواقع داخل الخرطوم .. كانت الخطة :

١- اغتيال رئيس الجمهورية .
٢- اقتحام القيادة العامة واحتلالها .
٣- اعلان الجماهيرية الشعبية السودانية .

بعد ذلك تأتى القوات الليبية بالطائرات وتقوم بالمساعدة على تأمين الإنقلاب ، كانت أهم فقرة هى أن تقوم الطائرات الليبية بضرب المعابر حتى لا تتمكن أى قوات أخرى من التحرك لإجهاض الإنقلاب وكانت المعابر هى ، كوبرى أمدرمان ، كوبرى شمبات وكوبرى القوات المسلحة .. وقاعدة وادى سيدنا الجوية . كما تقرر أن تقوم هذه الطائرات بضرب الطائرات السودانية وهى جاثمة على أرض المطار . قامت مشكلة فى كيفية وصول هذه القاذفات من ليبيا حتى الخرطوم دون أن

تحتاج الى وقود ، خاصة أن القاذفات ستكون محملة بالمتفجرات مما تستدعى تقليل كمية الوقود حتى تتمكن من أخذ كمية كبيرة من المتفجرات .. وبما أن الطائرات الميج لا تستطيع الوصول الى أقرب مطار للسودان من ليبيا وهو الكفره دعك عن وصولها للخرطوم .. تقرر أن تحتل اللجان الثورية والقوات المتحالفة معها مطار الأبيض ، وعليه تعدلت الخطة وتعطلت لبعض الوقت حتى تتمكن القوة المناط بها إحتلال مطار الأبيض من تنويرها وتدريبها لتقوم بواجبها . إكتملت الاستعدادات للعملية ، واذيعت اغنية معينة يوم الخميس ١٧/٢/ ٨٣ من الاذاعة السودانية .. ولم يبق لها غير التنفيذ ، حدد يوم الجمعة ١٨ /٢/ ٨٣ بعينه .. وأرسلت اشارة لاسلكية من الخرطوم الى ليبيا بأن كل شيء أصبح جاهزاً .. تم الإتفاق على اشارة تنبيء بنجاح تحرك القوات وإحتلالها لمواقعها ، كانت الإشارة المتفق عليها هى حينما يتم إحتلال الإذاعة يتم قطع الإرسال من السادسة والنصف صباحاً حتى السابعة والنصف منه ، عندها يعرف أن التحرك ناجح وتتحرك الطائرات الليبية لدعم الإنقلاب . حدث شيء جديد لم يكن فى الحسبان .. فى يوم الخميس قبل الجمعه المحددة للعملية ، تقدم أحد أعضاء الكونغرس الامريكى باستفسار للرئيس رونالد ريجان عن سبب تكثيف تحليق طائرات الاواكس الامريكية حول ليبيا ، فكان رد الرئيس ريجان أن الأقمار الصناعية رصدت تحركاً غير عادى للطائرات الليبية حول الكفره ، فأكد أنه فى ذلك اليوم فقط هبطت ثلاثة وعشرين طائرة مقاتلة فى ذلك المطار .. هكذا أقنع الرئيس الامريكى السائل ، حتى تلك اللحظه كانت الخطة تسير كما هو مرسوم لها ، فحاولت ليبيا إختبار قدرات ومدى إنتباه الدفاعات الجوية السودانية فى اللحظات الأخيرة لتعرف إن كانت هناك إستعدادات من جانب السودان ، فأرسلت طائرة إستكشاف وصلت حتى كوستى باواسط السودان وقفلت عائدة سالمة .. وعليه أرسل الرئيس القذافى فى مساء الخميس نفسه برقية تشجيع الى كل القوات المشاركة فى العملية الكبيرة صباحاً ، ومتمنياً لهم التوفيق فى مهمتهم .. أغلق الجهاز إستعداداً للعملية صباح " الجمعة . فى

الصباح كان كل شىء يسير حسب الخطة المرسومة ، إلا أن ليبيا لم تتحرك ولم تنفذ ما كان مطلوباً منها .. ربما عدلت بعد توضيح الرئيس الامريكى ريجان .. سقطت الخطة .. وخرج الرئيس معمر القذافى من أكبر مأزق وأدق خطة وضعتها له المخابرات السودانية (الأمن السودانى) ساعده فى الخروج من ذلك المأزق عضو الكونجرس الامريكى . كانت هذه حقيقة الإنقلاب الذى لم يسمع عنه المواطن العادى .. ومن جهاز أمن الدولة ، الذى كان يتابع النشاط الليبى المناوىء منذ يوليو ١٩٧٦ . بدءاً بالسفارة ثم العناصر المعادية للنظام القادمة من ليبيا . بدأت بعض عناصر المعارضة خاصة اللجان الثورية بالتسلل الى السودان عبر كل المنافذ عن طريق نيمولى بجنوب السودان ، وادى حلفا بالشمال ،الجنينة بالغرب والقضارف بالشرق وعن طريق مطار الخرطوم . كانت المفاجأة التى تنتظر كل هؤلاء المتسللين أنهم حينما حاولوا الدخول كانوا يجدون من ينتظرهم من ضباط الأمن وأفراده .. هكذا أمكن إعتقال جميع هؤلاء المتسللين والقبض علي أسلحتهم ووسائل مخاطبتهم و"الشفرة" والأجهزة التى يحملونها . بدأ الجهاز فى تصنيف المعتقلين ، المجموعه التى رؤى أنه لايمكن الإستفادة منها أو المتمسكة برأيها ، ظلوا رهن الإعتقال .. بينما حُوّلت المجموعة التى يمكن الإستفادة منها الى مكان خاص حيث أعيد تجنيدهم حيث وجد الجهاز أن بعض العناصر ذات كفاءة عالية وبالتالى أصبحت هذه المجموعة هى همزة الوصل بين اللجان الثورية فى ليبيا والجهاز . أصبح الجهاز لديه عناصر إخترقت موقع المعلومات المعادية للسودان فى ليبيا إختراقاً مباشراً . ومن هذه المجموعة التى تعمل مع الجهاز عثمان الطويل ومحمد سليمان اللذين أتيا بالخطة الكبرى لتغيير نظام الحكم فأصبح التنسيق كاملاً . وضعت الخطة التى إستغرقت عامين كاملين ، والتى إشترك فيها ضباط من الجهاز وضباط من القوات المسلحة بعضهم من فرع الاستخبارات العسكرية . كانت الخطة محكمة لا يتسرب لها الشك إطلاقاً .. قد تتبادر الى ذهن القارىء عدة اسئلة حول هذه المحاولة الإنقلابية التى لم تنجح .

١ - كيف تمَ تفجير مستودعات الشجرة .؟
تفجير المستودعات لم يتم بل قام المنفذون بوضع العربة اللاندروفر القديمة بعيداً عن موقع المستودعات لأيهام ليبيا بأن العملية قد نفذت ولم يحالفهم الحظ .
٢ - من الذى أخطر عضو الكونغرس الامريكى ؟
لقد كانت الخطة أن يتم الإنقلاب يوم الجمعة بقطع البث الإذاعى وعندما تتحرك الطائرات من مطار الكفره الى الأبيض يتم حجز الطائرات التى تهبط بمطار الأبيض .. أما الطائرات التى يمكنها الوصول لمطار الخرطوم دون الهبوط بالأبيض يتم إسقاطها بواسطة دفاعنا الجوى ويصبح الأمر كأنه عدوان حقيقى على السودان هذه المرة ، والدليل على ذلك الطائرات المحجوزة بطاقمها بالأبيض والطائرات التى هاجمت الخرطوم محطمة ، والشهود هم العملاء المزدوجين الذين سيعترفون بالعملية ، فيصبح موقف القذافى ضعيفاً أمام المجتمع الدولى فتتحرك المعارضة الليبية لتنفذ عملية أخرى متفق عليها داخل ليبيا.
٣ - هل كانت هناك معارضة ليبيه معكم ؟
سوف نذكر ذلك بالتفصيل فيما بعد إذ أن العملية خطط لها بهذه الطريقة ، ووضح أن الدفاع الجوى لا يستطيع تغطية كل المناطق التى يحتمل أن يتسرب اليها الطيران الليبى ، خاصة إذا ما حاول أن يدخل عن طريق المثلث الواقع على الحدود الليبية المصرية السودانية . معضلة أخرى برزت هى أن الدفاع الجوى لا يستطيع تغطية الصحراء ، كان معروفاً أن دفاعنا الجوى ليس قوياً وأصبح الإتصال بالاصدقاء ضرورياً وفعلاً تمَ الإتصال بالاميركان وتم إطلاعهم على الخطة فوافقوا على تغطية منطقة الكفره بطائرات الاواكس لكن عندما تمَ الإتصال بالمصريين كان واضحاً أن للمصريين ظروفهم الخاصة التى جعلتهم يترددون كثيراً فى المساعدة فى تنفيذ الخطة ونعتقد أن مصر كانت مترددة للأسباب التالية :-
١ - دُهشت المخابرات المصرية من هذه الخطة الدقيقة.
٢ - لم يكن يميلون الى التعامل مع المعارضة الليبية التى يساعدها السودان وهى الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا اذ كانت متهمة هى وقادتها بأنهم اخوان مسلمين وكانت مصر تميل الى

مساعدة رئيس الوزراء الليبى عبدالحميد البكوشى الذى كانت تسانده وتأويه بمصر .
٣ ـ تجربة حرب اليمن جعلت المصريين يتحسسون كثيراً .
٤ ـ الحالة الاقتصادية كانت عاملاً يجعل المصريين يعملون ألف حساب لأية عمليات بها أوجه صرف .
٥ ـ ولأسباب أخرى يعرفونها .
عليه وضح للسودان أن مصر غير متحمسة لهذه الفكرة ، لذا لم يأمل السودان فى تقديم أى مساعدة له بالرغم من إتفاقية الدفاع المشترك القائمة بين البلدين ، وعليه قرر السودان المضى قدماً فى خطته .
عندما سأل عضو الكونقرس الامريكى الرئيس السابق ريجان عن الأمر ، وجه جهاز الأمن السودانى وحكومة السودان أصابع الأتهام للمصريين على أساس أنهم سربوا الخبر إلا أن المصريين أكدوا أن الخبر لم يتسرب منهم ، إنما تسرب من داخل البنتاغون .
بقى أن تعرف عزيزنا القارىء أن مهندس هذه اللعبة هو عثمان طويل الذى أصبح عند قيام الانتفاضة أحد الأبطال القوميين وضحية من ضحايا الأرهاب المايوى ، لماذا لأنه طالب اللواء عمر بتسليمه تصديقاً بعشرين ألف طن سكر تصور ! ! ! عشرون ألف طن سكر لترحيلها للجنوب علاوة على ما اغدقه عليه الجهاز ، وليبيا من أموال. ولنا معه قصص أخرى بالوثائق . فى مجال دخول السلاح الليبيى الى السودان .. ومن أدخله .. ومع من .. الخ
علينا ان نذكر ان اجراءات التمويه التى قامت بها المخابرات السودانية شملت ما ذكرناه بل ان الامر كان قد وصل الى اذاعة خطاب اعلان الجماهيرية السودانية وتوزيع المنشور الجماهيرى وبث الأخبار عن وكالة الانباء السودانية "سونا" عن الانقلاب واغلاق المطار .. ثم يعلن فشل الانقلاب ، بالتالى تتوفر كل البينات لادانة كاملة لليبيا.

قصة الطائره التى قصفت الاذاعة

مايو وسبتمبر الثورتان اللتان هزتا العالم عام ١٩٦٩ .
قامتا فى عام واحد وفى خط واحد . تقتفيان أثر الثورة المصرية الأم ثورة ١٩٥٢ . ثورة مايو يقودها جعفر نميرى وثورة الفاتح من سبتمبر يقودها معمر القذافى .. قامتا تساندان بعضهما .. تتوج هذا فى تسليم معمر القذافى لمن قاموا بإنقلاب ضد نميرى فى يوليو ١٩٧١ ، المقدم بابكر النور ، الرائد فاروق عثمان حمدالله عندما كانا فى طريقهما الى الخرطوم من لندن على متن طائرة الخطوط الجوية البريطانية ، حيث أنزلا منها . كان لانزال عضوى مجلس الثورة أثر كبير فى إفشال الانقلاب الذى أطاح بنميرى . كان العقيد القذافي يعتقد أنه قد أسدى عملاً كبيراً لقائدها نميرى ، وفعلاً كان ، إلا أن نميرى لم يرض تدخل قذافى فى شئون السودان . وهكذا توتر الجو بينهما حتى أصبح بيناً ومكشوفاً رغم المحاولات العديدة للصلح بينمهما . إستمرت المقاطعة حيناً والتوتر وكيل الاتهامات وحبك المؤامرات أحياناً .. علناً . نذكر قرش **الكرامه** والتى طلب نميرى من الشعب السودانى دفعه فى مقابل ٧ مليون دولار دفعتها ليبيا للسودان وطالب العقيد القذافى إستردادها ، فدفعه الشعب السودانى لإسترداد كرامته . كانت الحرب السرية بين الدولتين هى حرب المخابرات ، وهذا ما يهمنا فى كتابنا هذا ونود أن نوضحه ونسلط الضوء عليه .. كان السودان يجند المصادر والجواسيس ويساند المعارضة الليبية للإنقلاب على العقيد القذافى . فى ذات الوقت كانت ليبيا تقوم بدور أكبر لامكاناتها المادية الهائلة التى لم تقف عند مساعدة المعارضة السودانية بل إمتدت الى الثوار فى كل أنحاء العالم حتى وصلت الى ثوار ايرلندا .. الخ ، بينما فى المقابل تفوق السودان على ليبيا بالكفاءة الاستخبارية ، لكن كما نعلم جميعاً كيف أن ضيق ذات اليد يقف حائلاً دون تحقيق الأمنيات والأهداف . هكذا إستمرت الحرب السرية سجالاً بين البلدين حتى حركة ٢ يوليو ١٩٧٦ ضد السودان ، والتى

سميت بالغزو الليبى ، حين أعترف الجميع أنهم تلقوا تدريباتهم العسكرية بليبيا رغم أن المخابرات السودانية كانت قد كشفت تعامل المعارضة مع ليبيا ، لكن لا المخابرات السودانية ولا الحكومة السودانية وضعت فى حسابها أن يجرؤ سودانى للتآمر ضد وطنه فى المساعدة بغزوه من الخارج . بعد فشل المحاوله جاهر السودان بعدائه لليبيا ، الا أن ليبيا لم تستجب للمجاهرة بعدائها للسودان حتى أغسطس ١٩٧٦ ، حيث كانت تعمل فى صمت ضد السودان وبسرية تامة . بدأ السودان فى إستقبال المعارضة الليبية التى كانت ضعيفة نتيجة للضربات القوية والمتتالية التى سددها لها العقيد القذافى . إستقبل السودان عمر المحيشى العضو السابق لمجلس الثورة الليبى ، لكن لم تثمر الجهود مع المحيشى ولأسباب خارجة عن اليد . كانت المعارضة كما ذكرنا ضعيفة، الشيء الذى جعل السودان يبحث عن معارضة قوية ليساعدها ، أخيراً إتجهت نحو عبد الحميد البكوشى رئيس وزراء ليبيا السابق والذى يقيم فى القاهرة ، وهكذا بُدأ معه عمل المعارضة الليبية ، لم يكن رأى جهاز أمن الدولة فيه مشجعاً مما أدخله فى خلاف مع الضباط المسئولين عنه إذ أدى ذلك الخلاف الى إعتقاله لفتره ثم خروجه من السودان إستقر بعدها بمصر . فى اواخر ديسمبر ١٩٨٢ زار الرئيس السودانى جعفر محمد نميرى واشنطن وعقد اجتماعا سريا مع زعيم المعارضة الليبية دكتور محمد يوسف المقريف الذى كان وزيرا للمالية وفر الى مصر عام ١٩٧٩ وصف القذافى بأنه طاغية وفاسد ويهدر عائدات النفط الليبى ، وهكذا انشأ المقريف الجبهة الوطنية لانقاذ ليبيا

"قدم مصدر سرى سودانى فى يوم ٥ ديسمبر ١٩٨٢ معلومات عن أجتماع النميرى والمقريف ، وكان المصدر يعتقد ان نظام القذافى سوف تواجهه بعض المشاكل ولقد كان المصدر مسئولا سودانيا رفيع المستوى (١)."

---

(١) (الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا للكاتب بوب وود ورد).
(المصدر كتاب THE VIEL)

وعد نميرى بزيادة الدعم والتدريب والتجهيز بالأسلحة والذخائر ووجه بمنح تسهيلات بجوازات سفر سودانية ووثائق أخرى وقال له ان جهاز امن الدولة سيكون تحت خدمته ، واذا حدثت اى مشاكل يمكنه الاتصال به شخصيا . وهكذا بدات علاقة الجهاز بالمعارضة الجديدة

كان لجماعة المقريف تنظيم دقيق رائع مكنهم من السير مع السودان الذى قدم لهم كل الإمكانات الممكنة من تدريب عال كانت تقوم به وحدات الصاعقة فى السودان مع إشراف إدارى كامل من الجهاز . كانت الولايات المتحدة الامريكية ودول أخرى كثيرة تكن عداءاً واضحاً لليبيا وكانت على أتم إستعداد لتقديم الدعم اللازم . رأت جماعة المقريف أن تتسرب الى ليبيا للعمل من الداخل . كان قادة التنظيم العسكرى أكثر الجماعة حركة حيث كانوا يتنقلون بين تونس والخرطوم بجوازات سفر سودانية ، وبين تونس وليبيا بجوازات سفر ليبية على أساس أنهم كانوا بتونس ، مما أزال أى شك حول وجودهم فى السودان لذا كانوا على علم بكل ما يدور داخل ليبيا . أخيراً إهتدت المعارضة الى وضع خطة لتصفية العقيد القذافى نهائياً ، فإختارت موقعاً بباب العزيزية فى طرابلس يواجه الموقع مكان تواجد الرئيس معمر القذافى . كانت الخطة تسير جنباً الى جنب مع خطة جهاز المخابرات السودانى وتحت إشرافه ، حيث كان مقرراً أن تتم العمليتين بفارق يوم أو يومين ، من محاولة الإنقلاب التى كان مقرراً حدوثها فى السودان (هنا نذكر القارىء العزيز بأن الإنقلاب الذى كان مقرراً حدوثه فى السودان كما جاء فى بداية هذا الفصل (مؤامرة عثمان الطويل مع السلطات الليبية) . لكن شاءت الأقدار أن تنكشف عملية المعارضة الليبية عن طريق الصدفة سمعنا روايتين عن طريقة كشف العملية .. الأولى تقول أن أحد قادة العملية عند دخوله الى ليبيا نسى جواز سفره السودانى داخل حقيبته فتم كشفه عند نقطة الجوازات .

والثانية تقول أنه كان فى طرابلس وأن إحدى نقاط التفتيش قابلته صدفة فى الطريق العام فلم يتوقف فأطلقت عليه الرصاص وتبادل معها إطلاق الرصاص فقُتل . المهم أن الروايتين نبهت السلطات الليبية الى أن هناك شئياً ما يدبر ،

بالتالى بدأت عملية تفتيش واسعة النطاق كادت وحدات التفتيش أن تصل الى مواقع " الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا " حيث قرر الجناح العسكرى أن يقوم بتنفيذ العملية المناط به تنفيذها بإقتحام باب العزيزية وقتل العقيد القذافى . بالرغم من عدم إكمال الخطة ونقص المعدات والأفراد ، إقتحمت القوة الموقع ودخلت حتى الباب الثانى ولم تتمكن من الوصول الى موقع الرئيس القذافى حيث تم القضاء عليهم جميعاً قبل تحقيق هدفهم . عندما نفذت هذه العملية كان لموت الجناح العسكرى الموجود بليبيا فائدة هى عدم الكشف عن الكوادر السرية العاملة معهم بالداخل ، كما كان لديهم عدد لابأس به من العناصر العسكرية التى لازالت بالخارج .

كانت هناك إذاعه للمعارضة السودانية بليبيا تقرر على غرارها إنشاء اذاعة للجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا فى السودان ، كانت هذه الإذاعه تبث على الموجه ٣١ القصيره كانت مسموعة جيداً فى ليبيا مما شكلت إزعاجاً للسلطات الليبية . الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا بدأت تفكر فى بعض الأعمال الفدائية فى الموانىء الليبيه والتى وصلتها معدات الغطس والزوارق المطاطية السريعة وصواريخ الطوربيد وبعض الألغام البحرية من دولة عربية (جاء ذكرها فى الفصل السادس .. حل الجهاز) الا أنها لم تنفذ عملياتها بسبب قيام الإنتفاضة وطلبت الأستخبارات العسكرية من الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا مغادرة البلاد فى هدوء الى دولة اخرى .

حسناً وماذا عن حكاية الطائرة الليبية التى قصفت الإذاعة السودانية ؟

لازال السودان يردد فى مجالسه عن طبخة الطائرة الليبية التى قصفت الاذاعة وكانت المعارضة تؤكد أنه ليس هناك طائرة ليبية ولا يحزنون ، الحكومة الليبية كما أسلفنا كانت تقدم الخدمات الإعلامية للمعارضة ، كما أن الحكومة السودانية كانت لديها إذاعة خاصة بالجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا ، كانت ليبيا أكثر إنزعاجاً من هذه الإذاعة الموجهة والتى كانت تتلقى المعلومات عن طريق الليبين الداخلين والخارجين من والى ليبيا وعن طريق عناصرها والمواطنين المقيمين بتونس .

وصل الى الخرطوم فى بداية عام ١٩٨٤ أحد الطيارين الذين كانوا يعملون بالخطوط الجوية السودانية ، والذى وصل الى درجة كابتن فى طائرات البوينج ٧٠٧ يدعى السر كُنه ، ذكر السر أنه هرب من ليبيا بعد أن عُذب فى معسكرات القذافى ووصل الى انجلترا .. وهناك قابل القنصل وكان وقتها رحمه سليمان وشرح له كيف أنه كان يعمل مع المعارضة ، وأنه ينتمى للجبهة الوطنية السودانية فانتقد الجبهة الوطنية وختم حديثه بأن الشك تسرب الى نفوس بعض أعضاء الجبهة الوطنية فأوشوا به لدى السلطات الليبية وأنه قد أُعتقل وعُذب وتم إطلاق سراحه بعد وساطة وأنه يود العودة للسودان . رحب القنصل بالفكرة وقام بدوره بإبلاغ الخرطوم لإستقباله لم يكن ذلك الإجراء بمستغرب إذ أنه ومنذ بدء المصالحة الوطنية فإن وفود القادمين كان مستمر ، كما أن بعض أعضاء المعارضة كانوا يعودون من ليبيا متشككين من معاملة السلطات السودانية لهم بالتالى فقد وصل كابتن السر كُنه وتم إستقباله بالمطار بواسطة سكرتير مكتب النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس الجهاز المقدم صلاح دفع الله .. تمكن كابتن السر بعدها من مقابلة النائب الأول لرئيس الجمهورية وشرح مأساته ، ثم بدأ حياته كمواطن عادى وقدم طلباً للإنضمام للخطوط الجوية السودانية . كان كابتن السر يلقى معاملة كريمة من كل سلطة ذهب اليها . بقى السر كُنه بالخرطوم شهراً ، ذكر بعدها أنه مسافر الى لندن ولم يكن هناك ما يمنعه من السفر والعودة ، فى مطار الخرطوم ترك رسالة معنونة الى المقدم صلاح دفع الله ، رسالة غريبة فى محتواها إذ أنها بدأت بسب المكتوبة اليه ، ثم عرج الى سب النظام وأنهاها بالتوعد والوعيد .

فى يوم الجمعة ١٦ مارس ١٩٨٤ فى حوالى الساعة الثانية عشرة ظهراً حلقت طائرة من طراز توبيلوف الروسية الصنع فى سماء امدرمان وشوهدت تحلق منخفضة فى إتجاه النيل ، فجأة ألقت مجموعة من القنابل سقطت إحداها فى أحد الأحياء القريبة من مبنى الإذاعة وثانية فى مدخل دار السيد الصادق المهدى والثالثة دمرت أحد أستوديوهات الإذاعة ثم قفلت راجعة وغادرت سماء الخرطوم . ألجمت المفاجأة أهل

الخرطوم بدءاً بالمواطن العادى .. مروراً بالمسئولين .. والعسكريين ، خاصة الدفاع الجوى والطيران .. كما أذهلت المفاجأه أجهزة الأمن .. حتى رئيس الجمهورية . وبالرغم من أن القصف لم يسبب خسارة كبيرة إلا أن الأمر كان مفاجأة للجميع . بدأت التحقيقات فوراً وظهرت للعيان حقيقة مذهلة .
إن الدفاع الجوى لم يرصد هذه الطائرة :-

١ - لأن معظم راداراته كانت لا تغطى إلا مساحة ضئيلة حول الخرطوم فقط .

٢ - أن الدفاع الجوى لم يكن فى حالة توقع أو إستعداد لأى حدث .

٣ - كانت هناك حالة تراخى تامة داخل وحدات الدفاع الجوى .. وأن الرادارات العاملة كانت غير مجهزة .

أما فى سلاح الطيران فإن حالة التراخى كانت فى القاعدتين بوادى سيدنا .. وفى الخرطوم .. بالتالى لم تتحرك أى طائرة لمطاردة الطائرة المغيرة إلا بعد ساعة .

أظهرت التحقيقات أن هذه الحالة لم تكن إلا حالة عامة من الإحباط العام بالجيش .. خاصه سلاح الطيران .

عموماً كان الحدث ضربة قوية للسلطة أظهرت ضعفاً لم يكن موجوداً من قبل فى أجهزتها التنفيذية والأمنية وللذين يصرون أن هذه الضربة طبخة من طبخات النظام أو تلفيق نقول ، أن سلاح الطيران السودانى لم يكن ليقوم بهذه اللعبة وهو فى قمة سخطه على النظام ، وكان قد كشفها للشعب السودانى .

أما تحقيقات الأمن ومعلوماته حول الحادث فقد تلخصت فى الآتى :

قلق السلطات الليبية حول الإذاعة الموجهة لليبيا من السودان كان كبيراً ، لذلك أرسلت فريقاً من العناصر المعادية للنظام الى السودان لمعرفة موقع هذه الإذاعة لإسكاتها بذاك الإسلوب كان أهم عنصر فى هذا الفريق هو الكابتن السر كُنه الذى زار الإذاعة عند وصوله الى الخرطوم ولاحظ أن هناك أستديو جديد قد تمَ بناؤه . المهم تجمعت معلومات لدى ليبيا بأن الاستديو الجديد هو الأستديو الخاص بإذاعة الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا وذلك بعد أن رصدت أجهزة الرصد الخاصة

لا علاقة له بأمر قصف الإذاعة في مقابلة معه بعد الانتفاض .

بقى أن نعرف ماذا حدث للإذاعة الموجهة لليبيا بعد قصف الطائرة للإذاعة السودانية . فى اليوم التالى إستمر بث الإذاعة الخاصة بالجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا كما كانت ، كانت المعلومات التى وصلت الى ليبيا ناقصة تماماً . فالاذاعة تبث برامجها من منطقة أخرى .. وفى مزرعة خارج العاصمة ، حقيقة عندما طلبت الجبهة الوطنية لانقاذ ليبيا إقامة اذاعة لها لم يكن من الممكن لإذاعة امدرمان أن تقدم أى بث نسبه لأن كل هوائيات الإذاعة كانت فى حالة غير جيدة .

هذه هى قصة الطائرة التى قصفت مبنى الإذاعة بامدرمان ظهر يوم الجمعة ١٦ /٣ / ١٩٨٤ .

الفصل الخامس

- الفلاشا . . يهود إثيوبيا ...
- عبر السودان الى إثيوبيا ...
- الرائد امن عبد القيوم يحاول الوصول الى الجامعه العربية ..
- ما لم يقل فى محكمة الفلاشا بالخرطوم .. او يكتب فى الصحافة عن عملية ترحيل الفلاشا.
- المهرجان العالمى من أجل أفريقيا كان غطاءً لتمويل نقل الفلاشا الى اسرائيل
- قاعدة سرية اسرائيلية على البحر الاحمر (عروسه)



غبوش يلتقى بمحافظ كردفان وقائد القيادة الوسطى معه شيخ الدين وأبو رنات

الفلاشا .. يهود أثيوبيا

عبر السودان الى إسرائيل

عبدالله عبدالقيوم يحاول الوصول الى جامعة الدول العربية ..

كان الرائد عبدالله عبد القيوم ضابطاً بقسم المخابرات المضادة ، وهو القسم المختص معظم عمله بالاجانب والجهات الأجنبية والذى يعرف ب COUNTER INTELIGENCE
هذا الضابط كان أساساً ضابطاً بالبوليس ثم ضُم الى جهاز الأمن .. خاله كان ضابطاً ماركسياً بالجيش ، شارك فى تفجير ثورة مايو .. عندما اختلفت مجموعتة مع نميرى بقى هو بالجيش لينفذ مع أقرانه إنقلاباً سمى " بحركة هاشم العطا " لكن فشل هذا الإنقلاب أدى الى إعدام " أبوشيبه " .

عبدالله عبدالقيوم شاب عادى .. هادىء الطبع .. أنيق المظهر يؤدى عمله بإتقان لم يكن يظهر عليه أى إنتماء سياسى .. إلا أنه كان بحكم عمله على علاقة كبيره بالجالية الأثيوبية ، كان عبدالله عبدالقيوم من القليلين الذين يعلمون أن هنالك شىء يسمى اليهود الفلاشا وكان يعلم أن إسرائيل تسعى لنقلهم الى اسرائيل .

عندما نقلت إذاعة لندن فى خبرها المسائى أن هنالك يهوداً فلاشا قد تَم ترحيلهم من السودان الى أوربا وأنه يتم نقلهم فى نفس لحظة

وصولهم الى إسرائيل بطائرات أخرى ، إهتزت الارض تحت أقدام عبدالله عبدالقيوم . كان عبدالله يراقب عملية ترحيل هؤلاء اليهود الفلاشا بحكم عمله ، وكان يعرف أن هناك عملية كبيرة تتم لكنه لم يكن يعلم تماماً أن هذه العملية هى لترحيل الفلاشا ، لكن حجم العملية جعل الشك يساوره .وبالرغم من ذلك فقد هزته المفاجأة ، ألجمته لفترة ، ويبدو أنه شعر بحزن عميق وغرق فى أفكار قاتلة فى تلك الليله .. السودان يرحل اليهود الى إسرائيل ؟ **يا الله .. ماذا دهانا** . كان بين الشك واليقين .. ودار رأسه إستند على مقعد عربته وأدار المذياع مرة أخرى .. وجلس يستمع فجأة أدار محرك عربتة وإستدار بشدة نحو مكتبه ، دخل المكتب لبرهة رجع الى المكاتبات الخاصة بالفلاشا وأصبح يقارن الأحداث بسرعة .. ثم نزل مسرعاً الى المطار الى حيث كانت تقف الطائرات التى تقل الفلاشا بقرب مدينة الحجاج .. ثم دار حول بقايا ما تركه المسافرون .. أحذية متناثرة .. بقايا أطعمة وأوراق وقاذورات . عاد الى الجهاز ومنها ركض الى حيث تقبع بعض البصات التى نقلت الفلاشا من شرق السودان والى المطار .. شعر بأن الأمر حقيقة .. وأنها ليست مؤامرة إستعمارية وليست لعبة من الأعيب المعارضة .. حقيقة ماثله أمام عينيه .. كان الأمر ضعباً عليه أنه يرى شيئاً لا يصدق ، رأى ما كان يسعى طيلة فترة عمله بالجهاز ألا يحدث ، رآه يحدث ، ومن الذى فعل تلك الفعله ؟ زملاءه ورؤساءه اعضاء الجهاز بلحمهم ودمهم ، يمارسون .. **أعوذ بالله** ربما كانت .. وربما كانت شيئاً آخر .. لابد أن عبدالله عبدالقيوم قد بكى كثيراً .. إذ أنه فى صباح اليوم التالى حضر الى العمل أشعث .. أغبر لم يغير ملابسه ، يبدو أنه نام وإستيقظ بها . عبدالله ذلك الشاب الوسيم كان فى تلك اللحظة أبعد ما يكون عن مظهره الأنيق .. كان زملاؤه قد لاحظوا أنه غير عادى .

عبدالله انت مالك ..؟

نظر الى معتصم ملياً ثم قال .. **تعبان** .

كان عبدالله عبدالقيوم بحق تعبان .. لا يستطيع أن يقول أكثر من هذا .. كانت طبيعة العمل بالجهاز أن كل ضابط يؤدى واجبه .. وبالتالى فإن ترك عبدالله للمكتب فى تمام العاشرة صباحاً لم يقلق أحداً من زملائه .. كان عبدالله قد ذهب يستقصى أكثر فأكثر .

فى اليوم التالى حضر عبدالله للمكتب بنفس ملابسه التى كان يرتديها منذ يومين وهنا بادره رئيسه ..

عبدالله مالك انت ..؟

والله يا سيادتك تعبان .. وعيان شويه .. وكمان منهك .

طيب أمشى إرتاح ..

هنا نادى رئيس القسم على بعض زملاء عبدالله ..

ملاحظين عبدالله ده ما طبيعى ..

ويرد أحدهم ..

والله الراجل ده عيان شويه ويبدو أنه عنده مشاكل .. وربما كانت حاله نفسيه .

فى اليوم التالى عبّر عبدالله لزملائه عن خيبة أمله فى ما جرى من ترحيل لليهود الفلاشا .. وبالرغم من أن رأيه كان أعنف الآراء فإن أحداً لم يلاحظ أن عبدالله كان متطرفاً .. لأن معظم أفراد الجهاز قد فوجئوا أيضاً بالعملية .. ولم يكن أحد يدرى بها غير منفذوها بالتالى كانت مثل هذه التعليقات شيء عادى .

فى اليوم الذى يليه كان عبدالله عبدالقيوم يشكو من مرض ، ويرى أنه من الأفضل أن يسافر الى القاهرة لتلقى العلاج هناك .. ربما إرتاح نفسياً بعد ذلك .

إتجهت أنظار زملاء عبدالله أنه يشكو من مرض عضال لا يريد البوح به ، يمكنه أن يتعالج بالقاهرة ويرتاح قليلاً .. وهنا هب كل رفقائه لمساعدته ، طلب الإجازة وصدقت له إعتباراً من السبت القادم ..

التذاكر سوف تكون جاهزه .

لا التذكرة حأشتريها براى ..

رتب له زملائه كل شيء ..

إرتكب عبدالله غلطتين أدتا الى كشف وجهته .. تصدقت إجازة عبدالله إعتباراً من السبت القادم ..يبدو وجد أن الوقت ليس فى صالحه .. ويجب أن يسافر يوم الخميس .. وحقيقة الأمر أنه لا

يود السفر الى القاهرة إنما الى تونس حيث الجامعة العربية ، ليكشف للعالم وللعروبة ماذا فعلت مايو .. كان يريد أن يصل الى مقر الأمين العام للجامعة العربية ليفجر القنبلة .. كانت الطائرة تأتى للخرطوم لتغادرها الى دولة مجاورة منها الى تونس ، بمعنى أنه اذا لم يسافر هذا الخميس وإنتظر حتى موعد بدء الإجازة فإنه سوف يضطر الى البقاء بالخرطوم حتى الخميس الذى يليه .. وهكذا قرر أن يسافر يوم الخميس ، الغلطه الثانية هى أن الضباط المسافرين فى إجازات كانوا يحصلون على تأشيرة الخروج من داخل الجهاز .. لكنه تحصل عليها من الجوازات .

عندما سافر عبدالله كان زملاؤه العاملين بالمطار فى وداعه .. عندما غادرت الطائره المطار كان مدير المطار يرفع السماعة ليعلن فى تقرير روتينى عن الأشخاص المعروفين الذين غادروا على متن الطائرة ولما ورد إسم عبدالله عبدالقيوم كان الأمر غير عادي خاصه أنه قد سلم مفتاح العربة العاملة معه لمدير الخطوط الجويه التونسية . هذا الضابط إجازته لم تبدأ ، من المقرر أن يسافر الى القاهرة ، غادر الى تونس .. الزملاء أفادوا أن اعصابه مرهقه .

فجأة دق التلفون فى مكتبى (١)

يا هاشم ..

نعم سيادتك ..

نحنا عندنا ضابط كان مسافر للعلاج ومفروض يمشى القاهرة ، إجازته لسه يوم السبت ، فجأة لاحظنا سفره الآن بالتونسية فى طريقه لتونس .. الراجل ده اعصابه تعبانه شويه ..

ده منو يا سيادتك ..؟

عبدالله عبدالقيوم .

---

(١) العقيد/ ابورنات

عارفه سيادتك ..

طيب كلم اللواء عمر ..

حاضر سيادتك .

لم يكن يخطر ببالى إطلاقاً لماذا سافر عبدالله عبدالقيوم ، لكن الأمر يتعلق بضابط ترك الخدمة ويحمل أسراراً خاصة بالجهاز وسافر فجأة ، وصلت بسرعة مكتب اللواء عمر وحدثته بالأمر .

طيب إتصل بالاصدقاء ليتصلوا بالمطار عشان يتحققوا منه فى الطيارة ربما ينوى شيئاً خطيراً .

إتصلت بالاصدقاء على الخط المباشر وأخطرتهم وشرحت لهم إننا لا نعرف بالضبط ما هى قصة الضابط .. لكن يبدو أنه تصرف غير طبيعى من الضابط .. وبما أن أقرانه أفادوا أنه غير طبيعى فكل شىء محتمل .

إستوعب الاصدقاء الكلام ، عندما هبطت الطائرة التونسية قام المسئولين بالبحث عن عبدالله فى داخل الطائرة والذى لم يشأ أن يظهر نفسه ، لكنه أمام إلحاح الاصدقاء وتأخير الطائرة وافق على تسليم نفسه .

عندما نزل عبدالله عبدالقيوم لم يكن أحد يدرى من هو الرجل .. وما هو الأمر .. كان المهم لدى الأصدقاء معرفة الموضوع الخطير الذى فى جعبته أهى قنبلة موقوتة لتفجير الطائرة ؟ أهى شىء أصعب من ذلك ؟ لا أحد يدرى ، بالتالى كان لابد من إخلاء الطائرة وتفتيش عفشها ومخازنها وإجراء تفتيش شخصي لم تجد السلطات شيئاً . تمَ إحتجاز عبدالله وسمح للطائرة التونسية بالمغادرة .

كان السفير التونسى قد علم بأمر الطائرة المحجوزة ، وإنزعج كثيراً ، وإحتج على تأخير الطائرة وإنزال عبدالله عبدالقيوم من متنها . أبرق السفير تونس والخرطوم ، وفور ذلك إتصلت السفاره التونسية بالسلطات السودانية لمعرفة ما هو الأمر بالضبط .

بدأت السلطات هناك التحقيق مع عبدالله ، وقد كان التحقيق عادياً

فى أوله .. إذ أن عبدالله لم يشأ أولاً أن يتحدث عن نيتة الحقيقية ، لكن بعد أن علم أن السلطات قد تعيده الى السودان ، قرر أن يفصح عن الغرض الحقيقى لسفره من السودان .

شرح عبدالله أنه مستاء جداً من عملية ترحيل اليهود الفلاشا عبر السودان الى إسرائيل . ثم أوضح تفاصيل العملية وكيف جرت ، ثم نيته الذهاب لجامعة الدول العربية لفضح الدور الذى قامت به حكومة السودان وتبرئة الشعب السودانى من هذه الجريمة . عندما نزل عبدالله من الطائرة ، لم يكن أى شخص يعلم عن قضية الفلاشا وعلاقتها بسفره ، لذلك فقد تمَ ترحيله الى الخرطوم على أساس أنه ضابط هارب من الخدمة .

دهشت السلطات ودهش المحققون ، كانت العلاقات بين هذه الدولة والسودان على أحسن حال وعلاقة جهازها الأمنى وجهاز أمن الدولة السودانى فى قمتها عندما نقلت الإذاعات العالمية نبأ ترحيل اليهود الفلاشا الى إسرائيل كان أول إجراء إتخذه جهاز أمنها هو سؤال جهاز أمن الدوله السودانى عن حقيقة الأمر ، فقد وصلت برقية من رئيس جهازها يستفسر عن حقيقة الأمر .. ورد عليه اللواء أ.ح عمر محمد الطيب ، وأوضح له أن العملية هى ترحيل لاجئين .. وأن الأمر لم يكن معروفاً أنه سوف يتم ترحيل هؤلاء اليهود الى إسرائيل وأن حكومة السودان نظرت للموضوع نظرة إنسانية تشمل كل اللاجئين الذين يتطلعون الى حياة كريمة خارج معسكرات اللاجئين . تسرب الشك لديهم ، وطلبت أن يحضر رئيس جهازهم شخصياً وبرفقته الضابط لمناقشة الأمر . وبالفعل وصل على طائرة خاصة وإستقبله اللواء عمر محمد الطيب النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس الجهاز . عند وصوله كان واضحاً أنه لم يكن مرتاحاً رغم أنه تربطه باللواء عمر صداقة شخصية . فور وصوله عقد معه إجتماعاً مغلقاً ، ومن ثم ذهب لمقابلة السيد رئيس الجمهورية ولم يكن اللقاء طويلاً حيث إستقل طائرته وقفل راجعاً الى بلاده .

وضع عبدالله فى حراسة مع أحد زملائه الضباط داخل سرية حرس الجهاز والتى يقودها الضابط المسئول عن تأمين جهاز أمن الدولة كانت حجرة مؤمنه . فى المساء ذهبت (١) اليه ومعى رئيسه المباشر ، كان الموقف حرجاً أن ترى زميلك تحت حراسه مشددة . كان عبدالله يقبع داخل حجرة تشبه الزنازين لحد بعيد رغم أنها واسعة نسبياً ، كان هادئاً كعادته ، لكن وجهه مكسواً بقلق يشوبه إحباط نفسى .. وكان تصرفه هادئاً .

- إزيك عبدالله ..

- أهلاً..

- كيف حسه ..

لم يرد عبدالله .. ولم أعرف ماذا أقول له ، ففى مثل هذا الموقف لا يصح أن تلومه حتى ولو كان مخطئاً وتنعدم الكلمات .

طيب يا عبدالله ربنا يسهل .

ذهبت الى مكتبى والألم يعتصرنى .. وجلست أحدق فى لا شىء . دلف الى مكتبى العقيدالفاتح عروه .

- هاشم ..

- نعم .

- يا أخى ما معقول مهما حدث عبدالله يكون فى الحاله دى كل الزملاء مستائين ما خلاص حسب القانون هو غلطان غلطان ، لكن حقو تتكلم مع اللواء عمر والعميد الجعلى برضو حيتكلم معاه وبعدين لازم يكون فى وضع أحسن خاصه إنه حالته النفسيه بطاله ويمكن يعمل أى حاجه فى نفسه .

- الفاتح يا أخى كلنا عندنا الشعور ده ، لكن الليله بالذات ما بنقدر نعمل حاجه وحسه الإجراءات العاملنها

---

(١) العقيد ابورنات

دى لسببين الاول إنه الناس لسه متحمسه ضد عبدالله .. والثانيه إنهم خايفين يعمل حاجه فى نفسه زى إنتحار ولا حاجه .

- طيب أنا حاشوف مع الأخ العميد الجعلى الموضوع . يعنى بكره يحاول يتكلم مع عبدالله فى الصباح وبعدين يجى شويه يهدىء اللواء عمر ثم تمشى انت كمان تتكلم مع اللواء عمر شويه ولحدى المساء ممكن نصل الى حاجه .

ماشى ..

ذهبت (١) لمقابلة اللواء عمر وبدأت أحاول أن أستشف أمر عبدالله

- سعادتك الضيف سافر ؟

نظر الىّ اللواء عمر نظرة فهمت منها أنه يعرف ماذا يدور بحلدى ، ثم قال:

- عبدالله حالته كيف ؟

- والله سعادتك حالته صعبه .

- طيب ماله هو بعمل كده .

شعرت أن اللواء عمر فى صراع نفسى مع واجبه وحالته الإنسانيه كان قلقاً ، لكنه كان صارماً فى حديثه .. قال :-

- طلع أمر تشكيل لمجلس تحقيق برئاسة اللواء ابراهيم وعضوية الجعلى وانت وضابط آخر أنا عاوز الإجراءات تبتدىء اليوم .

- حاضر سيادتك .

كنت مقتنعاً أن اليوم ليس يوماً للحديث وليس هناك ما يُقال أكثر فى اليوم التالى تمكن العميد أحمد الجعلى من إقناع اللواء عمر

---

(١) العقيد/ ابورنات

بأن إجراءات الأمن الصارمة ضد عبدالله قد تكون ذات أثر معاكس
كان الجعلى يعرف أن الأمر ليس ببساطة أن هناك ضابطاً قد هرب ..
هذه قضية يثيرها عبدالله بالطريقة التى تريحه دون تخطيط مع
جهات معارضة . وعليه فالأمر يتطلب حواراً مع عبدالله على الأقل
لتخفيف حدة الأمر من جانبه ومن جانب رئيس الجهاز ..
فهم اللواء عمر تماماً ما يرمى اليه الجعلى ولم يكن يدرى أن ما
يقوله له الجعلى هو نتاج نقاش مستفيض بين كبار مسئولى الجهاز
لم أكن أدرى وجهة نظر اللواء الفاتح الجيلى مدير إدارة الأمن
الداخلى والرئيس السابق المباشر لعبدالله ، إلا أننى كنت واثقاً
أن أن اللواء الفاتح الجيلى يميل الى العقلانية فى مجابهة مثل هذه
الامور وقد إعتاد اللواء عمر مشاورته فى إمور كثيرة . ولابد أنه
قال وجهة نظره للواء عمر.
أمضى عبدالله يوماً أكثر هدوءاً من اليوم الذى سبقه .
بدأنا التحقيق معه . ومعروف أن هذه التحقيقات ذات الطابع
العسكرى لا تتطرق للدافع السياسى بقدرما تتركز على المخالفة
التى حدثت فى نطاق قوانين جهاز الأمن . " وهو جهاز معظم
قوانينه مستمدة من القانون العسكرى مع التشديد فى العقوبات
أكثر من القانون العسكرى ".
كان هذا محور التحقيق ، بُدأ التحقيق مع عبدالله بدءاً بإجازته
ومتى بدأت وعما إذا كان قد تحصل على إذن بمغادرة البلاد للخارج
كان تحقيقاً طويلاً أذ أن القضية طويلة وعبدالله يريد وضعها فى
قالب سياسى ، بينما كنا خاصة العميد الجعلى وشخصى نرى أن
تسير القضية بحيث تبدو وكأنها مخالفة عسكرية حتى نحاول أن
نضع مبررات مقنعة مستقبلاً لمحاولة الهروب أو على الأقل التحقيق
من محاولته الهروب ووضعها كإتهام ثانوى ، كنا نعلم أن هناك
غالبية من الزملاء يعمل خارج مجلس التحقيق لوضع هذا التصور
موضع الحقيقة يساعدنا فى ذلك أن الرئيس ونائبه لا يريدون
تصعيد القضيه كان ذلك واضحاً .

كان عبدالله متمسكاً برأيه .. حاداً فى حديثه .كانت طريقة حديثه هذه عقبة قد تؤدى الى تجريمه مستقبلاً إذا ما إستمر التحقيق وأخذ خطوة أخرى . هكذا كنا أحياناً نطلب منه ألا يقول ما لم نسأله عنه ، كان عبدالله كضابط شرطة واعياً بكل صغيرة وكبيرة أما خارج إطار لجنة التحقيق وبين اعضاء الجهاز فقد بدأت حركة مكثفة لانهاء أمر إعتقال عبدالله وتصدَى لقيادة الأمر كبار ضباط الجهاز ، حاصرت المحاولات اللواء عمر والذى كان يبحث عن حل للأمر ويريد أن تكون هناك مبادرة معقولة ومقبولة .

أخيراً أتى لمكتبى (١) الأخ الفاتح عروة فى المساء ، وقال لى أن الأمر وصل الى مرحلة إقناع عبدالله بكتابة خطاب الى اللواء عمر بصفته رئيس الجهاز وقائداً أعلى يوضح فيه أنه سافر للخارج لظروف نفسية خاصة به لم تمكنه من إستكمال الإجراءات القانونية وأنه يطلب من اللواء عمر مراعاة ذلك .

ـ طيب يا الفاتح حتقنعو عبدالله كيف ؟

ـ والله يا أخى شوف نحنا حسه ماشين عليه والجعلى حيقعد معاه إن شاء الله طول الليل واذا وافق يكتب الخطاب حيرسله ليك الصباح بدرى خالص عشان تسلمه للواء عمر .

خرج الفاتح عروة ، ويبدو أن المجموعة بذلت مجهوداً مع عبدالله أقنعوه على الأقل بأن هذا الخطاب قد يكون مخرجاً من إجراءات الجميع فى غنىً عنها .

فى صباح اليوم التالى جاء ضابط أمن الجهاز " عثمان العمده محمدانى " يحمل الخطاب ، كانت الساعة السادسة صباحاً واللواء عمر يصل مكتبه السادسة والربع كان خطاباً أنيقاً مكتوباً بخط جيد ولا يحمل إسلوب الإسترحام ولا يهاجم أحداً . بعد عدة دقائق كنت

---

(١) العقيد/ ابورنات

أقف أمام اللواء عمر حاملاً الخطاب ، إطلع عليه اللواء عمر ، وبكل هدوء قال :ـ

ـ أذهب الى اللواء ابراهيم كلمه يحضروا لى الضابط حسه مكتب (تعنى إحضار الضابط المتهم مخفوراً أمام قائده) .

بسرعة البرق كان الجميع أمام مكتب اللواء عمر ، اللواء ابراهيم ، العميد الجعلى ، عبدالله عبدالقيوم وحارسه ، دخلوا الى اللواء عمر ونحن فى السكرتارية نترقب نحاول أن نعرف ماذا يجرى الوقت صباحاً ، والمكان هادئاً يمكنك أن تسمع أى صوت عالٍ . كان اللقاء هادئاً عندما بدأ ويبدو أن اللواء ابراهيم قدم للواء عمر رأى المجلس عن المخالفات التى إرتكبها عبدالله ثم بدأنا نسمع صوت مبهم ، ثم بدأ الصوت يعلو تدريجياً ، ثم وضح أخيراً أن النبرة الغاضبة هى للواء عمر وعرفنا أن الموضوع قد حُلَ ، إذ أننا تعودنا ألا يرفع اللواء عمر صوته مع أحد إلا ويكون قد قرر لومه ثم العفو عنه " طريقة الشيوخ والعمد "

ران صمت لفترة ، ونحن نترقب إمتد المكتب لمدة ساعة كاملة ، فجأة فُتح باب المكتب وخرج اللواء ابراهيم مخاطباً الحرس .

ـ خلاص عبدالله .. تعال معاى يا عبدالله ، عثمان العمده (الضابط المسئول عن أمن الجهاز) **سيبو معاى أنا حأرسل ليك أمر بالغاء الإيقاف الشديد .**

هكذا أصبح عبدالله عبدالقيوم حُراً ولم تنجح خطته فى الوصول الى الجامعة العربية فى تونس . لم يصب عبدالله أذى بالرغم من أن الجُرم كان آنذاك وبنص القانون كبيراً .

ترى لماذا ؟ لا شك ان الإجابة واضحة وهى أن كل المسئولين بالجهاز من أصغر ضابط الى أكبر رتبة كانوا على قناعة أن عبدالله كان يعمل بوحى من ضميره وأنه يدافع عن مبدأ يؤمن به الجميع .

هذه بداية قصتنا ومدخلنا الى قضية ترحيل اليهود الفلاشا .

لعلم القارىء أن قانون جهاز أمن الدولة قانون ينظم عمل جماعة

تعمل فى مجال الأمن السياسى إلا أنه كان قانوناً عسكرياً صرفاً . لا يضع أية إعتبارات للمسائل السياسيةرغم إرتباطها العضوى والحتمى ، كانت القيود شديدة وعقوبة الإنحراف عن الأهداف السياسية المرسومة أشد ، بل مجرد الإتصال بعناصر مناوئه للوضع جريمه يعاقب عليها القانون . أما الإتصال بعناصر العدو الخارجى فخيانة عظمى تعاقب بالإعدام الإتصال أو الإقتراب من عناصر المخابرات العسكرية ممنوع .. ممنوع ، أما أذا حدث الإتصال من جانبهم فعلى العضو أن يبلغ فوراً ليوجه .

ومحاولة عبدالله مثال لكسر الطوق لكن القانون كان بالمرصاد .

الفلاشا عبر السودان الى اسرائيل

نتناول فى هذا الفصل موضوعاً هاماً ، شغل الرأى العام السودانى على وجه الخصوص ، والأمه العربيه على وجه العموم ، تناولته الصحافة السودانية والمحاكم السودانية ، كما تناولته الصحافة العربية ، والإذاعات بمختلف إنتماءاتها ، نتناول هذا الموضوع لتمكين القارىء الكريم بالالمام الحقيقى والصحيح ، فى لغة بسيطة حتى تعم الفائدة ، دافعنا لذلك هو بسط الحقيقة المجردة ، من معلومات استقيناها بحكم عملنا فى جهاز أمن الدوله ومن جهات أخرى سعينا اليها ، فتحصلنا على ذلك القدر الذى يمكننا من إطلاع القارىء على ما حصلنا عليه .

أننا لا ننطلق من موقع دفاع قط عن جهاز انتمينا اليه أو نظام عملنا فيه ، أننا نطرح ما لدينا بكل الأمانة الفكرية والتاريخية فيما حصلنا عليه أو عرفناه .

لقد علقت بذهن المواطن بعض المعلومات التى تناولتها الصحافة أو المحكمة الخاصة بالخرطوم لمحاكمة المتهمين فى قضية ترحيل الفلاشا الى إسرائيل . إننا لا نريد أن نهز أو نزعزع تلك الصورة العالقة ، إنما نريد أن يتمكن المواطن من معرفة الحقيقة الكاملة ، بما سنعرضه ونبينه فى هذا المجال ، سنسرد قصة ونبين حقيقه وسنترك للقارىء المجال فسيحاً للتفكير والاستنباط وسنعود فى مرحلة لاحقة للتحليل والتمحيص .

إن السودان بوضعه الجغرافى المتميز ، كقطر يربط العالم العربى بالعالم الإفريقى ، وكقطر تمتزج فيه الحضارة العربية والإفريقية جعلت منه وطناً شديد الحساسية تجاه إنتمائه العربى ، وقد هزته مسألة ترحيل اليهود الفلاشا الى إسرائيل ، وإعتبرها السودان أحدى قضايا الخيانه العظمى، رغم السوابق التاريخية بترحيل يهود من العالم العربى الى إسرائيل حيث يحدثنا التاريخ عن

هجرة جماعية تمت من شتى أنحاء الوطن العربى الى إسرائيل من شماله وشرقه وغربه وأقصى جنوب الجزيرة العربية ، ولذلك قال الرئيس الفلسطينى حين سئل عن مسألة ترحيل السلطات السودانية وقتها لليهود الفلاشا الى إسرائيل ذكر أن ذلك "جرح على الكف" فكان ذلك أبلغ تعبير عن رأيه فى المسألة .

كلا كاتبى هذا الكتاب ينتميان الى جهاز أمن الدولة الذى قام بعض أعضائه بترتيب ترحيل هؤلاء اليهود ، وكلاهما لم يشركا فى هذه المسألة ، رغم قربهما التام من مصدر المعلومات وموقع الترحيل ، فالأول كان مديراً لأمن الإقليم الذى رُحلت منه الفلاشا ، والثانى كان فى موقع أخطر حيث كان مديراً لمكتب رئيس جهاز الأمن الذى رحل الفلاشا وبحكم موقع الثانى وقربه من رئيس الجهاز الذى باشر العملية بمعرفتة ، تعرف على الكثير من المعلومات الهامة التى سيرد ذكرها ، والأول كان من المفترض أن يطلعه رئيسه ورئيس الجهاز الذى قام بالعملية ، فلم يطلعه ، وسكت عملاً بالمبدأ الأمنى الذى يقول "المعرفه على قدر الحاجة ، لكن كانت العملية قد أُشرك فيها بعض الضباط الذين يقعون تحت أمرتة الإدارية ، فكان من الواجب إطلاعه على الأمر ، لذا كان إهتمامه بمعرفة ما كان يجرى ، ومن ثم لماذا ؟

إبان محاكمة هذه القضية عام ١٩٨٥ فى الخرطوم ونحن فى المعتقل إجتمعنا سوية تحدثنا فى الأمر مرة ، لم نتحدث عنه قبل وجدنا كلانا أن ثمة رابطة تجمع بيننا نعرف الكثير ولا نستطيع أن نقول القليل ، فمنذ ذلك الوقت فكرنا أن نكتب كتاباً ، وبدأنا ندون مذكراتنا ، إفترقنا حيناً حيث قضت الظروف أن نبحث عن قوت أبنائنا الى أن إلتقينا فى عاصمة الضباب فجلسنا وقررنا أن نكتب ما نعرفه وماسعينا لمعرفتة .

من المعروف أن كل الأجهزة الأمنية تعمل بسرية تامة حتى إذا لم يكن ذلك العمل يتطلب سرية ، لأنهم تعودوا على ذلك تدربوا عليه . بجانب القاعدة الذهبية التى تفرض ألا يطلع أى عامل بالأجهزة

الأمنية أى شخص آخر ما يوكل اليه أو ما يقوم به من عمل ، ونذكر " المعرفه على قدر الحاجه ".
أن عمل الأمن أذا نظر اليه من منظار السياسة والمبادىء نجد أنه قد يتناقض مع ذلك ، لأن التنفيذ قد تربط به ناحية " تاكتيكية تبدو وكأنها تناقض الناحية الإستراتيجية كالتخلى عن الأرض أمام العدو بغرض خداعه ، كما أن الهجوم بغرض الإنسحاب والفرار فى حالة الحرب وارد أيضاً ،وينطبق ذلك كذلك فى التجسس على قوات العدو للحصول على معلومات بغرض الإطباق والقضاء عليه وارد أيضاً وهذا ما يقوم به منفذى الخطط الذين لا يرسمونها ،أو يخططون لها إنما يرسمها ويخططها قادتهم ، إلا أنهم يقومون بتنفيذها .
قال رأس الدولة بعدها المشير جعفر نميرى فى لقاءاتة الصحفية والإذاعية أحياناً ، أقوالاً لم تخرج عن عدم علمه أحياناً ، عدم المامه فى احيان أخرى ، عدم إتفاقه ، عدم لقائه بشخصيات إرتبطت أسماؤها بعملية الترحيل . لنأخذ بالتحديد قوله أنه لم يكن يعلم أن المرَّحلين يهود الفلاشا ولم يعرف أن وجهتهم الى إسرائيل وكان يعتقد أنهم لاجئون فى طريقهم الى أوربا ..
قال .. " **قلت للامريكان لو عاوزين ترحلوهم جيبوا طياراتكم عشان ترحلوهم براكم** " . نرجو أن يذكر القارىء هذه المعانى جيداً ، لأننا سوف نوضح الظروف والملابسات وما نُصب عليها من معلومات حتى يستطيع القارىء أن يستنتج ويستنبط دون توضيح منا .
إن موضوع ترحيل اليهود الفلاشا الى إسرائيل تمَ التخطيط له فى امريكا . وكان الموضوع الذى طُرح لكيفية ترحيلهم هو ، أنهم يودون ترحيلهم لأسباب إنسانية الى أوربا أولاً ومنها الى امريكا . كانت الرواية بهذه البساطة وقابلة التصديق عليها لأنها إرتبطت بترحيل لاجئين ، لم يكن إهتمام امريكا بهذا الأمر بمستغرب لسيطرة اللوبى اليهودى عليها بالتالى سوف يوفر الترحيل

والسكن ويشكر السودان لأنه ساهم بقدر وافى فى تحمل إعداد كبيرة من اللاجئين وفدت اليه من كل دول الجوار مراعياً بذلك حقوق الإنسان إرتبط هذا بالتسهيلات المالية ، والأسلحة التى يطلبها السودان من امريكا ، رهينة بهذا الترحيل ، وهناك وثيقة وقعها معظم أعضاء الكونقرس الأمريكى بعد ترحيل اليهود الفلاشا عبرت عن شكرهم للسودان ، دليل على ذلك ، أن وافق الكونقرس على مد السودان بما قيمتة بليون ونصف البليون دولار من المواد التموينية والآلآت الزراعية والسلاح .

أمام هذا الإغراء المالى الضخم للسودان الذى يعانى أزمة إقتصادية حقيقية ، ويعيش ظروفاً غير طبيعية لم يكن أمام السلطة غير أن توافق وتصدق رواية الأمريكان أن كانوا لاجئين فقط أم لاجئين من اليهود الفلاشا لأن أمريكا وقتها قد أعلنت قبولها لبعض الجنسيات للاقامة بها .

إننا لا نود الدخول فى تحليل موقف الرئيس السابق نميرى عن مدى علمه أو عدمه عن الوجهة الحقيقية لهؤلاء المرحلين ، ولا عن نائبه اللواء عمر محمد الطيب عن علمه بوجهتهم الحقيقية رغم صلتة بجهاز المخابرات الأمريكية ، ولا عن الضباط الذين قاموا وساعدوا فى تنفيذ العمليات ، لئلا نزج بنفسينا كمدافعين أو إثبات الإتهام فى هذه المرحله حتى تبرز الصورة الواضحة للموضوع . كانت الغالبية من الشعب السودانى والعربى لم تسمع بيهود تسمى " **فلاشــا** " وربما كان البعض يجهل أن فى أثيوبيا يهود أصلاً ، كانوا يعرفون عن الكنيسة الأثيوبية بأنها من أكبر الكنائس فى العالم كان البعض يعلم أيضاً أن الأمبراطور هيلا سلاسى كان معبوداً فى وطنه وينظر اليه على أساس أنه الأب الروحى للكنيسة ، بل كانت هناك قناعة لدى شعبه بان سنده فى السلطة كان ذلك التقديس الروحى .

لعل الكثيرين أيضاً لا يعلمون أن عملية ترحيل اليهود الفلاشا بدأت منذ عهد الأمبراطور هيلاسلاسى ومنقستو هايلى مريام ، لكن لم يكن لأحد أن يعرف بها ، كانت العملية تتم لقاء بعض التسليح والحصول على طائرات نقل لصالح الخطوط الجوية الأثيوبية خاصة فى عهد منقستو ، حيث كانت عملية الترحيل تتم بصعوبة شديدة ،

ذلك النظام الذى إكتشف أن ترحيل هؤلاء اليهود الى إسرائيل أصبح مورداً جديداً للعملات الصعبة ، كانت الصعوبة فى أن الطريق كان يتم عبر السودان الى نيروبى وكان ذلك خلال السبعينات ، حيث كان الترحيل يتم الى عنتبى أو نيروبى ومنها رأساً الى إسرائيل . كانت التكلفة عالية ، خاصة بعد أن إستقرت الأحوال فى السودان وزالت الحرب ، عندها فكر اللوبى اليهودى ، وإسرائيل فى ترحيلهم عن طريق السودان ، خاصة وقد اشتدت الحرب بأثيوبيا مما إضطرتهم الى النزوح الىالسودان أو الى حدوده بعيداً عن مناطق القتال . هكذا كان الموقف فأخذ الموضوع مساحة كبيرة من النقاش والدراسة .

على من طُرح موضوع ترحيل اليهودالفلاشا من السودانيين ؟ :

أسّر الىّ (١) شخص مقرب من الرئيس السابق نميرى أن الموضوع تمَ نقاشه مع دبلوماسى سودانى فى امريكا أولاً ثم أتفق من بعد على طرحه على نميرى ، مع التركيز التام على " **لفظة لاجئين** " اكثر من لفظة يهود حتى يبدو إهتمام الامريكان بالأمر كأنه أهتمام إنسانى بسبب رابطة الديانة اليهودية التى تجمع بينهم ، كان ذاك الدبلوماسى السودانى يبعث كل خطاباتة الشخصية عن طريق الحقيبة الدبلوماسية إلا خلال الفترة التى سبقت ترحيل الفلاشا حيث أصبحت تأتى خطاباتة الشخصية عن طريق حقيبة الأمن القادمة من واشنطن ، كانت تلك الخطابات تعنون لى شخصياً عندما أفض الظرف المعنون لى وهو ظرف ضخم أجد خطابات موجهة الى " السيد الرئيس القائد " مقفولة ومختومة بعناية ،

كانت تسبق وصول هذه الخطابات محادثة تلفونية من مكتب رئيس الجمهورية بأنه سيصل خطاب مهم للرئيس من ذاك الدبلوماسى فى امريكا ، كان الأمر لافتاً للنظر حيث كان الخطاب موضع إهتمام بالغ .

حدثنى المصدر المقرب الى الرئيس السابق أن الدبلوماسى قد تقاضى عمولة قدرها سبعة عشر مليوناً من الدولارات الأمريكية

---

(١) العقيد / ابورنات

نتيجة لنجاحه فى العملية ، قال أيضاً أن نصيب اللواء عمر كان مليونين .

من الصعب التوصل الى حقيقة هذه العمولة حسبما جاء فى أقوال اللواء عثمان السيد أمام محكمة الموضوع بالخرطوم فيما يختص بمبلغ المليونى جنيه إسترلينى التى وُردت فى حساب خاص فى لندن على أساس أنه حساب خاص باللواء عمر محمد الطيب ، إلا أن المستشار القانونى فى ديوان النائب العام الذى سافر الى لندن للتأكد من ذلك الحساب الخاص وجد أن المليونى جنيه وردا فيه لبناء رئاسه للجهاز ، لذا قامت الشكوك حول صحة أن هناك تخطيطاً لبناء مبانى للجهاز ، لقد سألتنى لجنة التحقيق عن قصة مبانى الجهاز إن كانت وهميه ، فأفدتها بأنها ليست وهميه وأننى شخصياً أعرف إسم الشركه الإنجليزيه التى قامت بالمسح والتحضير للبناء وتدعى WEMPY وشاركت فى الدراسه جامعة الخرطوم ، مركز أبحاث التربه ، والتى كلفت ٢٥ ألف جنيه سودانى (٢٥ ألف دولار) اللجنة إستبعدت شهادتى لأنها كانت تريد أن تثبت أن مشروع مبانى الجهاز كان مشروعاً وهمياً .

هذا ما كان من أمر مقدمة هذا الموضوع ، الى تفاصيل القصة .

الترحيل عبر التاريخ

١ـ المرحلة الأولى : عبر أديس أبابا .

٢ ـ المرحله الثانيه : ترحيل فردى من السودان .

٣ ـ المرحله الثالثه : ترحيل جماعى من السودان كلآتى : ـ

أ . ترحيل عبر البحر الأحمر بالطائرات .

ب . ترحيل عبر الخرطوم بالطائرات .

ج . ترحيل مباشر من مطار القضارف .

بعد قيام دولة إسرائيل بدأ تدفق اليهود الى أرض الميعاد من كل الدول على إختلاف مشاربها الشرق والغرب . كانت الدول تسمح لهم بالمغادرةحسب أنظمتها السياسية ، وهكذا تجمع اليهود بأرض فلسطين المحتلة.

كان وضع اليهود القادمين من الغرب يختلف عن وضع اولئك القادمين من الشرق.فى عام ١٩٥٥ برزت مشكلة اليهود فى إثيوبيا الذين سموا " بالفلاشا " ، لم ترد إسرائيل الاعتراف بهم كيهود لاسباب تتعلق بتخلفهم الحضارى ، اذ كانت تمثل امامهم مشكلة يهود الشرق ويهود الغرب ، وكانوا يعتقدون انهم لم يضطهدوا كيهود أوربا ولم يعانوا مثلهم . هكذا أخذت مسألة الإعتراف بيهود أثيوبيا وقتاً طويلاً ، حتى تمَ الإعتراف بهم فى العام ١٩٧٧ بواسطة ISRAEL CHIEFARDIC SEPH (!) ومن ثم اصبحت المناداة بضمهم الى اسرائيل حقيقة.

(!) كتاب (RESCUE) لمؤلفه الاميركي RUTH GRUBER

المرحلة الأولى :ـ

أ ـ الترحيل من أديس أبابا .

أصبح مناحيم بيقن عام ١٩٧٧ رئيساً لوزراء إسرائيل ، أعلن أنه سيساعد على إعادة الفلاشا الى أرض الميعاد لكن الرئيس السابق منقستو هايلى مريام وقف حجر عثرة أمام ترحيل اليهود الفلاشا الى إسرائيل ، واضعاً عقوبة رادعة لكل من يجرؤ على ترحيلهم ، أتخذ منقستو هذا الموقف حرصاً على علاقتة بالشرق والدول العربية . إلا أن إسرائيل تعلم ما كان يعانيه من مشاكل داخلية وحاجتة الملحة للتسليح ليواجه به ثوار إريتريا ،التقراى والارومو . هكذا دخلت إسرائيل فى مساومة معه ، السلاح مقابل الفلاشا . وافق منقستو وإشترط سرية العملية . وفعلاً بدأ ترحيل الفلاشا الى إسرائيل إستمر الحال حتى أعلن وزير الدفاع الإسرائيلى موشى ديان فى مقابلة مع اذاعة زيورخ فى يوم ٦ / ٢ / ١٩٧٨ أن إسرائيل تبيع أسلحة لأثيوبيا ، مما نسف الإتفاق وأوقف العملية . كانت أثيوبيا قد رحلت الى إسرائيل آنذاك ١٢٢ من الفلاشا فقط .

المرحلة الثانيه .

الترحيل الفردى من السودان .

عندما توقفت عملية الترحيل من أديس أبابا ، بذلت عدة محاولات ، حتى توقيع إتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ بين الرئيس المصرى أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيقن ، حيث طلب مناحيم بيجن من السادات أن يتحدث الى الرئيس السودانى جعفر نميرى أن يسمح بترحيل الفلاشا المقيمين بمعسكرات اللاجئين ، لقد تمت عملية ترحيلهم بطرق غير مباشرة الى إسرائيل ، وبطريقة فردية ومن منافذ متعددة تحت ساتر غير فلاشا ، حتى مقتل الرئيس المصرى أنور السادات عام ١٩٨١ لم يتم غير ترحيل ٤٠٠٠ " أربعة الآف من اليهود الفلاشا " . فى عام ١٩٨٣ قام رجل أعمال ناجح يعرف بإسم جيف JEFF بدخول السودان فى محاولة تهريب اليهود الفلاشا الى خارج السودان واضعاً فى حساباتة الدقيقة أن تهريب كل فرد من الفلاشا سيكلفه ثلاثة ألاف دولار سواء كان هذا الشخص رجلا ،امرأة او طفلاً ، بدأ جيف فى التسلل بمجموعات عن طريق جنوب السودان من الخرطوم الى جوبا ، الى

نيروبى بكينيا . كان من السهل الحصول على الجوازات المزيفة عن طريق الاريتريين . وهكذا كان جيف يستعمل الاموال التى يحصل عليها من المنظمة الامريكية من اجل اليهود الاثيوبيين _
The American association for Ethiopian Jews.
فى شراء جوازات السفر وتذاكرالسفر بالطائرات ، وتكلفة الاقامة بالفنادق حتى يتم ترحيلهم الى اوربا ومن ثم الى اسرائيل . ولقد ذكرت وكالة السفر التى قامت بتهريب هذه العناصر والتى تديرها ممرضة امريكية متزوجة من جيف تعمل فى الهاجاناة الاسرائيلية ، اعلنت هذه الممرضة ان جيف قد تمكن من انقاذ وترحيل مائة من اللاجئين الفلاشا .

لم يكن جيف هو الشخص الوحيد الذى كان يتولى محاولات ترحيل الفلاشا ، فقد كانت هناك منظمات أخرى تسعى لنفس الغرض منها منظمة نشأت فى عام١٩٨٢ فى الولايات المتحدة اسمها مؤتمر امريكا الشمالية لليهود الاثيوبيين :
American Conferance On the Ethiopian Jewey (N A C O E J)
والذى أسستة برباره ريباكوف ، كانت هذه المؤسسة تعمل بهدوء على عكس منظمة (A A E J) مما مكنها ان تكون على اتصال حسن بوزارة الخارجية الإسرائيلية والوكالة اليهودية فأخذت اولاً تعمل فى وسط اليهود الفلاشا بإسرائيل والذين كانت لهم خلافاتهم التى قسمتهم الى عشرة مجموعات ، ساعدت هذه المنظمة فى تكوين مجلس لكل هذه المجموعات حتى ينتهى التناقض فيما سمى ب
The National Council For Ethiopian Jewws In Israel
كانت المنظمات جميعها تعمل على أساس أن أفريقيا تواجه المجاعة الناس يموتون ، كان هدف إسرائيل الرئيسى هو إنقاذ اليهود الفلاشا ، وهكذا نجح الإعلام اليهودى فى إستنفار كل الدول الغربية ومنظمات الأمم المتحدة فى السعى لإنقاذ اللاحئين ، خاصة اليهود ، فقبلت كندا أن تستخدم الفنيين منهم بينما قبلت السويد أن تستقبل المعوقين الذين لم يُقبلوا فى بلدان أخرى وقبلت اسرائيل أى يهودى قادم اليها ، المشلول الأعمى و الأقوياء من الرجال والنساء والأطفال .

بنهاية عام ١٩٨٣ كانت إسرائيل قد أخرجت سبعة ألف يهودى من الفلاشا حتى صارت المعسكرات فى السودان خالية من أى يهودى . فى بداية عام ١٩٨٤ والمجاعة تشتد كان هناك عشرة آلاف من

اليهود الفلاشا من عشرات الألوف من اللاجئين من الأثيوبيين من المسيحين والمسلمين فى طريقهم للسودان كفوج أول هرباً من الجوع وويلات الحرب.

هنا كان واضحاً لإسرائيل أن عملية ترحيل جوية مكثفة هى الحل الوحيد لإنقاذ من قدموا ومن يحضرون من اليهود الفلاشا خاصة أن نسبة الوفيات بدأت ترتفع وسط مجتمع اليهود الفلاشا الذين كانوا يخشون إعلان دياناتهم فلا يذهبون للاطباء ولا يختلطون بالآخرين ويقومون باجراء طقوسهم من زواج ودفن للموتى سراً.

قررت إسرائيل أن تكرر عملية الترحيل الجماعية التى قامت بها فى اليمن عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ التى كانت تسمى بعملية البساط السحرى والتى جرت فيها ٣٦ عملية جوية لترحيل اليهود الموجودين فى اليمن.

كان تنفيذ عملية كهذه يتطلب موافقة السودان وللوهلة الأولى كان الإسرائيليون يدرسون الموقف. الرئيس السادات قُتل لأنه اقام علاقة بين مصر وإسرائيل، نظام الرئيس نميرى يعانى من مشاكل جعلته يتأرجح، وحلفاء نميرى الاخوان المسلمين سوف ينقضون على السلطة اذا ماعلموا أن هناك ترحيل لليهود عبر السودان الى إسرائيل. ولم يكن أمام إسرائيل من وسيلة إلا أن تتجه الى الحكومة الامريكية للمساعدة، فالسودان يُعتبر فى معسكر امريكا وامريكا لا تستطيع أن ترفض لها طلباً كهذا حتى لا تكرر غلطتها فى عام ١٩٤٤ عندما منعت دخول اليهود الهاربين من المانيا النازية الى امريكا، مما أدى الى تكوين لجنة لاحقاً وأدانة الحكومة حيال تصرفها، إضافة الى أن الجيل الحاكم فى امريكا الآن يكن الود والمساعدة لإسرائيل.

كان لابد لامريكا التنسيق مع إسرائيل من نسج روايات مقنعة عالمياً. كان الأمر يتطلب أن تتم تغطية جيدة لمشكلة اللاجئين من الناحية الإعلامية. لم يكن هذا صعباً فالمجاعة التى ضربت وسط أفريقيا قد مست أثيوبيا والسودان بوجه خاص. وكانت حافزاً لإسرائيل استدعاء شعب الفلاشا لأرض الميعاد قبل أن يموتوا جوعاً أذن فلابد أن المجاعة التى جعلتهم يشفقون على قومهم ستكون المجاعة التى ستساهم إعلامياً فى تحفيز العالم الغربى ليجند كل وسائله الممكنة للمساعدة فى إغاثة اللاجئين، هكذا كانت امريكا تتحرك على المكشوف بإعتبارهم لاجئين. كان مهندسا العملية

المسئولان عن التصميمات الأولية هما :ـ
١ ـ هوارد دوقلاس والشهير بلقب جينى ويشغل منصب المنسق للولايات المتحدة لشئون اللاجئين ، يتمتع بلقب سفير ، كان جينى قائداً لاحتياطى سلاح البحرية ، ذكيا ويتكلم ست لغات بطلاقة مقرباً جداً الى مجموعة الرئيس ريجان .
٢ ـ المستر ريتشارد كريقر يبلغ آنذاك الثانية والخمسين من العمر يشغل منصب المساعد لجينى فى شئون اللاجئين عمل لمدة أربعة عشر عاماً فى شئون اليهود .
كان المهندسان يرسمان سياسة شئون اللاجئين وبتعبير أدق كانا يقومان بمهمة المهندسين الإستشاريين ، ويقدمان التصميمات اللازمة لكل عملية
٣ ـ مكتب وكالة البرمجة للاجئين وهو الذى يتلقى هذه الخطط وينفذها ويوفر لها الأموال اللازمة . Programms The Bureau For Refugees
كان هذا المكتب مسئولاً عن توزيع ملايين الدولارات على وكالات اللاجئين مثل :ـ
١ / الوكالة الكاثوليكية لخدمات الإغاثه Catholic Relief Services
٢ / Save The Children
٣ / جمعية هيبرو لمساعدة المهاجرين Hebrew Immigrant Aid Society (HIAS)
٤ / الصليب الأحمر .
٥ / وكالة غوث اللاجئين للأمم المتحدة .
كان يتولى قيادة هذا المكتب المستر جيمس يورسل . بالرغم من أن المكتبين المذكورين كانا يعيشان حالة صراع مستمر من قبل رئيسهما الا أنهما كانا متفقين تماماً فى إلتزامهما بإنقاذ اليهود الأثيوبين .
٤ ـ يعاون هؤلاء الرجال الثلاثة دائماً دبلوماسياً معيناً يعاونه المستر ملتون من جهاز المخابرات الأمريكية C.I.A
هذا الرباعى هو المجموعة التى أخذت على عاتقها التنسيق مع إسرائيل لإعادة اليهود الفلاشا الى أرض الميعاد .
من ضمن المشاكل التى واجهت هذه المجموعة هو أن مندوب غوث اللاجئين (UNHCR) المستر نيكولاس موريس وهو إنجليزى مولود فى السودان يعتبر غير متعاطف مع اليهود الأثيوبيين ولا يفهم مشاكلهم .غ

لكن جينى كان لديه رجل آخر فى السودان وصف بأنه متألق لكنه غير منظم يتمتع بصفة الكابوى الذى يبحث عن الصيد الثمين ، كان جينى دائماً يعقب على كل ما يرد حول ذلك الرجل بقوله :ـ
جيرى ويفر يعرف السودان تماماً ولديه قدرة على المغامرة العاطفية التى دوماً يحقق بها إنجازات غير عادية أوكوارث لا تنسى
كان جيرى ويفر يشغل منصب مسئول اللاحئين بالسفارة الامريكية فى الخرطوم .. وعلى ضوء هذا يجد حرية فى التحرك تجاه معسكرات اللاجئين دون رقابة لم يكن جيرى ويفر راضياً إطلاقاً عن حالة اللاجئين ، خاصة اليهود الفلاشا ، فى إحدى زياراته الى معسكر أم راكوبه رأى بنفسه وضع اللاجئين ، عاد الى الخرطوم ليسطر برقية توضح مدى تدهور الحالة فى المعسكرات وعدم إهتمام مسئولى الاغاثة للأمم المتحدة بالأمر . وصلت البرقية الى واشنطن للمستر كريقر الذى سطر بدوره برقية الى رئاسة ال (UNHCR) غوث اللاجئين ، عندما رد مدير المنظمة الى مستر كريقر قائلاً أنهم سوف يبعثون بمندوب من جنيف لمراجعة الموقف في السودان ، بعد عدة أيام ردت جنيف بأن مندوبها قد عاد وأن موقف اللاجئين ليس به حرج وأن الأطعمة والأدوية متوفرة ، وقد تساءل مدير غوث اللاجئين كيف أن تقريرهم مختلفاً عن تقرير جيرى ويفر .
رجع جيرى ويفر مرة أخرى الى أم راكوبه ليكتشف أن مندوب غوث اللاجئين الذى تمَ إيفاده من جنيف لم يزر إطلاقاً المعسكرات وأنه قبع في الخرطوم وإكتفى بمصادر معلومات .
هنا كان لابد من إجتماع تنسيقى بين كريقر ونائب مدير غوث اللاجئين الذى حضر الى واشنطن ، عندها وعد نائب المدير مستر سميسر بأنه سوف يقدم كل ما يمكنه من أجل اللاجئين اليهود من طعام وشراب ومسكن ودواء
كان هذا مايجرى لتصوير الوضع بأنه سي ء للغايه على المستوى الرسمى . لكن هل كان وضع لاجئين آخرين في العالم أسوأ من هذا ؟ .
فى واشنطن ، فى مكتب دوقلاس أو جينى كما كان يلقب كان ينتظر فى صبر وصول مستر كريقر ومعه أكبر دبلوماسى سودانى بالبلاد بينما كانت تزين مكتبه خارطة للعالم توضح أماكن تواجد اللاجئين ، لم يكن خافياً أن أفريقيا تحظى بتظليل كثيف يوضح

أماكنهم.
فجأة نهض دوقلاس من كرسيه ليحي الدبلوماسى السودانى الأنيق المنعم الذى تبدو عليه سيماء الراحة . - مرحباً صديقى أجعل جلوسك هنا وأشار الى كرسى وثير يجاوره كرسى آخر يمكن دوقلاس من الجلوس بجانبه بينما جلس كريقر فى الناحية المقابلة لهما .
ثم بدأ الدبلوماسى السودانى الحديث بلغة إنجليزية رصينة :-
- ايقونى .. أن الأمور فى السودان تسير الى ناحية صارمة ، أنك تعرف أننا دولة فقيرة وتعلم بالدرجة الأولى كيف أننا نناضل من أجل تحسين الحياة لشعبنا إن اللاجئين يتدفقون بغزارة على السودان بالرغم من أننا لاقينا مساعدات جمة من أصدقائنا إلا أنها غير كافية ، أن السودان يفقد أراضيتة يا ايقونى .. أن السودان يفقد أرضيتة يا صديقى .
مال دوقلاس ايقونى الى الأمام وقال للدبلوماسى السودانى ..
- نحن أصدقاء قدامى وأنت تعلم تأثيرى من أجل بلدكم وإحترامى لك أنت شخصياً وما تسعى لعمله .. دعنى أحدثك بصراحه :-
- بالتأكيد ..
- هناك موقفان متميزان للاجئين فىالسودان وليس موقفاً واحداً .. هذه المواقف تتطلب مداخل مختلفة لحلها ، فى الجنوب لاجئون من يوغندا ، فى الشرق لاجئون من إثيوبيا وإريتريا ، حسناً دعنا نتفق لحظات أن نترك موضوع اللاجئين الإريتريين واليوغنديين جانباً وخارج نقاشنا ودعنا نتكلم عن اللاجئين الإثيوبيين ، فى داخل معسكرات الإثيوبيين لدينا مشكلة اليهود ، وأنت تعلم أنهم هناك وأنا أعرف أنهم هناك .. وهناك آخرون يعلمون أنهم هناك ، وأنا لدى إحساس أن هؤلاء اليهود قد تزايدت أعدادهم بحيث أنه أصبح لا يمكن التعامل معهم بوسائل النقل المتوفرة حالياً ماذا نفعل يا صديقى ؟
هكذا وضع ايقونى السؤال الذى ينشده .

أومأ الدبلوماسى السودانى برأسه الى الأمام والى الخلف ثم قال :ـ
- نعم .. نعم .. إستمر .. ماذا نفعل ؟
- إننا نحتاج الى التغيير الى الأحسن نخن نحتاج الى إبتداع خطة بحيث أن الذين برغبون فى مغادرة السودان يغادرونه بأمان دون أن نلجأ الى إحراجات الحكومة أو إجبارها وتعقيد علاقاتها بالدول العربية فى المنطقة .
- نعم .. رد الدبلوماسى السودانى ، هذا تماماً ما نحتاج أن نفعله ونحن يا ايقونى نريد مساعدة حقيقية أن اللاجئين مشكلة واحدة وهى كبيرة لكننا نعانى مشاكل إقتصادية سياسية كما أننا نعانى من مشكلة التمرد فى الجنوب .. إن ال SPLA قد تسلموا أسلحة من ليبيا وأثيوبيا ثم أردف الدبلوماسى السودانى .. بعد تبادل نظرات بينه وبين مستضيفه :ـ
نحن ممنونون لأن مصر والولايات المتحدة الامريكية صديقتان لكننا قلقون أنظروا ماذا حدث لأنور السادات إننا لا ندرى من هو القادم عليه الدور .
وسكت الدبلوماسى السودانى ليرد عليه دوقلاس .
- أنت تعلم بالطبع أن هذا المكتب لا يتعامل فى الإعتمادات المالية لكننى أعدك بأننى سوف أتحدث مع زملائى فى أقسام الدولة وأنا أعلمِ مدى جدية الأزمة فى السودان .
- أرجوك يا ايقونى أخبرهم أن السودان قد فقد أرضيتة فقد أرضيتة يا ايقونى .
عندما خرج الدبلوماسى كان وجه كريقر قد أضاءته أفكار مثيرة
- يا جينى لدى فكرة ، دعنى أحدثه مرة أخرى انه لديه مشاكل جمة ، لماذا لا نقنعه بأن نحل له مشكلة هؤلاء اليهود وإخراجهم من السودان أظنه سوف يشكرنا على ذلك .
وافقه جينى على الفكرة لكنه أردف قائلاً :ـ
- لكن عليك أن تجد الإذن اللازم من جست (يقصد كروكر وهو مساعد السكرتير للشئون الأفريقية) ومن السيد هيوم الاسكندر هوران وهو (سفير الولايات المتحدة لدى السودان) عندها سأكون بكلياتى لمساعدتة فى إخراج اليهود .

سارع كريقر الى جست ليأخذ الضوء الأخضر أعقبه بمقابلة مع السفير هيوم الذى كان بالولايات المتحدة فى زيارة عمل .
رد عليه السفير :-
عاد كريقر الى مكتبه الخاص وإتصل تلفونياً بالدبلوماسى السودانى ودعاه الى العودة اليه عصر نفس اليوم ، عند الخامسة والنصف كان الدبلوماسى السودانى يجلس وجهاً لوجه أمام كريقر
- **(١) أريد أن أتكلم معك بخصوص الفلاشا** قال كريقر، بينما الدبلوماسى السودانى يؤمى برأسه علامة الموافقة على إستمرار الحديث ، إستمر كريقر فى حديثه ..
- **السودان لديه كمية هائلة من المشاكل ونحن نفهم هذا إنكم تريدون مساعدة من حكومة الولايات المتحدة .. إنك تريد مساعدة إيجابية للسودان تصوراً جيداً عند الكابيتول هيل CAPITALHIL والرأى العالمى . إنك لا تريد بعض الامريكان والكنديين المجانين يدورون حول السودان لإخراج الفلاشا مسببين لكم عدة مشاكل . وأنك لا تريد وجود عشرة آلاف أو أثنى عشر ألف يهودى فى بلدكم التى يتصارع فيها المسيحين والمسلمين ليخلقوا لكم مشكلة جديدة .**
- **نعم .. نعم هذا صحيح ..** رد الدبلوماسى السودانى .
- **أتركوهم يذهبوا .. أسمحوا لهم بالمغادرة .. ودعنى أحدثك ماذا سيحدث عندئذ . إنك تعلم أن اليهود يحتوون الكونقرس الامريكى وأذا وقف اليهود عند قمة التل لمساعدة السودان فكر فى المساعدة التى سوف تجدها بلادكم .** أشار الدبلوماسى برأسه بصورة قوية .. بينما أردف كريقر ..
- **أنك تعرف أن اليهود يسيطرون على وسائل الإعلام .. فكر فى رد الفعل التفصيلى الذى سوف تجده بلادكم فى الصحف العالمية والامريكية .**
- **هذا صحيح ..**

---

(١) نفس المصدر السابق

إنك تعرف أن اليهود يمتلكون البنوك ويحتلونها . فكر كيف أن السودان سوف يجد السلفيات والأموال بسهولة.
- هذا صحيح ..
- فى نفس الوقت فكر فى التغيير الواقعى الذى سيحدث للسودان كقطر يتعامل بروح إنسانية وكيف سيفكر العالم كأمة تتمتع بروح الإنسانية ومن أجل كل هذا .. كل ما عليكم أن تفعلوه هو أن تتخلصوا من أناس أنتم لا ترغبون فى وجودهم معكم بكل المقاييس . ونحن من جانبنا سوف نقوم .
قفز الدبلوماسى من مقعده صائحاً ..
- إنكم على حق أنت وإقونى محقان .. أظننى سوف أعملها لكم .. أنا سوف أتطوع للحديث مع جماعتى فى الخرطوم .
فى اليوم التالى حوالى الثانية عشر والنصف عاد الدبلوماسى الى أصدقائه .
- أنها فكرة جيدة . لقد ناقشتها .. لكننى أحتاج للأذن من أناس آخرين .. إلا أننى واثق من أنها ستتم وتصبح عملية .
مال دوقلاس نحو الدبلوماسى السودانى ..
- أننا معاً نعرف أن هناك بعض الحوادث التى حدثت من بعض الأجانب الذين حضروا للسودان باسماء وأوراق مستعارة كسواح ومنظمات إغاثة ورجال أعمال .. كان هدفهم الرئيسى هو أن يعملوا على ترحيل اليهود الفلاشا .. أذا لم نتصرف بسرعة فإن هؤلاء المجانين الذين جاءوا الى بلادكم سوف يخلقون حساسيات ربما تمَ إيذائهم أو قتلهم .. تصور ما سيحدث من حساسيات عالمية .. إحباط فظيع .. وردود فعل ليس له من داع ضد وطنكم .. ثم ستعانى علاقاتنا وستصبح مهمتنا بها الكثير من المعاناة .. علينا أن نعمل الآن لتصحيح ذلك فوراً .
أشار الدبلوماسى السودانى برأسه موافقاً وهنا إستمر دوقلاس فى حديثه ..
- إننا نحتاج للتعاون الكامل الآن من جهاتكم الأمنية .. ومن الجهات المسئولة عن المعسكرات .. ومناطق الحدود .
- بالطبع .. سوف أناقش ذلك مع اللواء عمر محمد الطيب .. أن ذلك يجب أن يكون سراً .

- تأكد إننا سوف نقوم بإدارة هذا العمل على أضيق نطاق داخل الحكومة .. وأقل عدد ممكن من الشخصيات لن نقوم بأى خطوة هنا إلا عندما نتأكد أنها قد تمَ قبولها بواسطة المختصين فى السودان .

(هناك من الأحاديث بين الدبلوماسى السودانى والمسؤلين الامريكان ما لم نتعرض لها)

وفى الخرطوم تمَ الإتصال باللواء عمر محمد الطيب النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس جهاز الأمن ، حيث نُقلت له الرغبة فى ترحيل اليهود الفلاشا من السودان .

وافق اللواء عمر نزولاً على رغبة الجميع ، وكان شرطه الوحيد هو السرية المطلقة . فالسودان عضو فى جامعة الدول العربية وله سمعته التى لا تتحمل أن يصفه العرب بأنه القطر الذى سمح لليهود بالمغادرة . عند ذلك أبرق السفير الامريكى واشنطن ينبئهم بكسر الحاجز .

بعد إجتماع واشنطن بالدبلوماسى السودانى تمَ التنسيق للقاء آخر بين دوقلاس وكريقر والدبلوماسى السودانى فى جنيف فى السابع من يوليو عام ١٩٨٤ .. كانت جنيف مناسبة لذلك لأنهم سوف يلتقون فى إجتماع المساعدات والإغاثة لإفريقيا المنعقد هناك فى نفس التاريخ .

فى يوم ٥ يوليو ١٩٨٤ طار كريقر الى القدس حيث إجتمع بيهودا دونيتز من الوكالة اليهودية وموشى جيلبوا من وزارة الخارجية ومسئول إسرائيلى كبير لم نتحصل على إسمه ، حكى لهم كريقر قصته مع الدبلوماسى السودانى ، عندما سمعوا قصته قالوا له أنهم يودون مقابلة الدبلوماسى السودانى .. وهنا ردد كريقر فى حدة :-

- لا .. على الإطلاق إن مقابلتكم للدبلوماسى السودانى قد تؤدى الى تنويم كل الخطة .. قد تموت العملية ولا تقوم لها قائمة .

بعد يومين كان كريقر فى جنيف بصحبة أيقونى دوقلاس والدبلوماسى السودانى وبصحبة آخرين يلعبون لعبة دبلوماسية مدروسة جيداً .. يخططون لإستقرار أوضاع اللاجئين الوافدين الى السودان دون أن ينبسوا بكلمة واحدة عن اليهود الفلاشا أو اللاجئين اليهود .

- هل تثق به .. سأل ايقونى دوقلاس " جينى " ؟ .

- تماماً .. رد كريقر هذا الوفاء الذى يحمله هو الذى أهله ليخدم وطنه .. وهو دبلوماسى مؤهل وله شخصيته الخاصة .
فى حجرة مغلقة خارج إطار الإجتماع الرسمى قال الدبلوماسى لكريقر .
- هذا الموضوع سوف ينجح .. علىّ أن أزيل بعض التساؤلات والتفاصيل .
بعد ذلك عقدت ثلاثة إجتماعات لإزالة كل الشوائب المتوقعة .. فلا السودان ولا إسرائيل ولا امريكا .. لا أحد يرغب فى أن يتسرب أى جزء من هذه القصة الى الجمهور .
أما يهودا والذى كان أيضاً فى جنيف فقد كان يعلم أنه لا يجب أن يتسرب شىء مما جرى الى أى جهة أخرى .. ولقد قال له دوقلاس ..
- إنك حتى الآن لن تستطيع مقابلة الدبلوماسى السودانى .. لكن كل شىء يبدو سائراً فى الطريق المعد له .
- تعنى إننا لن نقابله ؟ حسناً دعنا نتولى العناية بالموضوع الأساسى .. أن نخرجهم من السودان .
نخرجهم من السودان .. إذن دعنا نبدأ ..
رد دوقلاس وكريقر هذه الجملة فى وقت واحد .
فى سبتمبر عام ١٩٨٤ ، فى جنيف ، فى فندق أنتركونتنتال كانت السويت Suite المحجوزة به قد تحولت الى حجرة عمليات .. أشبه بالعمليات الحربية . كريقر وجيرى ويفر والدبلوماسى الامريكى الذى لم نعرف أسمه ، بينما كان هناك نائب مدير هيئة الأمم المتحدة للإغاثة U.N.H.C.R المستر ريتشارد سميسر ونيكولاس مورس مدير الهيئة فى السودان ،كما دعا للإجتماع المستر رايفنيق وهو مدير لمنظمة United Israel Appeal ولكنه لم يتمكن من الحضور لمرضه ففوض نائبه المستر نيلى كاتز . تم نقاش الحالة فى معسكرات اللاجئين بينما قدم جيرى ويفر وصفاً كاملاً للحالة ، خاصة حالة اليهود الفلاشا ولقد وعد مديرو هيئة الاغاثه بانهم سوف يبذلون جهداً مضاعفاً داخل المعسكرات فى السودان .
الى هنا طلب الى العاملين بهيئة الاغاثة التابعة للامم المتحدة ان يغادروا قاعة الاجتماع اذ لادخل لهم بعملية انقاذ اليهود . تمت عدة اجتماعات وضعت الخطة العاجلة ، وعلى الولايات المتحدة واسرائيل ان يعملا معا فى الاشراف على النقل الجوى .
اسرائيل سوف تبحث حول العالم عن انسب الطائرات والطيارين ..

وكالات الاغاثة سوف تقوم بتحريك الفلاشا بينما تقوم وكالة UNITED ISRAEL APPEAL(U.I.A) بالعمل من أجل توفير المل اللازم . لما كان تقدير العملية قد يصل الى ملايين الدولارات فان مصدر هذا المال سيكون من يهود امريكا وبقية العالم . فى أغسطس التزمت وكالة (.U.I.A)على تغطية نفقات العملية كاملة بغض النظر عن احتياجات الدواء . الاكل والملبس حتى لهؤلاء اللاجئين الذين ليسوا يهوداً . بينما التزم جيرى ويفر بتنسيق الامر واقعياً . ووضع تاريخ بداية الرحلات . لتبدأ فى الرابع من نوفمبر ١٩٨٤ .

فى يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٨٤ قامت شبكة ال.N.B.C ببدء الدعاية لجمع الاموال الكافية لتغطية تكاليف العملية . فقد قامت هذه الشبكة ببث فيلم يصور الموت والجوع والمعاناة فى اثيوبيا بسبب المجاعة .. وأظهرت صور الاطفال بأجساد نحيلة وبطون ضامرة يموتون بين ايدى أمهاتهم . وهكذا عرف العالم أخيراً عن المجاعة التى عانى منها بعض البشر خلال عشرة سنوات سابقة لعرض الفيلم فى ايام معدودات هبت وكالات الاغاثة من كل أنحاء العالم لتقدم المساعدات والأموال . وتلقت وكالة الخدمات والإغاثة الكاثوليكية خمسة الآف مكالمة تلفونية من ألاسكا الى هاواى .. كلها تقدم المساعدات المالية .. وتلقت الوكالة الامريكية اليهودية المتخصصة فى توفير الإغاثة لكل الضحايا .. أكثر من ٢ مليون دولار .

قام الفنان العالمى هارى بلاقونت ببرنامج دعائى ضخم شارك فيه خمسة وأربعون مغنياً عالمياً لصالح U.S.AID.FOR AFRICA وأذعيت فيه الأغنية المشهورة (نحن العالم WE ARE THE WORLD)

ولقد قال هارى :

كنت أظن أننا سوف نجمع أربعة أو خمسة مغننيين . نستطيع أن نجمع من خلالهم مبلغ خمسة مليون دولار لكننى فوجئت بمشاركة خمس وأربعون فناناً . قاموا بجمع ثمانية وأربعين مليوناً من الدولارات . وتبرع كل طفل فى المدارس ببنس واحد وديمس Dimes واحد لإنقاذ الضحايا

حكومة الولايات المتحدة التى كانت قد أوقفت المعونات عن

أثيوبيا لخرقها حقوق الإنسان أفرجت عن كل المعونات الذاتية فوراً .
حتى الاتحاد السوفيتى الذى سلح منقستو هايلى مريام بما قيمة ٢ بليون دولار قرر أن يقدم أرزاً قيمتة ٣ مليون دولار ، كما قررت الأمم المتحدة بناء مركزاً للتجمع فى أديس أبابا يكلف ١٠ مليون دولار .
فى نفس الوقت كانت هناك إجتماعات تنسيقية تجرى فى واشنطن وجنيف والقدس المحتلة ، كانت وقائع إجتماعت كريقر ودوقلاس مع السفير الإسرائيلى مائير روزين ترفع فوراً الى البيت الأبيض والى الوزير شولتز ، بينما كانت تفاصيل عملية الإنقاذ على طاولة رئيس الوزراء الإسرائيلى شيمون بيرز .. كان اسحاق شامير وزير الخارجية يتابع تفاصيلها لأنه بدأها عندما كان رئيساً للوزراء .
فى السودان كان جيرى ويفر مع مساعديه يعملون بهمة تشوبها النشوة والإضطراب من أجل أن تبدأ عملية النقل . تم شراء البصات وخمسة لوارى نقل بقطع غيارها وخمسمائة طن من الوقود وكمية من الأغطية ، كلفت كلها حوالى مليون دولارعلى أساس أن كل ما تم شراؤه من معدات سوف يعود على حكومة السودان .
وهكذا بدأ ويفر يعد لخطة الترحيل من أم راكويه الى الخرطوم .. تلك الخطة التى ذُكرت بالتفصيل فى محاكمة الفلاشا الشهيره ، تم إختيار شركة الطيران بواسطة اسرائيل شركة إشتهرت بنقل الحجيج خلال موسم الحج الى جده من السودان .. ومن دول عربية أخرى صاحبها يهودى الجنسية وهو البلجيكى جورجز قوتلمان .. شركتة تدعى " تى Tea ولقد أبدى اللواء عمر محمد الطيب تحفظه الشديد على نقل اليهود الفلاشا الى إسرائيل وطلب نقلهم الى أى دولة أوربي . تمكن جورجز قوتلمان من واقع صداقتة لوزير المواصلات البلجيكى ويلفريد مارتنز من الحصول على أذن بهبوط الطائرات فى بلجيكا كمحطة وسط قبل ذهابها الى اسرائيل .. بالتالى أصبح السودان متأكداً أن الطائرات ستقلع الى بلجيكا .
فى إسرائيل تم تجهيز الفنادق والمدارس والمستشفيات لإستقبال القادمين الجدد وتم إستدعاء إحتياطى متخصص فى كل المجالات لإستقبال القادمين الجدد ، كما تم إختيار بعض اليهود من الفلاشا للذهاب الى الخرطوم من إسرائيل للتعرف على الفلاشا الحقيقيين .
بدأت العملية فى ليلة ٢١ نوفمبر ١٩٨٤ بحمل ٢٥٠ من الفلاشا الى

أوربا ومنها الى إسرائيل . واستمرت حتى يوم ٤ يناير ١٩٨٥ عندما كشفتها الصحافة الإسرائيلة ونقلتها وكالة رويتر ورددتها اذاعات العالم المختلفة .. عندما تمت هذه العملية كانت إسرائيل قد إستقبلت عشرة آلاف من اليهود الفلاشا .

لكن إسرائيل وامريكا كانتا غير واثقتين من الأمر كانتا تعلمان أن النظام فى السودان قد بدأ يتأرجح ويريدون أن ينقلوا البقية الباقية من اليهود الفلاشا الى إسرائيل .. عندما جاء نائب الرئيس الامريكى جورج بوش الى السودان فى ٧ مارس وافق الرئيس نميرى على ترحيل بقية اليهود الفلاشا الموجودين بمعسكرات تاواوا وأم راكوبه .. لكن على طائرات امريكية .. عندما حان وقت سلاح الطيران الامريكى لتنفذ عملية سبأ ، لم يتمكن ويفر ومعاونيه من جمع أكثر من ستمائة يهودى تم ترحيلهم فى صباح ٢١ مارس ١٩٨٥ رأساً الى إسرائيل وأفرجت امريكا عن ١٥ مليون دولار كان مفروضاً إقراضها للسودان منذ مدة طويلة .

الترحيل عبر البحر الأحمر

خلت ملفات التحقيقات فى قضية ترحيل اليهود الفلاشا عبر البحر الأحمر .. اللهم إلا من شهادة أدلى بها ضابط إستخبارات البحر الأحمر حسن عثمان ضحوى .. وشهادة الشهود الذين عثروا على بقايا تدل على هبوط طائرات بمنطقة كرساقو .. وشهادة تدل على زيارة السفراء الغربيين لمنتجع عروسه السياحى . كان هنا دبلوماسيين جاءوا يتقوا حر الخرطوم اللافح (١) فى هذا الموقع الساحر الجديد ، الذى يشبه المنتجعات الأوربية . سواح أتوا من الخارج .. وبعض السودانيين المقتدرين " المتفرنجين " . فى صباح ٤ يناير ١٩٨٥ عندما هبوا من النوم لتناول طعام

---

(١) By Way of Deception, Victor Ostrovsky and Clarire Hoy

الإفطار كان المنتجع خالياً من جميع العاملين الأجانب .. تمَ تجهيز إفطار السواح بواسطة العمال المحليين .. علم كل ضيوف المنتجع من المذكرة التى تركها مالكى المنتجع أن الشركة قد أفلست وأنهم غادروا مع إلتزامهم باعادة كل الأموال التى دفعها السواح .. وكل مستحقات العمال المحليين . لم يكن هنالك من أثر لهؤلاء الملاك إلا كميات الأطعمة التى تركوها وراءهم .. مع أربعة عربات لنقل السواح الى بورتسودان .

قليلون جداً ألموا بالقصة الحقيقية وراء هذا المنتجع .

لقد تمت عملية ترحيل ضخمه .. أضخم من عمليتى موسى وسبأ اللتين تمتا عن طريق مطارى الخرطوم والقضارف .. كما أنها فاقت عملية الترحيل الفردية عبر السنين .. هذه العملية كانت أساساً جزءاً من عملية سبأ

لقد ذكرنا فى عمليات الترحيل السابقة .. كيف أن أفراداً ومؤسسات قامت بترحيل اليهود الفلاشا فردياً .. كما ذكرنا كيف ساعدت امريكا إسرائيل فى القيام بترحيل الفلاشا من معسكرات اللاجئين حول القضارف عن طريق مطارى الخرطوم والقضارف .. أما العملية التى نحن بصددها فقد قامت بها إسرائيل وحدها بمساعدة الموساد .

فى ربيع ١٩٨٤ أعلن شيمون بيرز أن إسرائيل لن ترتاح حتى ترى أبناءها من اليهود الفلاشا يعودون الى أرض الميعاد .. كان هذا الإعلان متزامناً مع المجهودات التى تجرى فى امريكا والدول الغربية الأخرى .. والمحاولات الفعلية الجارية آنذاك .. لذلك فقد دعى بيريز ناحوم أدمونى وهو رئيس جهاز الموساد آنذاك تحت الأسم الحركى (روم) ROM وتحدث معه عن إمكانية انقاذ عدد أكبر من الفلاشا .. ولإدراك ناحوم أدمونى مدى عجلة العملية .. فقد طلب الإذن باستحدام مصادر من خارج الموساد .. عسكريين ومدنيين .. عندما أعطى الضوء الأخضر دعا أدمونى السيد ديفيد أربل وهو رئيس قسم (نفس الصباح) Morning Breeze وهو قسم مهمته إنقاذ اليهود أينما وجدوا مهددين . كانت هذه المنظمة مسئولة عن مجموعة يهودية دفاعية تسمى الإطارات Frames وبال Misegrot يهودية

وتنتشر هذه المجموعة فى كل أنحاء العالم بما فيها الولايات المتحدة .. وفى كل مكان تكون فيه معاداة الساميه تشكل خطراً..

هذه المنظمة تجمع كل المهن فى داخلها .. حتى الأطباء والعمال والمهنيين والمهندسين والتجار يقوم برئاستها دائماً أحد أفراد الموساد الذين أُحيلوا على المعاش ، هذا فى حد ذاته يشكل إستفادة من خبرة أى شخص حتى ولو لم يكن فى الخدمة .. الى أقصى حد . كانت أكثر العمليات التى قام بها هذا القسم هو مساعدة اليهود خارج إسرائيل خاصة الذين يتولون أعمالاً قيادية فى الحفاظ على أمنهم الخاص .. كان هناك قسم آخر يتبع للجيش يؤدى جزء من هذا التأمين . هذا القسم أسمه " القوس والسهم " وهو لواء مظلات الشباب Bow and Arrow (Hets Va Keshet) الإسرائيلى من الدول المختلفة خاصة الشباب ، وتستقدمهم للتدريب الصيفى وتدربهم على تخطى الموانع وإقامة خيام المعسكرات وكيفية إستخدام بندقية القناصة وإستخدام بنادق (عوزى) الإسرائيلية .. كما أن بعضهم يتدرب على تنمية قدراته الأمنية وإجراء التحقيقات وجمع المعلومات .

إجتمع أربل بمعاونيه بعد أن عرف الهدف الذى كُلف به وشرح لمعاونيه أنه يريد كل اليهود الفلاشا خارج السودان (ولم تكن عمليتى مطار الخرطوم والقضارف قد خطط لهما) وطلب منهما وضع التصور اللازم لعمل خطة .. ثم صاح فيهم خاتماً إجتماعه معهم :-

أنا أريد عملية عنتبى جديدة لى .. أريد أن أضع إسمى فى سجل التاريخ .

فى المبنى الذى يقع على شارع جيفوريل وفى العمارة رقم واحد .. وعلى طابق يقع فوق سفارة جنوب إفريقيا .. كان هناك حاييم الياس والذى يرأس فرعاً من منظمة (نفس الصباح) متخصصاً فى العمليات الخفية لإنقاذ اليهود فى خطوط أعداءهم الخلفية .. كان حاييم الياس منهمكاً فى تسطير الخطوط الأولية للعملية .. التى أمر أن يضع خطتها بأسرع ما يمكن .. ولثلاثة أيام متتاليه كان حاييم قد جمع فريقه لعمل ذهنى مكثف للخروج بخطته .. كانت الحوائط مكتظة بخرط مفصلة .. كما كانت الطاولات ملأى بملايين الكلمات التى تشكل معلومة كبيرة جداً عن ذلك القطر .. السودان ، كان كل عضو فى الفريق يقدم ما لديه عن السودان واليهود الفلاشا .. ثم بقدم تصوراً أولياً لما يمكن القيام به .. فى أحدى جلسات المناقشة قال رجل يدرس أحد الخرط فى منطقة البحر الأحمر أن

هذه الخريطة تذكره بحادث حدث على البحر الأحمر بالقرب من (مغنا) Magna عندما كانت إسرائيل محتلة لقناة السويس .. كانت تقوم ببعض الدوريات السريعة ليلاً .. خرج أحد القوارب الصاروخية فى دورية عادية .. لكن ضل طريقه نتيجة خطأ فى البوصله أدى الى تضليل الرادار .. ولقد ضل القارب طريقه حتى وصل الى شواطىء المملكة العربية السعودية .. مما كاد أن يسبب أزمة عالمية .. هذا القارب تمكن بالصدفة من وجود ثغرة داخل الشُعب المرجانية مكنته من الوصول الى الشاطىء السعودى .. ولم يكن بعدها ممكناً أن يعود القارب .. فى ظرف ساعات بسيطة .. وإستجابة لإستغاثة أرسلهاالقارب بالراديو تمَ إرسال الكوماندوز الإسرائيليون لإنقاذ القارب من أحدى السفن القريبة .. تمَ الوصول للقارب وأُعدمت كل الوثائق ثم سحب كل طاقم القارب الى قارب صاروخي آخر وأقام الكوماندوزموقعاً دفاعياً على الشاطىء لحماية أنفسهم أذا دعي الحال .. عندما إنفلق الصباح وأشرقت الشمس كان على شاطىء الأراضى السعودية قارباً إسرائيلياً يحرسه فريق من الكوماندوز الإسرائيليين .

تمَ إحتواء هذه المشكلة بأن أتصلت امريكا بالسعودية وأفادتها أن القارب قد دخل خطأ الى الأراضى السعودية وان خروج القارب والكوماندوز بسلامة لن يؤدى الى أى إشتباك من قبل الكوماندوز الإسرائيليين ..

وخرج القارب بعد سحبه بمساعدة طائره هلوكبتر

وبينما يروى الرجل قصتة صاح فيه أحدهم :ـ

انتظر .. نحن لدينا ممر بعد شواطىء السودان ويمكننا أن نصل بهدوء بقواربنا الصاروخية الى أقرب نقطة للشاطىء السودانى ..

لماذا لا تُرحل الفلاشا عبر البحر الأحمر ؟ .

نُوقشت الفكرة وتُبودلت لبعض الوقت .. لكنها لم تُقبل لأنه وضح أنها سوف تأخذ وقتاً طويلاً سيمكن الفضوليين من ملاحظة ذلك .. لكن تمسك الرجل بفكرته وقال فى إصرار ..

حسناً .. على الأقل يمكننا أن نضع نقطة أو محطة هناك محطة ؟ ماذا تعنى بمحطة .. هل تريدنا أن نضع لافتة نكتب عليها (قاعدة عمليات الموساد .. الرجاء عدم الدخول) صاح أحدهم ساخراً ...

لا .. لماذا لا نقيم نادياً للقفز والعوم بالبحر الأحمر .. يكون جنة لمحبى القفز والعوم والغطس ..

لم ترق الفكره لاعضاء الفريق .. لكن وبعد مناقشات وتبادل عدة أفكار كانت هذه الفكرة هى الفكرة الوحيدة المقبولة رغم صعوبتها وصعوبة وضع خطة لها ..

كان الموساد يعلم أن فى السودان فى البحر الأحمر نادى للقفز والغطس .. لكنه كان فى حالة سيئة للغاية كان يديره رجل معروف لديهم من الأوربيين .. دون أن يدر عليه أرباحاً تذكر .. وكاد البأس يتسرب الى قلبه عندما فكر الإسرائيليون فى ذلك الموقع .

قررت المخابرات الإسرائيلية التى قررت أن تختطف اليهود الفلاشا إختطافاً أن تأخذ ذلك الموقع .. الموقع مؤسس ولديه ترخيص ومعترف به كقرية للسواح تسمى **(قرية عروسه)** .. وبالتالى لا تحتاج قرية عروسه إلا الى إدارة جديدة (١) .

طار الى الخرطوم أحد أحسن الخبراء المستر يهودا جيل مدعياً أنه يمثل شركة سياحية بلجيكية تنوى أن تنمى السياحة بالبحر الأحمر خاصة القفز والتمتع بمناظر الطبيعة داخل وخارج البحر الأحمر .. توجه همه الى المناطق السياحية المهجورة .. كانت مهمة جيل هى الحصول على كل الأذونات اللازمة والتراخيص لإقامة الموقع على قرية عروسه فى شكل منتجع سياحى .. ودفع كثيراً من المال الى المسئوليين فى وزارة السياحة للحصول على التصديقات اللازمة .. وقام بتأجير منزل فاخر فى ضواحى الخرطوم بحرى بمساعدة مسئولى السياحة .

قام رجل آخر من المخابرات الإسرائيلية بالطيران الى الخرطوم ومنها الى بوتسودان .. منها الى قرية عروسه ، حيث قابل الرجل الذى يدير الموقع .. بعد مناقشات عدة وافق الرجل على أن يتخلى عن موقعه هذا للشركة الجديدة .. وقدم له بعض المال لقاء ذلك .. وتمَ إيفاده الى بنما حيث قدم له موقعاً بديلاً .. (لا يزال يديره بنجاح الى يومنا هذا) وهكذا أصبحت قرية عروسه تحت إدارة جديدة .

---

(١) نفس المصدر السابق

هكذا أصبحت فكرة الحصول على موقع فى البحر الأحمر حقيقة .. كان مطلوباً أن تكون العملية مستترة بساتر العمل السياحى .. ولتغطية ذلك كانت مهمة جيل أن يؤثث الموقع ويجعله ملائماً .. وأن يجلب عدداً كافياً من السواح حتى تكون حركة الأعداد الهائلة القادمة من الموساد ملائمة لحركة السواح .. إذ أن المفروض أن يكون كل العاملين بالقرية من الموساد عدا بعض العمال المحليين .. فى تل أبيب كان تجنيد الإسرائيليين لهذه العملية يجرى على قدم وساق .. تمَ تجنيد الطباخين .. مدربى القفز ، مدربى الغطس والمسئولين عن إدارة المنتجع .. كانوا يفضلون من يتكلم الإنجليزية أو الفرنسية .. أما إذا ما وجدوا من يتكلم العربية فهذا هو الأحسن . كان معظم المجندين من الذين مارسوا عمليات عن طريق التسفاريم Tsfarirm (١)، كما كان معظم الذين يقفزون ويغطسون قد قُدمت أسماءهم بواسطة مخابرات البحرية . تمَ إختيار فريق من ٣٥ إسرائيلى وجهزت لهم أوراق توضح وظائفهم وهوياتهم .. لكن هذا الفريق كان يتغير كل مرة .. يسافر فريق ويعود آخر بنفس الهويات السابقة .

كان الإذن الذى حصلت عليه الشركة البلجيكية هو إذن بإحضار ثلاثة عربات .. لكن الموساد أدخل تسعة عربات عن طريق البحر الأحر سراً .. كانت ثلاثة عربات تعمل نهاراً .. بينما البقية تعمل ليلاً بنفس الأرقام التى تحملها العربات الأخرى .. كان العمل يسير ليل نهار والحوامات والقوارب الصاروخية ترسو على بعد ياردات من البحر ليلاً تجلب الإمدادات والأكل اللازم .. كانت كل عملية إنزال تجرى ليلاً لابد أن يعقبها توزيع للعمال المحليين من السودانيين الى خارج المعسكر فى مهام أخرى .. فى صباح أحد الأيام كادت العملية أن تنكشف نتيجة خطأ بسيط إذ أن أحدهم قد أحضر معه كمية من النباتات على أحد الحوامات الطائره .. فى الصباح كان المنظر غريباً .. كيف وجدت هذه فى ليلة واحدة فى منطقة صحراوية .. لكن العمال نظروا حولهم بغير مبالاة ولم يلاحظوا شيئاً .

---

(١) التسفاريم تعنى عند اليهود نفس الصباح وهى جماعة مهمتها الرئيسية والوحيدة انقاذ اليهود المضطهدين اينما كانوا.

فى الخرطوم كان جيل يوزع أوراق الدعاية للنادى الجديد (منتجع عروسه السياحى) لكل وكالات السفر والسياحة.
مر شهر كان المكان جاهزاً لإستقبال السواح .. تمت صيانة القرية تماماً . (المبنى الذى سيضم السواح والقاعة) كان هناك مكاناً كافياً أيضاً لأجهزةالإتصال والأسلحة .. كما أن أجهزة التوجيه الليلى للطائرات قد تمَ اعدادها لزوم الإرشاد والهبوط والإقلاع .. عندما كان المكان جاهزاً هناك لكل شيء .. وبينما الموساد يدرس نظام الرادار السودانى .. إذ بهم يجدون ثغرة صغيرة فى هذا النظام .. هذه الثغرة غير مغطاة بمثلث يجمع بين الرادار السودانى والسعودى والمصرى فى منطقة " روس الحداريبه " وهى منطقه على جبال البحر الأحمر بين حلايب وبورتسودان .. هذه الثغرة تمكن أى طائرة تطير على إنخفاض من التسلل بها دون أن ترصدها أى من الرادارات الثلاث .
ومن أجل أن تتحصل القوة على موقع مناسب لهبوط الطائرات .. أحضرت إسرائيل أربع طيارين على أساس أنهم سواح أوربيين الى قرية عروسه .. ثم بدأوا يعلمون القوة الموجودة بعروسه كيفية عمل مواقع لهبوط الطائرات .. بينما قاموا بأنفسهم بجولة حول المنطقة لتحديد أنسب الأماكن لهبوط الطائرات وتوضيحها على الخرط التى يحملونها .. هكذا أصبحت القوة جاهزة لإستقبال الطائرات التى ستحمل اللاجئين اليهود الفلاشا من منطقة كرساقو على مسيرة ست ساعات من قرية عروسه الى إسرائيل .
فى تلك اللحظات كان السواح قد قدموا وبدأت الحياة تدب فى المنطقة .. وقد قدم الى القرية سواح من كل أنحاء العالم حتى الدول العربية .. بينما كان معظم الدبلوماسيين فى الخرطوم يقضون عطلاتهم بهذه القرية إذ أن الإسرائيليين جهزوها من كل شيء .. ولكل شيء .. كان ذلك شهر مارس من عام١٩٨٤ .. ومنذ ذلك الشهر وحتى قفل المنتجع فى يناير ١٩٨٥ ظل هذا المنتجع محجوزاً كاملاً .. كان ساتر العمل قوياً لدرجة أن التمثيلية انطلت على الجميع .. أما الموساد فقد أصبح واثقاً من أن أحداً لا يعرف الحقيقة وراء هذا المنتجع لدرجة أنهم وضعوا خطه لاختطاف السيد ياسر عرفات إذا ما حضر لقضاء بعض الوقت فى هذا المنتجع السودانى الذى يبعد ٧٥ ميلاً عبر البحر من مكه المكرمه

.. وجهزوا كذلك القوارب الصاروخية اللازمة لاجراء العملية .
١ ـ المطار أصبح جاهزاً .
٢ ـ مواقع اللاجئين قد حددت وتمَ تهيئتهم بواسطة الفلاشا اليهود الأوائل الذين الى هاجروا لإسرائيل .
٣ ـ العربات جاهزة لنقل مائة شخص فى كل مرحلة ..
٤ ـ الموقع مؤمن والقوارب الصاروخية تجوب البحر الأحمر .
٥ ـ الساتر الذى تمَ إتخاذه لم يكشفه أحد بعد .
هكذا أخذت القوة الضوء الأخضر ببدء الرحلات .. كل رحله تبدأ فى معسكرات الفلاشا كان يسبقها تقرير من الراردارات الإسرائيلية الإستطلاعية توضح للعامليين بقرية عروسه مواقع نقاط التفتيش السودانية والتى عادة ما يحرسها جنديان بدون أجهزة إتصال مع رئاستهم .. وذلك لكى تتجنب القوة هذه المواقع عندما تتحرك الى المطار بعد أن تكون قد قابلت مجموعة الفلاشا فى الموقع المحدد لها . فى تلك الرحلات المتواصل حدثت حادثتين فقط :ـ
الحادثة الأولى ـ أن أحد العربات قد قفلت عائدة من رحلتها بعد أن أفرغت حمولتها وكان بها السائق ومرافقه وكلاهما من اليهود .. لكن حظهما رماهما فى نقطة تفتيش لم تكن قد رُصدت .. ولما لم تكن معهما أوراق ثبوتية فقد تمَ إعتقالهما بواسطة جنديين يحرسان نقطة التفتيش وتمَ توثيقهما بالحبال ورميهما داخل الخيمة فى إنتظار أن تمرالدوريه فى الأيام التالية لتنقلهما الى بورتسودان .. فى المنتجع إفتقد قائد المعسكر السائق ومرافقه .. أُرسلت قوة للبحث عنهما وعندما تمكنت قوة البحث من تحديد موقع عربتهما .. تمَ عمل خطة سريعة لإنقاذهما .. تحركت عربة الإنقاذ تحمل فى داخلها قوة مسلحة بإتجاه الخيمة .. عندما توقفت أمام الخيمة صرخ السائق باللغة العبرية آمراً الأسرى أن يرتموا على الأرض .. كان الجنديان السودانيان آنذاك متجهين نحو العربة لتفتيشها وفجأة فتح الباب الخلفى للعربة وإنهمر الرصاص على الجنديين من مدافع سريعة الطلقات ليقطعهما الى قطع متناثرة ويموتا شهيدين .. أحرق الإسرائيليون الخيمة وعادوا بالرهائن .. بدأ الحادث كأنما أن مهربين قد قاموا بالعملية خاصة أن هذه النقاط تنشأ أساساً للقبض على المهربين .
الحادث الثانى ـ القوات السودانية إعترضت أحدى العربات ولم تتوقف فأطلقت عليها النار فقتلت أحد الركاب .. لكن السائق لم

يتوقف .. كان هذا هو الإسرائيلى الوحيد الذى نالته القوات السودانية .

إستمرت الرحلات عبر الصحراء بواقع رحلة الى ثلاثة رحلات يومياً منذ بدء العملية حتى توقفها والذى تزامن مع توقف رحلات العملية الأخرى التى تمت عن طريق مطار الخرطوم فى يوم ٥ يناير ١٩٨٥ .. تمَ خلال هذه العملية ترحيل ثلاثة عشر ألف من اليهود الفلاشا من الصحراء عبر البحر الأحمر والى إسرائيل رأساً .

كانت الإشارة المتفق عليها لإيقاف العملية هى كلمة Fold .. فى الخرطوم سافر يهودا جيل على عجل حاملاً معه كل الوثائق اللازمة .. على أول طائرة مسافرة من الخرطوم كان يهودا قد وصل الى أوربا .. منها الى إسرائيل .. فى قرية عروسه وبينما السواح نياماً قام الإسرائيليون بتحميل كل معداتهم على الحوامات الراسية على شاطىء البحر .. بينما حملوا لاندروفر وأثنين من اللوارى على طائرات الهيركيوليز وإنسحبوا بكل هدوء الى خارج السودان دون أن يلاحظهم أحد .. تمت العملية بهدوء .. سافر الجميع بسلام إلا رئيس المعسكر حاييم الياس الذى كُسرت رجله أثناء رفع العربات على الطائرة الهيركيوليز .

كانت عملية ترحيل اليهود الفلاشا الى إسرائيل عملية إشترك فيها جهاز أمن الدولة حسبما ورد فى محاكم الفلاشا الشهيرة .. جهاز الأمن كبش الفداء .. لكن بعدما قرأتم هذا .. نرجو أن نؤكد أن عملية كهذه لا يمكن أن تتم وبعلم قطاع صغير من الجهاز .. هذه المجموعة التى قُدمت للمحاكمة .. إن هذه العملية تمت بعلم وموافقة الجميع .. (يرقصون ويخفون لحيهم) .

١ - كان الرئيس مهندسها .
٢ - كان الدبلوماسى السودانى مقاولها .
٣ - وكان القائد العام ووزير الدفاع على علم بها .
٤ - كانت الإستخبارات العسكرية تعرفها .
٥ - ولقى اللواء عمر محمد الطيب فيها حسب ما ورد فى أقوال الشهود فتات المائدة منها Ckicken Feed وحوكم .
٦ - لقى البعض فى المصالح والوزارات المتخصصة جزءاً منها .

وسنتعرض لذلك فى حينه .
وقبل أن ندخل فى تفاصيل التفاصيل .

الفصل السادس

- المجلس العسكرى الإنتقالى يحل جهاز أمن الدولة .
- نميرى لا يثق فى تقارير الأمن .
- الأمن وقرار تقسيم الجنوب .
- اللواء عمر يدخل حلبة الصراع .
- هل هناك ما يماثل حل الجهاز فى العالم؟
- توقع الجهاز لسقوط نظام مايو .



أبو رنات مع ضباط المدفعية بجوبا
عثمان رأفت ، الحجاج سعد ، أزهرى بشير ، محجوب

حل الجهاز بواسطة المجلس العسكرى الانتقالى ..

حكى لى (١) أحد الاصدقاء ان احد الشيوعيين كان لديه كشك ، ولكنه كان زبونا لسجن كوبر ، فى أحد الايام اتاه احد افراد جهاز أمن الدولة وقال له - : **السر ياخى عاوزينك دقيقه** ، عندما خرج السر من الكشك واجه ثلاثة من افراد جهاز أمن الدولة الذين اعتقلوه وقادوه الى كوبر ، مكث السر بكوبر معتقلاً عاماً كاملاً ثم افرج عنه بعد ذلك ، عاد السر الى كشكه ، فجأة لمح فرد الأمن الذى ناداه يمر عابراً بالكشك ، فناداه السر باسمه ، فالتفت فرد الأمن اليه ، فقال له السر ساخراً - : **ياخى دقيقتك بتساوى سنه** .

هذا يذكرنا بما يقوله المثل السودانى " التسوى كريت فى القرض تلقاه فى جلدها "

اللواء السر محمد احمد الشهير بالسر أب احمد ، لم يكن راضيا عن حل الجهاز ودافع ما استطاع ، ولكنه لم يجد عاقلا يسمع لرأيه ، السر اب احمد كان يودعنا بعد ان التقى بكل افراد الجهاز داخل قاعة الطعام " الكافتيريا " ونحن فى طريقنا الى سجن كوبر وكان يؤكد لنا ان هناك تصفيات عاجله سوف تتم وانها كلها يومين ثلاثه وكل الناس حتكون خرجت من السجن .

اننى شخصيا اليومين اللذين ذكرهما اللواء السر كادا ان يصبحا سنتين لولا لطف الله ورحمته .

فى يوم ١١ ابريل ١٩٨٥ ، علمنا ان كشف المعتقلين من الوزراء والمسئولين قد اضيف لهم فى ليلة ١٠ ابريل ١٩٨٥

---

(١) العقيد/ هاشم ابورنات

اللواء عثمان السيد ، واللواء عثمان هو مدير ادارة الأمن الخارجى ، ثم فى السادسه صباحا بدأ الأفراد يحضرون الى الجهاز ، اذ ان قرار تصفية الجهاز كان قد صدر منذ يومين ، الا ان اللواء اب احمد والذى كُلف بقرار التصفية كان قد اخطر الجميع بان يستمروا فى عملهم ، كما (١) اسلفت فقد قام بوضع الوحدات ذات الاختلاط المباشر بالجمهور تحت التحقيق ، مثل وحدة المراقبة ، التحرى، وحدة أمن العاصمة القومي والقسم الاقتصادى . أما بقية الوحدات الخاصة تستمره فى عملها كالعادة ، كما ان سكرتارية رئيس الجهاز اصبحت تعمل تحت امرة اللواء السر . نعتقد ان ما فعله السر اب احمد كان عين العقل واجراء رجل خبير كان ممكناً محاسبة كل فرد فى الجهاز بهذه الطريقة وفى هدوء تام ، وكان ممكنا خلال شهور قليلة استبدال كل الكادر او معظمه بكادر آخر بحيث لا يؤثر ذلك على العمل تأثيرا كبيرا ، اذا ماذا حدث فىالفترة بعد قرار تصفية الجهاز والى اعتقال افراده ؟

عندما صدر القرار بتصفية الجهاز كان اكبر رتبة بسكرتارية اللواء عمر هو العميد أ . ح محمد بخيت والذى كان معلماً بكلية القادة والاركان ، محمد بخيت هذا علّم كثير من الضباط الذين يعلونه رتبة ، وكان مشهوراً بالحدة والسخونة كان يتولى منصب ضابط ركن الرئاسة بجهاز أمن الدوله ، كانت صلاتة بالمسئولين واسعة بحكم منصبه ، ويقدم لهم كل ما يمكنه من مساعدات ، قام محمد بخيت فور علمه بقرار تصفية الجهاز بالذهاب للقيادة العامة وقابل المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الدهب ، الذى تولى السلطة انذاك ، بادره سوار الدهب بالتحية ثم بدأ يشرح له . **والله يا محمد نحنا ما فى ايدنا اى حاجه ، نحنا لو ما كنا وافقنا واستلمنا .. نحنا كنا ذاتنا حاكمونا ، والحكايه طالعه من تحت ، والموضوع جاى فى شكل تعليمات من كل الضباط ..** كرر الفريق تاج الدين وهو نائب سوار

---

(١) العقيد / هاشم ابورنات

الدهب نفس الحديث وبنفس المعنى تقريباً للعميد محمد بخيت وفى غياب سوار الدهب، عندما روى لنا العميد محمد بخيت الرواية لم نجدها تختلف عما رواه اللواء ا . ح عمر محمد الطيب عندما ذهب بصحبة سوار الدهب وإجتمع بالمجلس العسكرى ليحدثهم حديثاً أخيراً ، ذكر له بعض اعضاء المجلس العسكرى نفس الرواية .

اذاً فالمجلس العسكرى كان مجلساً هيكلياً بدأ بالانصياع لضغوط الضباط واستمر على هذا المنوال ، او هكذا اتفقوا ان يصوروها . كانت الانتفاضة حركة خالية من اى تخطيط ، كان الغرض هو ان يذهب نميرى ، وليس مهما من يأتى بعده ، المهم ان يذهب نميرى وتحدث المعجزة ، وهذا ما حدث وذهب نميرى .

المشير سوار الدهب ،الذى عينه نميرى قائداً عاماً ووزيراً للدفاع ليتقى شر الانقلابات لانه يعرفه تماما ، ويعرف زهده فى الحكم . الا ان الظروف وضعته على كرسى كان يرفضه حتى الخامسة من صباح السبت ٦ أبريل ، هذا الرجل كان زاهداً فى الحكم لدرجة انه لم يقدم شيئا احسن من ظهوره الاعلامى الحسن ، ولو ذهبنا الى قراءة التاريخ فى فترة حكمه سنجد ان التدهور الاقتصادى الذى حدث فاق تدهوراً حدث خلال ستة عشر عاماً حكمها نميرى.

عندما تكون المجلس العسكرى كان يواجهه ضغط عنيف باتخاذ اجراء حاسم ضد جهاز أمن الدولة ، وكما اسلفنا كانت المبررات هى :

١ ـ الممارسات الخاطئة لبعض افراد الجهاز.

٢ ـ اخطاء فى قيادة الجهاز .

٣ ـ الحرص الشديد من المعارضة لخنق صوت الجهاز لسببين :

أ ـ لتغطية نشاطات المعارضة وقفل الطريق امام افراد الجهاز من عمل شىء.

ب ـ لعدم فضح التعاون الذى كانت تقوم به المعارضة وبعض قياداتها مع مايو .

٤ ـ حرص أثيوبيا وليبيا على إيقاف نشاط الجهاز القوى .

٥ ـ الغيرة من أجهزة الأمن الأخرى .

٦ - محاولة القوات المسلحة وخاصة الاستخبارات العسكرية القاء تبعات حماية ثورة مايو على الجهاز وحده. للأسف نذكر هذه الواقعة ، التى توضح ان المشير سوار الدهب كانت خبرته فى المجال الأمنى ضحلة الى حد كبير ، ولنوضح للقارىء جهل قيادة الانتفاضة بالعمل الامنى وأهميته بالرغم من انه عمل لفترة بالاستخبارات العسكرية ، اجتمعنا (١) بدعوة من السيد ابيل الير رئيس المجلس التنفيذى العالى عام ١٩٧٧ ، عقب حادث احتلال مطار جوبا فى فبراير ١٩٧٧ ، وكانت الدعوه لتقرير زيارة الرئيس الى مزرعة الابقار المهجنة التى تقوم بها وزارة الزراعة الاقليمية ضمن احتفالات عيد الوحدة . كانت المزرعة تبعد ب ٩ أميال خارج مدينة جوبا ، وما زال بعض المشاركين فى عملية احتلال المطار لم يقبض عليهم ، لذا كان الاجتماع لتدارس المسألة . فتقرر الذهاب الى مكان المزرعة ومعاينتها . كان وقتها (العميد) سوار الدهب هو قائد ثانى الفرقة الاولى بجوبا والعميد تاج الدين عبد الله فضل رئيس الاركان وشخصى مدير أمن الاقليم الجنوبى واللواء روبن ماج مدير شرطة الاقليم الجنوبى ، العميد زكريا وانى مدير سجون الاقليم ، السيد هلرى لوقالى وزير الداخلية الاقليمى ، كان قد حضر الاجتماع ، وزير الزراعة الاقليمى الدكتور قاما حسن ، ومن الخرطوم حضر الزملاء العميد شمس الدين محمد خليل ، والعقيد سيف الدين عبد الرحمن من جهاز الأمن العام ، ذهبنا جميعا الى المزرعة ، عدنا لنجلس الى السيد ابيل الير الذى طلب منى ان ادلى برأى ، فقلت المسافة بعيدة والطريق تظلله غابة كثيفة واعتقد بان هناك security risk وهنا سألنى العميد سوارالدهب ماذا تعنى ب security risk فقلت له تعنى مجازفة أمنية لا نضمن الا يحدث فيها تعدى على الموكب تداولنا وأُتخذ القرار النهائى ، باجماع الاطراف ، لم يكن رأيى وحدى ، ذكر العميد تاج الدين للواء روبن ماج مدير شرطة الاقليم اننى استفززت رئيسه فى ردى عليه بتلك

---

(١) العميد/محمد عبدالعزيز

الصورة .

لقد اصبح المجلس يعتمد على الاستخبارات العسكرية فى تقاريره الأمنية لانهم لم يكونوا مقتنعين تماماً بان الجهاز سوف يتعاون معهم ، لقد علمنا ان اللواء عمر قبل إعتقاله أوصى أعضاء المجلس العسكرى عدة وصايا عندما رافقه سوار الدهب واقنعه بان يتولى هو الامر طالما ان القوات المسلحة قد تولت السلطه .!!!!!

كانت وصايا اللواء عمر فى هذا المعنى :

١ - اوعكم تفرطوا فى وحدة الجيش ، وطالما انتو استلمتو السلطه لازم القائد العام يكون هو الرئيس حتى لا ينقسم الجيش .!!!!!

٢ - أوصيكم على الجهاز ، كمال حسن احمد رئيس للجهاز ، الفاتح الجيلى مدير الأمن الداخلى ، عثمان السيد الأمن خارجى ، وانا جاهز للاعتقال .!!!!!!

ولقد نفذ المجلس العسكرى نصيحة اللواء عمر ولقد حضر (ال دى آر) despatch Rider وهو يحمل الخطابات الخاصة بحل كل مؤسسات الدولة فى حوالى الثانية عشر ظهرا من يوم ٦ أبريل ١٩٨٥ وبعد ظهر نفس اليوم حضر نفس الشخص يحمل امرا بتكوين جهاز " الأمن الوطنى " وبتعين اللواء كمال حسن احمد رئيسا للجهاز والفاتح الجيلى مديرا للأمن الداخلى وعثمان السيد مديرا للأمن الخارجى... فى نفس اليوم ارسل جهاز الأمن الوطنى برقية تأييد معنونه للمجلس العسكرى .

عجب اذاً لم تكن هناك مقاومة من الجهاز ولم يقف الجهاز ضد الانتفاضة ، بل الغريب فى الامر ان الجهة الوحيدة التى تمردت هى احدى وحدات القوات المسلحة ، وهى السرية المكلفة بحراسة الرئيس نميرى .. كان كل ضباط السرية فى المأمورية مع الرئيس نميرى بامريكا بينما بقى بعض ضباط الصف والجنود الذين يقدر عددهم بحوالى ٨٠ جنديا . عند اعلان القوات المسلحة توليها السلطة " **تخندقت** " كل القوة فى مواقعها واصبحت جاهزة للاشتباك . كان الموقف حرجا وجرت وساطة قادها ضابط الاستخبارات الرائد حسن المقبول

الذى عمل من قبل بنفس الوحد . استجاب على ضوئها كل ضباط الصف والجنود ووافقوا على تسليم اسلحتهم . كانت التنظيمات السرية داخل الجيش ،كما اسلفنا كثيرة قبل الانتفاضة ، وكان كل تنظيم يسعى ليتولى السلطة ، البعض يعمل مستقلا والبعض ينتمى لتنظيمات حزبية او عقائدية .
عندما تصاعد الامر ، واشتعلت شوارع الخرطوم والمدن الاخرى بالمظاهرات ، بدأت اجتماعات الضباط داخل القيادات ، لم تفكر كل هذه التنظيمات الا تفكيرا واحدا وجماعيا هو ان يذهب النظام .. لم تكن هذه التنظيمات ترى اى خطورة من الاستخبارات العسكرية التى ذاب وانغمس بعض ضباطها فى هذه التنظيمات بينما كانت الانظار تتجه كلها الى جهاز امن الدولة ، على اساس انه المعوق الاساسى لنجاح اى تحرك مضاد، حسب اعتقاد الجيش اذ كانت فكرة ضباط الجيش عن جهاز الامن فكرة هلامية لم تنجح كل المحاولات فى تصحيحها ساهم فى ذلك الزخم الإعلامى الذى كان يصور هذا الجهاز اكثر بكثير مما كان عليه .
هذه التنظيمات جميعها ترى ان تحجيم جهاز أمن الدولة هو المهم وان اختلفت فى تقييمها لطريقة الحجيم .
بعد نجاح الانتفاضة وقرار تصفية جهاز أمن الدولة شرع اللواء اب احمدفىاجراء التصفية بالطريقة التى يفهمها كضابط استخبارات خبير . بدأت بعض التنظيمات وخاصة التنظيمات التى لها غالبية من الشباب ، التململ من طريقة تصفية الجهاز .. وكانوا يشكلون مركز ثقل وسط الضباط ، اضافة الى ان الفعاليات السياسية على الساحة لم تكن راغبة فى وجود الجهاز .
بدأت الضغوط داخل القيادة العامة بعدما كانت من قبل مجرد مظاهرات قادها السياسيون ، (كما وقف فى احدى المظاهرات القنصل الاثيوبى يهتف بحل الجهاز) كان ضغط القيادة العامة يتزايد كلما تزايدت الاشاعات حول امكانيات الجهاز الهائلة وحول ما هو غير معروف عن الجهاز ..وعن بيوته السرية وممراته تحت الارض .
كان الضابط عثمان ، احد كبار ضباط الاستخبارات الذى دبج تقريرا عجيبا فى ليلة ٩ ابريل ١٩٨٥ عن الجهاز ، كان

التقرير يقول ان الرئيس نميرى قد اعلن انه يتمنى للحكام الجدد حظا سعيدا . الا ان العجيب فى الامر ان هذا التقرير قد ولد شكا فى استسلام نميرى للامر بهذه السرعة ، وان الاستخبارات العسكرية قد رصدت بواسطة قسمها الفنى الذى يقوده الضابط محمد أصوات اجهزه لاسلكية ترسل اشارات غير مفهومة الى جهة ما وغالباً ما يكون ضباط الأمن الان على إتصال بنميرى وان النميرى ربما تحرك من مصر فى اى لحظة مع قوات مصرية وان سنده سيكون فى هذه اللحظة جهاز الأمن خاصة ان هناك بيوتا سرية لم تكتشف حتى الآن وان هناك اسلحة وصواريخ وقوارب عبور قد اكتشفت فى مخابىء بالجهاز وان العقيد عمر حسن البشير قد اكد ان رجال الامن لم يسلموا كل اسلحتهم.

كان ذاك التقرير يجمع بين بعض الحقيقة وكثير من الخيال المقصود الذى لا يخلو عن غرض .. الضابط كاتب التقرير له رأى خاص عن الجهاز لا يخلو من حقد شخصى لا يظهره الا فى التقارير التى يكتبها عن الجهاز .. وبالتالى اصبح هذا الرجل مرتعا خصبا لمن يريدون ان تكون هناك وسيلة لايصال المعلومة الى اعلى ، كانت الاجهزه تكتب عن بعضها وعن سلوكيات بعض افرادها ان رأت فى ذلك اعوجاجا .. ذكر التقرير ان نميرى على اتصال بالجهاز ، وهذه فرية يعرفها الجميع ، اذ ان نميرى لم تكن له صلة بافراد الجهاز وضباطه اصلاً ، كان إثنان ينتميان اليه بصلة القرابة ، ولا يملكان ان يحركا الجهاز ، زد على ذلك ان طريقة بناء الجهاز وهيكله وسرية عمله لا تَمكن شخص واحد من تحريكه الى اى جهة كانت ، ذلكم هو رئيس الجهاز والذى كان آنذاك معتقلا فى مكان لا يعلمه الا ضباط الاستخبارات واعضاء المجلس العسكرى وحرسه ، كما لم يحدث ان كانت هناك قوة ضاربة بالجهاز لها صلة بالنميرى ، كما ان الجهاز لا يمتلك اى قوة ضاربة تضاهى الجيش ، كانت له قوة تقدر بسرية تقوم بعمليات فى مستوى الأمن الداخلى كما ان معظم افراده أقل تدريباً من قوات الشرطة ، والاستخبارات العسكرية تعلم هذه الحقيقة تماماً .

ذكر التقرير ان نميرى قد يحضر ومعه قوات مصريه ، وللأسف

كانت هذه العبارةعلى لسان اللواء عمر فى يوم ٤ ابريل ١٩٨٥
.كان الرئيس حسنى مبارك قد أرسل برقية تهنئة للمشير سوار الدهب ، بالتالى لا يصبح وارداً تدخل مصر وهذا امر لا جدال فيه ، ذكر التقرير ايضاً ان هناك بيوتاً سرية لم تكتشف ، كانت هناك فعلاً بيوتاً سرية لم تُكتشف ، والسبب الاساسى ان البيوت السرية هى سرية تماما بحيث ان رئيس القوة الموجودة فى بيتين من هذه البيوت كان خارج البلاد ، تم تسليم البيوت وعرباتها وافرادها بعد ان تردد كثيرا نائبه نؤكد ان البيوت السرية هى بدعة أتت بها الاستخبارات العسكرية وادخلها الى الجهاز الفريق تاج الدين عبد الله فضل نائب رئيس المجلس العسكرى فى حكومة المشير سوار الدهب ، الذى كان يشغل منصب نائب رئيس جهاز أمن الدولة من قبل . كانت البيوت السرية التابعة للاستخبارات العسكرية اكثر عدداً من بيوت جهاز أمن الدولة عند قيام الانتفاضة ولم يعلم بها احد.

اما بخصوص ما ذكر فى التقرير من ان هنالك اسلحة وصواريخ وجدت بمخازن الجهاز ، فالاستخبارات العسكرية على علم تام بهذه الاسلحة والصواريخ لانها أتت عن طريق المطار الحربى وبعلم ضابط استخبارات القاعدة الجوية ، وبعلم مدير الاستخبارات وبعلم القائد العام ويعرف جميعهم قصتها ، واليكم قصتها :ـ

حكومة السودان كانت على عداء كامل مع الحكومة الليبية وصل الى حد إحاكة المؤامرات من الطرفين ، كانت ليبيا تحاول بإستمرار تغيير النظام فى السودان . كانت دول اخرى كثيرة عربية وغير عربية ، تشارك السودان عداء ليبيا مما جرها الى استقطاب العناصر المعادية لنظام معمر القذافى ، كان السودان ومصر والعراق يكنون العداء لليبيا ، حيث كانت مصر تستقطب عبد الحميد البكوشى وجماعته بينما كان السودان يستقطب المحيشى ، تلاه إستقطاب المقريف وجماعته ، الذين يكَونون الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا ، التى كانت تتلقى تدريباً فى السودان ، يقوم به ضباط من المظلات تحت إشراف الاستخبارات وجهاز أمن الدولة . كانت العراق تقوم بتقديم المساعدات الفنية لها ، التى قامت بعدة عمليات

داخل ليبيا سوف يرد ذكرها .
طلبت الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا بعض المعدات الخاصة بالغطس والقوارب المطاطية وصواريخ الطوربيد ، ذلك لانها تنوى القيام بعمليات على الموانىء الليبيية .. القصد منها تخريب بعض معدات القوات الليبية .. ولقد استجابت القيادة العراقية للامر وارسلت طائرات حربية تحمل هذه المعدات .
وبتنسيق تام بين القوات المسلحة وجهاز أمن الدولة تم وصول هذه المعدات وتم ترحيلها ليلا بواسطة عربات الجيش" الماقرَوز " الى داخل مبانى الجهاز توطئه لتنفيذ العمليه .
اذن فالكل يعلم بهذه الاسلحه .. خاصه الجهه التى كتبت التقرير .. اذ ان كتابة التقرير تتطلب ان يمر التقرير الى قائد الضابط .. ثم الى مدير الاستخبارات العسكرية .. ثم الى مدير العمليات ثم المجلس العسكرى .
لك ان تتخيل .. مجلس عسكرى بلا حول .. ولا قوة.. يلاقى ضغوطا عنيفة باتخاذ إجراء مضاد لجهاز أمن الدولة .. يرفع له مثل هذا التقرير من قبل جهاز الاستخبارات العسكرية .. هل يعّول على مثل هذه التقارير المغلوطة .. ثم هناك ضابطاً آخر من جهاز أمن الدولة رفع تقريرا عجيباً وصل الى مائدة المجلس العسكرى الحاكم .. هو معتصم منصور .. تخرج من المدارس الثانوية .. دخل الكليه الحربيه مع الدفعه الرابعه والعشرين .. شخصيته غيرا مستوية .. اذ انه كان يجمع بين نقائض كثيره ..أمعتصم لم ينجح فى امتحانات الفترة فى الكلية الحربية .. وبعد فترة توسط اهله لدى الرائد مامون عوض ابوزيد للعمل بجهاز الأمن القومى .. بعد ان اجريت عنه بعض التحقيقات نجح فى دخول الجهاز مع وضع ملاحظه انه يميل الى النساء ، تعين معتصم برتبة عريف بجهاز أمن الدولة .. وحدة المراقبة والتحرى .. كان الجهاز آنذاك منضبطا فلم تظهر عيوبه حتى ترقى الى رتبة الملازم .. ثم عمل فى نفس الوحده وبدأت تظهر له بعض البطولات فى المغامرات النسائية والتى كان يفتخر بها وسط اقرانه .. طلب أحد القناصل الذين يعملون بسفارات السودان معتصم منصور ليعمل معه كمساعد له ، نزولاً على رغبة ذلك القنصل تَم نقل معتصم منصور الى ذلك البلد ، هنا برزت بصورة

واضحة مغامراته النسائية مما اضطرت القنصل الذى حضر فى إجازته السنوية الى السودان أن يطلب نقل معتصم من ذلك البلد الى السودان ، ذكر القنصل أنه يتحمل غلطته فى عدم معرفته التامة لمعتصم.. ويضيف بأن الرجل خذله .
أستجيب للأمر وطلب من القنصل كتابة تقرير عن معتصم .
حضر معتصم فى أجازته السنوية عام ١٩٨٤ .. نفاجأ بأن إسم معتصم منصور قدم لأحدى محاكم الطوارىء متهماً بأنه حاز على قطعة أرض من شخص بعد أن وضعه رهن الإعتقال .. المفاجأه الأخرى أن الشخص الذى وضعه منصور رهن الاعتقال ليحوز على قطعة الأرض منه هو خاله شقيق أمه . قبل أن تبدأ إى إجراءات مع منصور وصل خطاب من رئيس جهاز مخابرات البلد الذى كان يعمل به معتصم يوضح أن معتصم على صله بعناصر المعارضه لذلك النظام .. الخطاب مشفوع بصوره فوتوغرافيه لمعتصم منصور مع العناصر المناوئه لذلك النظام .. لم يكن من طريقة غير نقله فوراً والتحقيق معه فى كل هذه الإتهامات . صدر أمرنقل لمعتصم من ذلك البلد الى الأبيض .

كان القرار بالنسبه لمعتصم ابن العاصمة .. والذى لم يفارق امه الا عندما سافر للسعودية والذى لا يعرف اين تقع الابيض ولم يسمع بود ابو صفيه .. كان القرار بالنسبة له كقرار الاعدام .. لم يألو جهداً فى محاولة تغيير القرار فاستعمل كل ما لديه من طرق ومعارف وأقارب .. واخيرا ادعى ان زوجته مريضة للغاية وانه يريد ان يبقى فى الخرطوم لعلاجها .. واستجيب لطلبه .. وتم الحاقه بوحدة أمن العاصمه القوميه . قبل معتصم امر الالحاق على مضض وكان يأمل ان يلغى امر نقله .. لكنه لم يفلح .. فى فبراير ١٩٨٥ والانتفاضه حبلى يصدر امر من مجلس الأمن القومى" والذى يجمع بين الاستخبارت .. القائد العام .. رئيس الجهاز .. مدير عمليات الجهاز ومدير الشرطه . امر بتفريغ العاصمه من المتبطلين والمتشردين .. وكان تنفيذ هذا الامر او مايسمى ب" الكشه " يتم بواسطة قوات مشتركه معظمها من الجيش وباقيها من البوليس مع عناصر من جهاز الأمن .. وشاءت الصدف ان يكلف معتصم من قبل مدير فرع الامن

بأمدرمان بالاشتراك فى هذه " **الكشه** " ليجد ان معظم الضباط من اقرانه بسلاح المهندسين هم من دفعته .. ولعلمهم ببساطته وسذاجته دعوه الى ميس الضباط ليتجاذبوا معه اطراف الحديث .. كان ضباط سلاح المهندسين آنذاك من اكثر الضباط الذين كونوا تنظيما معاديا للسلطة ويبدو انه كانت تنقصهم بعض المعلومات عن جهاز أمن الدولة وارادوا ان يستفيدوا من معتصم هذا او كما يسمونه " **الكوتش** " coach "ووجدها معتصم فرصة ان يحكى لهم عن قصص تشبه الاساطير عن الجهاز وعن فساد المسئولين فيه وكيف يهربون العربات من الخارج .

كانت حكايات معتصم كافيه لشحن الضباط وتعاطفهم مع معتصم ومعاناته الوهميه فى الجهاز .. وبالتالى عندما نجحت الانتفاضه طُلب من الرائد معتصم منصور هو ان يكتب تقريرا كاملا عن الجهاز وممارساته .. كتب معتصم تقريرا من خمسة عشر صفحه حكى فيه روايات كلفت لجان التحقيق كثيرا من الجهد والمال والوقت دون جدوى .. وكانت عاملا مباشرا ساعد على اتخاذ القرار بتصفية الجهاز واعتقال افراده. كان هذا هو الموقف امام المجلس العسكرى والذى اتخذ قرار تصفية الجهاز اولا ثم العدول عن القرار بحله واعتقال كل افراده ثانياً .. ثم الاكتفاء باعتقال الضباط وايداعهم سجن كوبر.... كأول سابقه تحدث بايداع ضابط وهو لا زال بالخدمه فى السجن .

كيف تحول قرار تصفية الجهاز الى حل .... ؟

جاءت الى اللواء السر اب احمد مجموعة من الضباط الشباب منهم الضباط كمال مختار وعمر البشير وجمعه خواجه والذى كانت لديه قضية شخصية مع اللواء عمر محمد الطيب رئيس الجهاز .. وضباط اخر .. تحدثوا معه حول الموقف الغير مقبول منه ثم بادروه بانه ايضا احد سدنة مايو .. ولذلك فهو متهاون جدا مع ضباط الجهاز وانه يغطى عيوب الجهاز .. لحظتها قال لهم اب احمد " **انا عارف الجهاز فيه شنو ..**

وعارف اصلحه كيف .. وبعدين انتو لو عاوزين تخوفونى .. انا عندى سلاح الهجانه اللواء الاول واللواء الثانى مشاه ... تحت قيادتى ومستعد حسم احركهم لولا انى اراعى عدم اراقة الدماء . وذهب الضباط .. وفى المساء كان القرار باعتقال افراد الجهاز قد صدر .

فى صبيحة الخميس ١١ ابريل ١٩٨٥ حضر الضباط كعادتهم الى الجهاز، بعد دقائق لاحظنا ان الخدمة القادمة من القيادة العامة والمكلفة بحراسة الجهاز لا تسمح لاحد بالخروج بينما تسمح لكل داخل بالدخول .. وعلمنا بامر الاعتقال والذى لم يكن سرا لكنه كان كالاشاعه .. حضرت اللجان التى كونت من القيادة العامة وكانت جلها من الضباط .. واذكر ان من الضباط القائمين على حصر الضباط ...

١ - العقيد عمر حسن احمد البشير.
٢ - العقيد عثمان بليه.
٣ - العقيد عثمان الفكى عبد الوهاب.
٤ - العقيد عبد الله على عبد الله .
٥ - المقدم حسين على حسين .
٦ - الرائد كمال على مختار.

من ضمن هؤلاء الضباط اتضح ان اربعه منهم ينتمون الى التنظيم الذى كان العقيد عمر حسن عضوا فيه .. والذى كان يقوده المرحوم مختار محمدين ... هذا التنظيم كان اسلاميا فقط فى ظاهره بينما انتماؤه كاملا لجماعة الاخوان المسلمين فى جوهره .. كان هذا التنظيم اكثر التنظيمات اهتماما بعقاب اجهزة امن الدوله لانه وحتى تلك اللحظه كان معظم قادة الاخوان المسلمين فى السجن ولم يكن معروفا لديهم الموقف تماما . نضيف ان العقيد عمر حسن البشير كان مرصودا من قبل الاستخبارات العسكرية منذ عام ١٩٨٢ لكن وجود المقدم كمال على مختار باستخبارات المظلات كان يشكل وقاية له ، الا ان عمليات المراقبة المشتركة بين اجهزة الأمن كشفت ان اله نشاطا خاصا وسط الاخوان المسلمين والذين تمكنوا من تجنيده بواسطة اخوته الذين ينتمون لهذا التنظيم .. خاصه انه كان يميل اليهم فى ايام الدراسة .. مما

ساعد فى سهولة تجنيده الوسط الدينى الذى كان يعيش فيه بين اسرته وقوة ترابط الاخوه بعضهم البعض .
كذلك رصدت اجهزة الأمن محاولات مستميتة للعقيد عمر حسن البشير فى يناير ١٩٨٥ وحتى مارس ١٩٨٥ وذلك بالتعاون العلنى مع عناصر الاخوان المسلمين والحضور الى جهاز أمن الدولة محاولا اطلاق سراح بعضهم بدعوى انهم اقرباءه او له معرفة بهم وانهم ليسوا من الاخوان المسلمين .. وان ظلما قد وقع عليهم ... كما ان عمر حسن البشير لم يستطع اخفاء حماسه للاخوان بعد الانتفاضه مما ادى الى مراقبته خاصه انه كان احد النشطين ايام الانتفاضة .. وقد ادت مراقبته الى نقله خارج العاصمة .
فى حوالى الساعه العاشره صباحا بدأت العربات الكبيرة الحافلات "المينى بص" تتجمع امام مبنى رئاسة الجهاز ثم طلب من جميع افراد الجهاز ان يتجمعوا تحت شجرة معينة بغرض اجراء التمام .. بينما طلب من جميع الضباط الحضور الى الكافتيريا ... كانت المنطقه فى حركة دائبة ولم يعد سرا اعتقالنا بينما كان بعض افراد الجهاز فى اضطراب خاصة المجموعات التى لم تتلق بعد تدريبا عسكريا ..
تجمع الضباط فى قاعة الكافتيريا وهم فى قلق تام .. فى انتظار حضور اللواء اب احمد من القيادة العامة لتنوير الضباط عن الاجراء الذى اتحذ .. ولم يكن احد يدرى ساعتها ان اب احمد ظل منذ السابعة صباحا وحتى الحادية عشره قبل الظهر مع اعضاء المجلس العسكرى فى محاولات مستميته لاقناعهم ان يعدلوا عن الطريقة التى قرروها لاعتقال ضباط الأمن ... كان الضباط فى القاعة فى حالة تجمع بين الوجوم والقلق والتوتر والاشفاق .. ولولا قفشات الرائد ازهرى عبد الله ومحاولته تهوين الامر .. وشجاعة مصطفى محمد على "عيون كديس" والذى حضر من منزله للاعتقال حاملا معه كل ملابسه الضرورية .. لاجهش بعضهم بالبكاء .
حضر اللواء أ . ح السر محمد احمد "اب احمد" الى الكافتيريا واستلم تمام الضباط ثم بدأ حديثه بالبسملة .. ثم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قرأ الآية الكريمه "كل نفس بما كسبت رهينه" بعدها اخطر ضباط الجهاز ان

قرارا قد صدر باعتقالهم جميعا وان المجلس العسكرى هو الذى اصدر القرار.
ثم بدأ بتطييب خاطر الضباط وان الاجراء ضرورى وان الموضوع يتطلب حصر الضباط والجنود ومعرفتهم وحجز بعض الذين يشتبه فى ارتكابهم لبعض المخالفات وان الامر لن يتعدى اليومين او الثلاث .. اذ ان اللجان سوف تبدأ فورا فى حصر عدد افراد جهاز الأمن وتصفية المطلوبين لحجزهم .... ثم امر الضباط بالتوجه نحو العربات لحصرهم .. ثم ركوبهم السيارات فى طريقهم الى كوبر.:

هل كان نميرى يثق فى أجهزة الأمن

أن المواطن السودانى بطبعه لا يثق فى أجهزة الامن ، والرئس نميرى عندما كان ضابطا بالجيش شهدت له عدة محاولات انقلابية ، كان عضوا فى بعضها و مرشحا ممن نظموها او خططوا لها . وبالطبع كان العدو الاول لشخص يسعى للسلطة عن طريق الانقلاب هو اجهزة الامن . يمكننا ان نقول انه حتى لحظة توليه السلطة كان عدوه الاول هو اجهزة الامن ،
ولكن هل كان نميرى يثق فى اجهزة امنه الخاصة ؟
للاجابه يجب ان نتعرض لبعض الحوادث والاحداث ، :
عند قيام ثورة مايو ١٩٦٩ كانت اجهزة الامن انذاك هى البوليس (الامن الداخلى) والجيش (الاستخبارات) وكانت الاستخبارات هى عصب امن الجيش ، ولما تولى نميرى السلطه كان اول مافعله هو تعيين السيد على محمد صديق مديرا عاما للبوليس بينما تولى الرائد مامون عوض ابوزيد مهمة تامين الجيش والرائد فاروق عثمان حمد الله وزارة الداخلية والاخيرين هما اعضاء بمجلس الثورة ويمكننا ان نقول " جماعته " لان كوادر الأمن كلها كانت من الكوادر المختارة بعناية وشرطها الاول الولاء.

لكن مايو بعد عام ونيف من قيامها وبالتحديد فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ انقلبت على اكبر سندها وهم الشيوعيين .. وبالتالى اصبح هنالك اهتزاز فى الثقة فى بعض كوادر الأمن خاصه الشيوعيين منهم وفعلا بدأ النظام فى إبعاد بعضهم من اجهزة الأمن .. وعندما دخل الشيوعيون فى المحاولة الانقلابية فى العام التالى " ١٩ يوليو ١٩٧١ " بقيادة عضو مجلس الثورة السابق هاشم العطا كان واضحا ان اجهزة الأمن لم تكن تعلم شيئا .. فقد كان الانقلاب نفسه حركة ذكية وبارعة أذ انه ولاول مرة يتم انقلاب فى وضح النهار .. فى الساعة الثانية بعد الظهر .. وبالرغم من فشل الانقلاب بعد ثلاثة ايام الا انه كان أول انقلاب فى السودان يحقق مفاجأه تامة ويتم فى وقت الاسترخاء الحقيقى لكل كوادر الجيش والخدمة المدنية ونتيجة لفشل هذا الانقلاب برزت لنميرى معضلة أجهزة الأمن وكان اول هذه المؤثرات ..

١ ـ اشتراك كوادر كان موثوق بها فى الانقلاب.

٢ ـ اشتراك كوادر أمنية موثوق بها فى الانقلاب.

٣ ـ غياب اجهزة الأمن عن متابعة الانقلاب.

كانت هزة ١٩ يوليو ١٩٧١ هزة قوية أثرت على ثورة مايو وعلى الرئيس نميرى شخصيا تأثرا جعل الاتجاهات تتباين والخطوط تتقاطع .. كانت تجربة قاسية للكثيرين ، تجربة قاسيه للمخلصين فى ايمانهم بارائهم من الجانبين .. واكثر قساوة لمن ركبوا الموجة لكن يبدو ان اكثرها قساوة كانت على الرئيس نميرى نفسه ولعل هذه الصدمة لا زالت آثارها عالقة به الى يومنا هذا .

فقد تآمر عليه اعز اصدقائه وقضى عليهم وهو يعلم انهم اعز اصدقائه وانه لا يملك الا ان يقضى عليهم.

اولا.. لانهم تحولوا عنه كاعداء .

ثانيا.. لانه لن يستطيع كبح جماح انصاره الذين اعادوه الى السلطة .. ونحن على ثقة ان الرئيس نميرى .. اى رئيس عندما يحدث له موقف كهذا .. يبحث عن موضع الخلل يتجه بتفكيره نحو اجهزة أمنه ناسيا او متناسيا كم من نصح وجهته له كتابة او شفاهة .. وفى موقف نميرى لم يكن الموقف موقف لوم هذه الاجهزه فقط .. انما كان الموقف يتطلب شيئا مثل

ان يقوم بانشاء اجهزة جديدة .. قامت ثورة مايو على الفكر اليساري فى الاساس .. حتى الصراع الداخلى فى نظام مايو قبل انقلاب هاشم العطا هو صراع يسارى .. يسارى متطرف .. او كما سماها هاشم العطا الطريقة العلمية .. والطريقة اللا علمية . على كل ، فان حركة هاشم العطا وضعت لنميرى النقاط فوق الحروف واعطته بديلا واحدا ، ليتجه نحو اليمين الذى كان ينشده ، ولعملية التحول الكامل من اليسار الى اليمين كان لابد من ان يبدأ بصورة عاجلة ... فكان نصيب اجهزة الأمن التغيير فى بعض قياداتها .. ورفت بعض الكوادر .. وسجن البعض ، بينما فضلت قلة الاستقالة من تلقاء نفسها ... ولم تقف حركة نميرى عند هذا الحد فقد قرر ان تكون له مصادره الخاصة داخل اجهزة الأمن .. فعين بعض الموالين له فى تلك الأجهزة ولم يضعهم فى مناصب عليا ،كما عين بعض اقاربه و الموالين له ايضا .. ولم يكن صعبا عليه ان يجند فى داخل تلك الاجهزة بعض المصادر بحكم انه اعلى سلطة فى البلاد .. ومن السهل ان يقنع اى شخص للعمل بجانبه .. لكن يبدو ان جميع هذه العناصر لم تكن ممتازة الاداء و تقييمها للامور مما جعل نميرى يتعرض لبعض الاخطاء عندما يتخذ قرارا فى امور مدروسة قدمت له بواسطة اجهزة الأمن خاصة ان بعض الذ ين يقدمون خدماتهم للرئيس من وراء الاجهزة كانوا من الحاقدين او الموتورين .. او قليلى الخبرة او الكفاءة.. او من ذوى الغرض.. هذا لا ينفى ان قلة كانت على صلة خاصة تقدم له مشورة ممتازه وصادقه فى الامور الأمنيه .

الا اننا شهدنا فى الايام الاخيره من مايو انواعا غريبه من التجنيد .. فثمة ضابط اتصلت زوجته بمنزل الرئيس ورتبت له لقاء مع الرئيس اسفر عن اعادته الى الخدمة بعد ان كان مفصولا .. كان ثمن تلك الاعادة الى الخدمة .. ان يتابع باستمرار اللواء عمر محمد الطيب ويرفع تقرير عنه الى الرئيس .. هكذا سرعان ما عرف الجميع مهمة ذلك العائد حتى اللواء عمر نفسه .. لقد حاول نفس هذا الضابط العائد ان ينسب نفسه للانتفاضة بعد سقوط نظام مايو .

اننا حين ننظر الى اللعبة السياسية ، نجد ان رئيس الدولة

كان يناور بطريقته الخاصة الوزراء والعاملين معه ، فاكتشافنا للضابط الذى عين لمراقبة اللواء عمر وتحركاته لا يعنى انه الوحيد ، أذ كان هناك آخرون مجندون لغير اللواء عمر ولغيره من الوزراء ، حتى اعضاء الجهاز الآخرين .. والسؤال الذى يطرح نفسه .. هل كان يعنى ذلك ان الرئيس كان يرمى الى اشياء خاصة يتشكك حولها ، ام يرمى الى اشياء اخرى ، هل كانت المراقبة لاشخاص بعينهم .. ام شملت كل ميادين العمل .. حتى اداء الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب .. والوزارات .. كان نميرى يهتم كثيرا باداء الوزارات .. فكان يقوم بالاشراف على الوزارة التى يتغيب وزيرها فى مهمة خارج البلاد ، ليقف بنفسه على اداء الوزارة والوزير وليحكم من خلال تجربته ومعرفته الشخصية .. وفى هذا نفسه عدم ثقة .. لكن فى بلد كالسودان كان يمكن ان يضبط الاداء ان كان الوزير شخصا قويا اختير بكفاءة ومقدرة فلا نعتقد ان لمثل هذا الاجراء داع ..

ونذكر عن نميرى بعد ثورة اكتوبر ١٩٦٤ كانت ادارة الأمن الداخلى تقوم بمراقبته ، بل ومتابعته متابعة كاملة لصيقة .. وخصصت عربه بطاقمها الأمنى لمتابعته متابعة الظل .. حكى لى رئيس التيم كيف كان نميرى يحاول ان يتخلص من المتابعة بأساليب شتى .. فى احدى المرات عندما زهج من هذه المتابعة دلف نميرى بعربته التى كان يقودها بنفسه نحو احد الشوارع الجانبية واوقفها بسرعة وترجل منها وتوجه الى العربة التى كانت تتابعه وبدون ان يعطى فرصة للضابط ادخل رأسه فى العربة وامسك بتلابيبه وسأله ان يكف عن هذه المتابعة والا لقى حتفه .. تسمر الضابط ولم يعرف كيف يتصرف أذ كان يعتقد ان نميرى لا يعرف ، وحتى لو عرف كان يتوقع ان يتصرف معه غير هذا التصرف .. المهم ان نميرى كان من هذا النوع من السودانيين الذين يحاولون ان يشقوا طريقهم باسلوبهم الخاص .

ما ثبت لنا هو ان نميرى كان يراقب اداء جهاز الأمن .. وبعض المواطنين يعتقدون .. ان جهاز الأمن كان يراقب نميرى ..

تقسيم الجنوب

السلطه والثقه بتقارير الامن

نتناول فى هذا القسم من الفصل الثانى ، تقارير الجهاز ومدى اعتماد السلطة العليا عليها .. قبولها والاخذ بها ، إذ مسألة تقسيم الجنوب أمر فى غاية الاهمية ، ويعلم كل العاملين وقتها بالجهاز كم كان رأيى (١) بصفتى المسئول الاول عن أمن الاقليم الجنوبى ولاكثر من ستة سنوات رأى واضح ، لم يكن رأيا شخصيا بقدر ما كان رأى خبير عرف الاقليم وخبره ، كنا نعرف مسبقا رأى اللواء عمر الطيب فى مسألة التقسيم دوافعه وأسبابه ، فكتبنا رأيا واضحا وصريحا ، مدعما بالتجربة والملاحظات ومستندا على الرأى العام للأغلبية ، لكن كانت القناعة فى الجانب الآخر اقوى .

كانت مسألة تقسيم الجنوب هى الشرارة التى لم تنطفىء حتى اليوم ، بدأت بمسألة التقسيم والاعتراض عليه ، مرورا بتشريع قوانين سبتمبر الاسلامية ، نهاية بتطبيق قوانين الشريعة الاسلامية.

هذا ما كان من احداث .. ويهمنا فى هذا المقام ان نعرف ماذا جرى .. وكيف ..؟

---

(١) العميد / محمد عبدالعزيز

اتفاقيـــة أديس أبابـــا

أقرت اتفاقية اديس ابابا لعام ١٩٧٢ لتنظيم العلاقة الدستورية بين الشمال والجنوب ، ان تكون المديريات الجنوبية الثلاثة وحدة اقليمية واحدة تخضع لحكومة اقليمية فى اطار حكم ذاتى اقليمى .. رغم ان هذا الاتفاق قد اقر فى اديس ابابا عام ١٩٧٢ الا ان نفس هذا الطرح كان قد قدم فى المشروع المقترح من جانب الاحزاب الشمالية فى مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٦٥ .. وكما هو معروف ان بعض الاحزاب قد خرجت على ذلك المشروع فى مرحلة لاحقة .. وبعد ان تم الاتفاق عليه فى اتفاقية اديس ابابا لم يرض ذلك تلك الجماعة .. لذا كانت احدى النقاط التى اثيرت فى مفاوضات المصالحةمع المعارضة متمثلة فى الجبهة الوطنية .. ونظام مايو مع بعض الاطروحات الاخرى كتنظيم الاتحاد الاشتراكى وقيادة الأمن العام.

صار اللواء عمر الطيب هو مهندس المصالحة ورجلها بالداخل والامين على تسوية كل الامور التى تقر مبدأ المشاركة بعد حل هذه المسائل .. وكان واضحاً ان نجاحات اللواء عمر فى هذه المسألة هى نجاحه فى إستقطاب رجال المعارضة وانهاء المعارضة ووضع نظام مايو فى الاطار الذى يوافق ويستمر مع ما اقترحته عناصر المصالحة .. فالامر كان جد واضح .. لعل الدليل على ذلك هو خلو سجلات ومحفوظات الجهاز من اى شىء يشير الى اتفاق او تفاصيل اتفاق او اى اشارة الى اتفاق .. وبما انى كنت مسئولا عن سجلات الجهاز فاستطيع ان اؤكد ان سجلات الجهاز كانت خالية تماما من اى اشارة للمصالحة وشروطها وتفاصيلها .. وبما ان عمليات الجهاز هى المسئولة عن سجلات الجهاز فقد عملت رئيساً لعمليات الجهاز بعد عودتى من الجنوب كمدير للاقليم الجنوبى .. راجعت ورجعت لكل الملفات .. فلم اجد ان هناك ما يشير الى توجيه او اطار نعمل فيه .. سألت وكنت قد تسلمت العمليات من الزميل العميد (م) عنايت عبد الحميد فأكد لى انه لا شىء البتة ..

وان المسألة يقوم بالاشراف عليها مباشرة السيد رئيس الجهاز اللواء عمر ، اهمية هذا والتطرق اليه ينبع من ضرورة ان الاطار والسياسة والاستراتيجية التى يضعها الجهاز هى التى يسير عليها الجميع ..وبدون ذلك .. يكون الاجتهاد الفردى ..

من اين نبعت فكرة تقسيم الجنوب .. ؟؟

عام ١٩٧٧ كان عام المصالحة بالسودان .. فقد شهد تحركا نشطا ، الفريق جوزيف لاقو علم بمطالب الجبهة الوطنية وتحركها .. ومع نهاية عمر رئاسة المجلس التنفيذى العالى تحرك الفريق لاقو ليكون رئيسا للمجلس التنفيذى العالى .. وألاّ يظل السيد ابيل الير على رئاسة المجلس وهو الذى كان يقود القوات الجنوب المحاربة والآن يقود قوات الجنوب وهو الذى ساعد فى الوصول الى الاتفاق ، لم يكن ليرضيه ان يظل فى المكان الثانى باستمرار .. فتحرك ليحتل المنصب الاول والهام .. وان اعجزته الحيله يطالب بتقسيم الجنوب .
ليس لدينا ما يؤكد ان اتفاقا قد جرى بين اللواء عمر الطيب والفريق جوزيف لاقو ، لكن من المسلم به ان كلاهما خريجى المدرسة العسكرية وطريقة التفكير واحدة ، واللواء عمر يعرف طموح الفريق لاقو ويعرف كم هو يشعر بالضيق مما يسميه الفريق لاقو بسيطرة الدينكا .. لكل ذلك ان كان من اتفاق او تدبير او ان جاءت المسألة بطريقة ذكيه من اللواء عمر لمعرفته بتلك الخلفية فقد بات من المؤكد ان الفريق لاقو اصبح مرشحا لرئاسة المجلس التنفيذى العالى للاقليم الجنوبى .. بجانب تفكيره للاحتفاظ بمنصبه كقائد للفرقة الاولى بجوبا ، التى كان اتفاق اديس ابابا يقضى بأن تكون الفرقة الاولى تحت قيادته وان تحريك هذه القوه مشاركة بين رئيس الجمهورية بصفته القائد الاعلى ورئيس المجلس

التنفيذى العالى للاقليم الجنوبى .. اعتقد الفريق لاقو انه سيحتفظ بمنصبه كقائد للفرقة الاولى بعد انتخابه رئيسا للحكومة .

كان الحماس لانتخاب جوزيف لاقو كبيرا حيث سانده عدد من قيادات الجنوب ، خاصة أبناء الدينكا وعلى وجه الخصوص أبناء البحيرات وأويل .. عندما طُرح الامر على امانة الاتحاد الاشتراكى بالاقليم الجنوبى ترشح للمنصب كل من السيد ابيل الير والفريق لاقو .. هذا يعنى ان مجلس الشعب المنتخب فى جلسته الاولى عليه ان يؤيد أحد المرشحين .. الا انه قبل ذلك الانعقاد جاء الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم النائب الاول لرئيس الجمهورية والامين العام للاتحاد الاشتراكى الى جوبا .. وتوقعنا معركة ساخنة من الطرفين .. فى الليله التى سبقت انعقاد مجلس الشعب الاقليمى لحسم المسألة .. سمعت من مصدر خاص ان السيد ابيل الير سيظل نائبا لرئيس الجمهورية وان اللواء لاقو سيصبح رئيسا للمجلس التنفذى العالى للاقليم الجنوبى .. لم تكن المسألة قد عرفت من قبل بتلك الصورة .. اذ كان رئيس المجلس التنفيذى العالى هو نائب رئيس الجمهورية .. حدث هذا رغم ان المصدر كان غير موثوق به .. طلب الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم من السيد ابيل الير ان يسحب ترشيحه لرغبة السيد رئيس الجمهورية . وهكذا فاز الفريق جوزيف لاقو بالمنصب بالتزكية .

هكذا قاد الفريق جوزيف لاقو العمل السياسى بالاقليم الجنوبى .. الا انه لم يستطع الاحتفاظ بقيادة الفرقة الاولى .. سافر الفريق لاقو لبعض الدول لطلب مساعدات منها للاقليم فكان ان زار دولة الامارات العربية المتحدة .. وكان لابد من الاشارة هنا مساعدات دولة الكويت الكبيرة والمقدره للاقليم الجنوبى .

سمع ان دولة الامارات قد منحت الاقليم معونة قدرها "٢،٥ اثنين ونصف مليون " دولار امريكى .. الا ان هذه المنحة قد حولها الفريق جوزيف لاقو لمنفعته الشخصية ..اخذ الخبر ينتشر واصبح حقيقة مسلمة ، خاصة وان بعض الاعضاء ذكر بان لم يذهب جوزيف لاقو او يقدم استقالته ستعرض مستنداتها امام مجلس الشعب لتبقى مساءلة .. وعليه ان

يتحمل نتائج ذلك .. كان على رأس هؤلاء عضو المجلس بنجامين بول .. اصبح موقف الفريق لاقو صعبا وزاد من صعوبتة اشياء اخرى قدمت فى مذكرة وقعها ٢٤ من اعضاء مجلس الشعب.

نتيجة لكل هذا طلب من رئيس الجمهورية التدخل .. وهى مسألة الخلافات العميقة بين الفريق لاقو ورئيس مجلس الشعب الاقليمى .. ومن الطرائف التى تقال فى هذا المقام ان رئيس الجمهورية وقتها استشار السيد كلمنت امبورو بصفته رئيسا لمجلس الشعب الاقليمى الذى قال "يا ريس الحل فى الحل" .. وذكر اذا فرض ان لبست قميصا و "زرزرته" ولم يكن ترتيبها صحيحاً فماذا فى وسعك ان تفعل غير ان تعيد فكها وترتيبها من جديد .

حل رئيس الجمهورية المجلسين ، القومى والاقليمى .. واعفاء الفريق لاقو وعين السيد بيتر جات كوث رئيسا مؤقتا للمجلس التنفيذى العالى ليجرى انتخابات جديدة.

كان لابد من هذه التفاصيل لتوضيح كيف جاءت خيبة امل الفريق لاقو فى قيادة العمل السياسى بالجنوب .. فماذا فعل الفريق لاقو .. ؟

تقدم الفريق لاقو الذى شعر بان الظروف مواتية له بقبول تقسيم الجنوب .. قدم مذكره باقتراحه ورأيه فى مسألة التقسيم .. لفائدة القارىء نلحقها فى هذا الكتاب .. هذه المذكرة صيغت فى كتيب صغير وتبنى الاتحاد الاشتراكى طبعه .. فى المقابل كان لابد من تحرك مضاد من الفئة التى لا توافق على مبدأ تقسيم الجنوب .. هنا اختلت المعادلة حيث وقف مع الفريق لاقو من كان على خلاف معه وتجمع الآخرون وكانوا اغلبيه ضد مبدأ تقسيم الجنوب .. دون ادنى شك ان المذكره وجدت قبولا وارتياحا لدى اللواء عمر محمد الطيب ان لم يكن يقف وراءها .

منتصف عام ١٩٧٨ بعد ضم الجهازين ، سافرت فى بعثة دراسية الى الولايات المتحدة الامريكية .. وبعد عودتى أعاد اللواء عمر تعيينى مديرا لأمن الاقليم الجنوبى .. وافقت رغم انى نقلت حديثا من الجنوب ..عدت مرة اخرى الى الجنوب .. كانت يوغندا فى حالة اضطراب حيث كانت حكومة عيدى امين

تترنح ، وبدأ شعب يوغندا يضيق ذرعاً من حالة الفوضى والاضطراب .. بدأ يلجأ الى السودان خاصة تلك العناصر ذات الارتباط القبلى بقبائل الجنوب .

اصبح الجنوب يعج بكثير من النشاط ، مع التقسيم وضده ..إنقسم الرأى العام الى مؤيد للتقسيم وضده بصورة عنيفة ..

كان يتوقع اللواء عمر ان اقف مع التقسيم نزولا عند رغبة القيادة السياسية .. لكننى لم افعل لمبدأ بسيط هو ان استقراءاتى وتحليلى للموقف برمته اوضحت ان التقسيم شر مستطير .. بدأت اعكس هذا فى تقاريرى الى رئاستى واوضحت كل الجوانب .. وكتبت .. حتى استطيع ان اقنع رئاستى عن التخلى عن المشروع لتثنى بدورها القيادة السياسية عن التراجع عن الاقدام أصلا فى هذا الصدد .. حاولت كثيرا .. لكنى كنت كمن يضرب على حديد بارد اخيرا كتبت تقريرا مطولا خلصت فيه الى ان الوضع اذا استمر على حاله هذا فيعنى اننا نكون قد تراجعنا عن اتفاقية اديس ابابا ..واوضحت ان هذه الاتفاقية التى اعترض عليها البعض وفضل البقاء خارج البلاد ، ليس لانهم يحملون اعتراضا على بنود الاتفاقية او اصلها بل لانهم يتشككون فى مصداقية الشماليين فى تنفيذها والتامين عليها .. لذا كان من بنود تلك الاتفاقية ان تضمن فى صلب الدستور وان يكون الحكم الذاتى الاقليمى مضمنا ايضا فى الدستور الدائم .. كان المعارضون لتلك الاتفاقية يقولون ان العرب " يقصد الشماليون " لا يثبتون على رأى وسرعان ما يتبدلوا .. وهذا ماكنت اخشاه .. وذكرت ايضا ان هذه الاتفاقية التى توصلنا اليها بعد سبعة عشر سنة من الجهد الشاق من بعد الخلاف والاقتتال يجب ان نحافظ عليها ونعض عليها بالنواجز بدل ان ننقضها ونقتلها .. أوضحت ان هذه الاتفاقية ربما تكون المحاولة الاخيرة لانه سيصعب جلوس الاطراف مرة اخرى للاتفاق .. لم اكتف بكتابة ذلك التقرير المفصل الوافى عن حال اهل الجنوب واحتمالات انفجار الموقف .. بل سطرت خطابا خاصا للواء عمر، شخصى لسيادته موضحا ومفصلا مغبة الاستمرار فى تأييد التقسيم .. وقلت له فى خطابى هذا ، يكفى جيلنا فخرا انه قد انهى حربا استمرت سبعة عشر عاما ، وعلى الاجيال او الجيل الذى ياتى

بعدنا ان يقرر ان كان من مصلحته تقسيم الجنوب او تركه وحدة واحدة .. وتساءلت لماذا الاصرار على التقسيم اذا كنا نخطو خطوات جادة نحو الاستقرار ، خاصة و قد إنقضت سبعة سنوات شعر المواطنون فيها بالفرق بين الاحتراب والاستقرار .

وصل خطابى هذا للواء عمر ولم يخلص من قراءته حتى بعث الى ببرقيه عاجله يطلب فيها حضورى الى الخرطوم .. لم توضح الاشاره " البرقيه " شيئا .. وبينما استعد للسفر الى الخرطوم فىنفس يوم وصول البرقيه .. اذ كان موعد وصول الطائرة الىجوبا فى الثالثة بعد الظهر واقلاعها مباشرة الى الخرطوم .. كنت يومها أتناول وجبة الغداء مع الصديق السيد بونا ملوال بمنزله .. وبينما نحن نتناول وجبة الغداء استمعنا الى نشرة انباء الثالثة التى حملت قرار السيد رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى بانه لن يتحذ قرارا بتقسيم الجنوب ، انما سيخضع ذلك الى رغبة جماهير الاقليم ممثلة فى تنظيمها السياسى الاتحاد الاشتراكى وهياكله .. حمدت الله فى سرى ان تقريرى وخطابى للواء عمر قد أتى ثمره .. بالطبع لم يكن يعلم السيد بونا عن تقريرى او خطابى ولم اشأ طبعا ان اوحى له لكن قلت له يبدو ان الرئيس قد لمس رغبة جناح التضامن كما كانوا يسمون انفسهم .. اولئك الرافضون للتقسيم . ودعت الاخ بونا ملوال وسافرت الى الخرطوم وينتابنى شعور المنتصر .. وصلت الخرطوم فى نفس مساء ذلك اليوم وبعد ان اخذت قسطا من الراحة والاستجمام وجدت انه لابد من مقابلة اللواء عمر فى نفس ذلك المساء خاصه وان مقابلته تسهل فى المساء اكثر من الصباح حيث المواعيد المسبقه ، لأنه يحضر بانتظام فى الامسيات لمكتبه برئاسة الجهاز .. وصلت مبانى رئاسة الجهاز ودلفت الى مكتب السيد اللواء كمال حسن احمد نائب رئيس الجهاز حتى يحضر اللواء عمر ، بعد ان صافحته وجلست اليه تحدثت الى مكتب اللواء عمر فاخطرت سكرتاريته بحضورى من جوبا ورغبتى فى مقابلة اللواء رئيس الجهاز .. بدأت اتحدث الى اللواء كمال ..

- سيادتك ما هو سبب استدعائى بهذه العجله .. ؟

- اللواء كمال ... التقرير الذى ارسلته لم يرض اللواء عمر.
- سيادتك هل اطلعت على التقرير .. ؟
اللواء كمال ... طبعا .. وكان شديدا فى اسلوبه .. ثم خطابك الشخصى ايضا ..وكأنك تحمله المسئوليه.
- هل حدثك عن خطابى الشخصى ايضا .. ؟
اللواء كمال ... نعم .. ولهذا فهو غير راض عن كل هذا .. وسيتحدث معك . ليلفت نظرك لهذا .. لكن . بعد برهة من السكوت .. يستطرد اللواء كمال ... لا ادرى كيف سيكون تصرف اللواء عمر بعد قرار الرئيس الذى اذيع اليوم.
لهذا كنت اعتقد العكس مما تقول الان .. كنت اعتقد ان تقريرى قد اثمر.
اللواء كمال ... حتى امس كان اللواء عمر يعتقد ان الرئيس سيصدر قرارا بالتقسيم .. بل كان يبدو واثقا من ذلك.
اذا.. المسأله اصبحت فى صالحى .. هل تعتقد ان اللواء .....
نضحك ..
اللواء عمر لم يحضر فى تلك الامسية، فى صباح اليوم التالى ، اخطرت سكرتيره الرائد صلاح دفع الله بحضورى ، ولما لم يكن قد وصل بعد الى المكتب فضلت الانتظار ، وهكذا انتظرت خمسة ايام لاقابل باللواء عمر حسب تعليماته لى بمقابلته .. هذا عندما لم اجد طريقة لمقابلته عدت الى جوبا مرة اخرى . مسألة التقسيم وما دار فى ذلك الصدد .. كان الفريق جوزيف لاقوهو الذى تبنى مسألة تقسيم الجنوب ..
فى فبراير ١٩٨٠ حين اثار نميرى مسألة تقسيم الجنوب امام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى السودانى ذاكرا انها فكرة قدمها له بعض الاعضاء من اهل المديرية الاستوائية . كانت اللجنة المركزية تضم عشرين عضوا من الجنوب ، اثنين فقط من هؤلاء الاعضاء هم الذين يؤيدون التقسيم والثمانية عشر ضده ، لذا كانت المعارضة عنيفة لمبدأ التقسيم مما لم يشجع نميرى ان يستمر فى الموضوع ذاكرا انه لا يود ان يشجع اهل

الجنوب على التقسيم .. نام الموضوع لبعض الوقت .. بعد سبعة اشهر من ذلك أُثير الموضوع من جديد امام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى .. لكن هذه المره كانت دوافع الرئيس نميرى قد حركتها دوافع شخصية حيث نشر كتاب صغير عرف بكتاب "التضامن" اشتمل على نقد شديد لسياسات نميرى الاخيرة ، وبعض القيادات التى تشجعه ، وكان اولها كما نعلم ، اللواء عمر محمد الطيب ، عزالدين السيد رئيس مجلس الشعب وقتها .. كانا اكثر المتحمسين لمبدأ التقسيم ، لقد اغضب الكتيب الجميع ، كان نميرى يعتقد ان الكتيب قام بكتابته السيد ابيل الير والسيد بونا ملوال .. لم نجد نحن فى الاقليم الجنوبى اى سند لذلك .. بل اتضح ان الكتاب قد تمَ طبعه بالخرطوم بواسطة مطبعة محددة .. وكتبه اعضاء مجلس الشعب القومى المعارضين للتقسيم .
كان الرئيس نميرى غاضبا على نشر هذا الكتاب فحاول هذه المرة عرض الامر على المكتب السياسى للاتحاد الاشتراكى عله يجد منهم التأييد فى السخط على الحكومة الاقليمية ومجلس الشعب الاقليمى خاصة على شخص السيد ابيل الير بصفته رئيس الحكومة الاقليمية والسيد انجلو بيدا بصفته رئيس مجلس الشعب الاقليمى لكونهما قادة معارضه تقسيم الجنوب .. كانت المواجهة فى المكتب السياسى بين مؤيدى التقسيم ومعارضيه شديدة .. اصر كل من السيدين ابيل الير وبيتر جات كوث على ان تتبع الاجراءات المنصوص عليها فى قانون الحكم الذاتى الاقليمى فى هذه المسألة .. ازاء ذلك الموقف المتشدد لم يجد نميرى بدا من إحالة موضوع التقسيم الى أجهزة الاتحاد الاشتراكى فى الجنوب لمناقشته .. على ان يدخل الموضوع فى اطار تعديل قانون الجكم الذاتى الاقليمى بواسطة الاجهزة الدستورية ذات السلطة فى اتخاذ القرارات .. وهكذا أُرجأ الموضوع للمرة الثانية .
الا ان الامر لم يرق بتلك الصورة لنميرى ومؤيديه من دعاة التقسيم حيث دار حول الموضوع بطريقة اخرى .. خلال اسبوعين فقط من اسدال الستار على الموضوع بالمكتب السياسى .. رجع نميرى ليقوم بحل مجلس الشعب القومى وحل مجلش الشعب الاقليمى وحل المجلس التنفيذى العالى

للاقليم الجنوبى ..(كما اقترح عليه كلمنت امبورو) مجلس الشعب القومى لانه ضم اولئك الاعضاء الذين كتبوا كتيب التضامن .. مجلس الشعب الاقليمى لانه تحت رئاسة انجلو بيدا المعارض للتقسيم . والمجلس التنفيذى العالى برئاسة السيد ابيل الير الذى يصر على اتباع مسألة التقسيم فى قنواتها الدستورية والقانونية.
ثم ماذا .. تعيين اللواء قسم الله عبدالله رصاص رئيسا لمجلس تنفيذى انتقالى .. ووزراء اقليميون معه ومحافظين للمديريات.
حضر الرئيس الجديد للمجلس ومعه السيد ابيل الير .. وقابلت اللواء رصاص واجتمعت به نفس يوم وصوله لمدة طويله . حاولت اعرف منه ما يحمل من توجيهات وما ينوى القيام به ، ولدهشتى وجدت الرجل يريدنى ان احدثه عن كل صغيرة وكبيرة .. وللحقيقة وجدت الرجل غير ملم عن اسباب التغيير.. او ما كان يجرى بصفة عامة فى الاقليم الجنوبى .. او هكذا فهمت منه . وتأكد لى صدق ما ذهبت اليه من ان الرجل لم يكن ملما باحوال الاقليم رغم انتمائه اليه .. كان بعيدا عما يجرى فيه .. وفى قابل الايام حين كان الرجل يريدنى ان اكون معه واشرح له ما يخفى عليه او يصعب .. أوشى له البعض موقفى من التقسيم عله يبتعد عنى .. فقد اصر الرجل ان اكون بجانبه طول الوقت ، و صرح لى ان بعضهم افهمه ان لى موقف شخصى ، فقلت له ان هذا ليس موقفا ذاتيا انما موقف ناتج عن فهمى العميق لاهل الاقليم ورغبة غالبيته ..وماهى مصلحتى ؟ اوضحت له كل شىء مرة اخرى ..
استوعب اللواء رصاص كل ما جاء منى مع ما وجده من تصرفات اهل الاقليم حيث كان قرار تعيينه مفاجأة للجميع ، بل ان اذاعة اسمه جعلت الكثيرين الذين لا يعرفونه يعتقدون انه من الشمال ، رغم ان السيد ابيل الير اوضح فى اذاعة جوبا ان ينمحوا الحكومة الانتقالية الفرصة لاداء مهمتها .. لم يتطرق السيد ابيل الير عن شخصية الرجل وانتمائه للجنوب ، لكنه قال ان الرجل جاء ليخدم اهل الاقليم ، رغم ذلك خرجت مظاهرات التلاميذ تندد بتعيين رصاص .

صرح لى اللواء رصاص فى اكثر من مناسبة وهو يرى ويلمس رغبة اهل الاقليم حين زار مدن الاقليم ، صرح بان مسألة التقسيم هذه ليست رغبة اهل الاقليم ، الا انها موجودة بالاستوائية .. وصرح مرة اخرى انه يخشى ان يفشل فى مهمته لانه غير مقتنع بينما كانت الايام والاشهر تمر كان اللواء رصاص يحاول ان يستمع الى الجميع .. وهنا اشار له البعض بان يتخلى عن صحبتى والاستماع اليّ ، ذهب الى الخرطوم فى مامورية عاد بعدها ليقول لى ان اللواء عمر رئيس الجهاز قد قرر نقلى الى الخرطوم .. سألته عن السبب فلم يجب بل قال لى انه سأل اللواء عمر فلم يخبره عن السبب .. جاءتنى اشارة لاسلكية تخطرنى بالنقل وحددت تاريخ النقل ومن سيخلفنى ومتى سيحضر للاستلام .. لم يكن الامر غريبا عليّ .. واعرف ان تقاريرى تسير فى اتجاه غير مرضى لرأى اللواء عمر .. لكن ماذا افعل .. هل اكذب .. وكيف اعمل وانا اشعر بان رغبة معظم اهل الاقليم تقف ضد التقسيم .. بل اشعر بان اتفاقية اديس ابابا نفسها تتعرض للنقض بل للضياع .. واتذكر ان حالة الاقتتال تلك ستعود.

فاحزن .. اى حزن .. (وهذا مثال آخر لمسألة الاخذ بتقارير الامن او الاستنارة بها كجهاز استشارى .)

لقد تم نقلى بالفعل من جوبا ، وبسرعة ادهشت الجميع ، رغم طلب اللواء رصاص من اللواء عمر رئيس الجهاز ابقائى بجانبه لمساعدته ، رفض اللواء عمر رفضا قاطعا ، عبر لى اللواء رصاص ان اللواء عمر يصر على نقلك بصورة وكأنك ارتكبت جرماً .. مما حزى فى نفسى وجعلنى اتساءل حتى وجدت الاجابه عند السيده ميرى بسيونى ، كانت وقتها وزيرة دوله للشئون الداخلية ، مع السيد احمد عبد الرحمن محمد وزير الشئون الداخلية وقتها .. ذهبت لزياتها فى مكتبها بحكم معرفتى بها بعد ان تم نقلى الى الخرطوم فجلسنا نتجاذب الحديث عن موضوع التقسيم ، وتطرقت بصوره عفويه الى نقلى السريع من جوبا الى الخرطوم حيث قالت :..

السيده ميرى ... **هل تعرف يا سيد محمد لماذا نقلت من الجنوب ..؟**

قلت ... **اعرف .**

قالت .. اقصد كيف تم النقل .. لانك ايدت ناس التضامن .. وهذا لم يرض ناس التقسيم .

قلت .. انا وقفت مع الرأى العام ..

قالت ... لكن هذا لم يرض اللواء عمر رئيسك .. كلنا نعرف انه عاوز يقسم الجنوب مع لاقو .

قلت .. وبعدين .

قالت ... جاء السيد اوليفر البينو للفريق لاقو وقال ليه تعرف اذا كان العميد محمد عبد العزيز ده ما نقلوه من الجنوب .. ابدا تقسيم ماحيحصل .. ورد عليه لاقو قائلا ..لكن محمد ده عنده حسابات ومواقف انا شخصيا اقدرها له .. وقف معى فى وقت تخلى فيه الجميع عنى . لكن اذا كنت مصرا ساحدث اللواء عمر بانك عاوز تقابله .. ويحدد لك وقت يمكنك ان تحدثه فى هذا الموضوع .. اما انا فبعتقد ان العميد محمد رغم وقوفه هذا فليقرر بخصوصه رئيسه .

قلت .. وهل قابل السيد اوليفر اللواء عمر ..؟

قالت .. نعم وحدثه عن ضرورة نقلك .

قلت ... انا طبعا لا يهمنى ان انقل او ابقى بجوبا خاصه وانى قضيت مده طويله زى ما انت عارفه .. لكن المسأله طبعا مسألة الوطن والتقسيم ده حيجر مشاكل للبلد كلها .

أمنت السيدة ميرى بسيونى على حديثى .

علمت ان البرقية التى ارسلت لى كانت مباشرة بعد خروج السيد اوليفر البينو من مكتب اللواء عمر .

فى ديسمبر ١٩٨١ انتظمت البلاد موجة من التظاهرات ضد السلطة فى الجنوب والشمال ، وكانت فى الجنوب خاصة ضد مبدا التقسيم ، شعر معه الرئيس نميرى بان الحال اصبح خطرا .. وعليه ان يتحرك لاحتواء الحركة قبل استفحالها .. وهكذا كانت اجتماعاته التى شملت اعادة النظر فى هيكل الاتحاد الاشتراكى وعضويته ، إدخال اصلاحات اقتصادية عاجلة ، كانت المواجهة مع النائب الاول لرئيس الجمهورية ، الفريق عبد الماجد حامد خليل مع اعضاء التنظيم والتى استفحلت وكان يستمع لها نميرى من خلال التلفزة المغلقة

التى ادت الى ان يصف بعض المتحدثين بانهم جبناء لانهم لم يواجهوه شخصيا بنقدهم هذا بما فيهم رئيس الاجتماع .. فاعتبر النائب الاول الفريق عبد الماجد انه المقصود بالجبن .. سنتعرض لهذا فى مكان اخر من الكتاب .. وفى هذا الصدد نعود لنقول ان انتخابات الجمعية الاقليمية وحكومة الاقليم فى بداية عام ١٩٨٢ شهدت صراعا عنيفا بين مؤيدى التقسيم ومعارضيه .. واتسمت الصراعات بالسخط على الحكومة المركزية فى شئون الاقليم .. وكانت بحق هى القشه التى قصمت ظهر البعير.

سنتعرض بمشيئة الرحمن فى كتابنا الثانى بالتفصيل لهذه المرحله من التقسيم .. وكيف كان تدخل اللواء صديق البنا الاثر المباشر لتفاقم الاحداث ، ومن ثم لسياسته مع حامية بور شرارة التمرد الثانى الذى ما زال مشتعلاً حتى اليوم ، سنتعرض لكل ذلك بالتفصيل ليعرف ابناء شعبنا الحقائق المجردة دون تحيز او محاباه خاصة من اشخاص عاصروا تلك الحقبة التاريخية الهامة من تاريخ الجنوب.

اذكر فى مسألة الاخذ بتقارير الأمن بواسطة السلطة العليا .. ان طلب منى اللواء كمال حسن احمد كتابة تقرير عن السيد اوليفر البينو لمسألة عاجلة ولم يوضح لى الغرض .. لكن قال ان السيد رئيس الجمهورية ينتظر هذا التقرير ، كتبت التقرير فى لحظات وسلمته له فورا وكانت الساعة تشير الى الحادية عشر قبل منتصف النهار .. فانصرفت الى تصريف اعمالى الاخرى .. عند الساعة الثالثة بعد الظهر وانا فى طريق عودتى الى منزلى سمعت من جهاز راديو العربة تعيين السيد أوليفر البينو وزيراً .. لم يكن تقريرى مرضيا عن اداء السيد اوليفر البينو فاستغربت لهذا الذى يحدث .. وكأنما اخذ العكس تماما .. هكذا .. ومن عجب انه بعد الانتفاضه وابان مراجعة مذكرات وتقارير الجهاز ذكر لى عضو بلجنة التصفية موضوع التقرير وماذا حدث .. قلت له ما حدث هو ما سجله بصورة التقرير اللواء كمال حسن احمد نائب رئيس الجهاز بان السيد البينو قد تعين وزيرا فى نفس اليوم الذى كتبنا عنه التقرير ..

هذا انموذجاً لعدم أخذ السلطة السياسية بتقارير الأمن حين

طلبت تقريراً عن السيد أوليفر ألبينو .. قدم ذلك التقرير بمنتهى الأمانه والمسئولية ..التقرير لم يكن مرضياً أو مشجعاً لتوكل اليه أى مهام أومسئولية ، رغم ذلك أتخذت السلطه السياسيه قرارها بتعيينه وزيراً . فلنا أن نتساءل لماذا طلبت السلطة السياسية أصلاً تقريراً عنه اذا كانت تريد أن تسند اليه مسئولية ..؟ وإن كان قرارها عنه مسبقاً فلماذا طلبت ذلك التقرير .. ؟ وإن كانت لديها معلوماتها الخاصه عنه وتريد أن تستوثق هل يعنى ذلك أن التقرير أيد ما لديها من معلومات أم جاء مختلفاً .. وكيف يتم التعيين فى نفس اليوم وبتلك السرعة .؟ ان الأيام قد أثبتت صدق تقاريرنا إذ قبض على السيد أوليفر ألبينو يحاول تهريب حبوب مخدرة ممنوعة ضمن أمتعته الشخصية وهو وزير إنتفاضة .

اللواء عمر يدخل حلبة الصراع

الرجل ، فمن المهم ان يعرف القارىء الكريم ، وجمهور شعبنا الكريم خلفية هذا العمر ونشأته .. الخ ، حتى نسهل عليه فهم بعض المواقف التى سنتعرض لها ، والتى تضفى طابعا خاصا على شخصيته .

عمر محمد الطيب الجعلى .. من اهالى شمال السودان ، من والد كان عاملا بواد مدنى .. تربى عمر تربية دينية فى خلاوى كدباس بالشمالية .. تلقى تعليمه بالخرطوم بحرى .. كان طالبا مجتهدا مجدا ، عرف بالذكاء الشديد ، كان مغرما بالعسكرية .. فتقدم للالتحاق بالكلية الحربية .

دخل الكلية الحربية ضمن الدفعة السابعة ١٩٥٥ ، الدفعة التى عرفت بترابطها وتنافسها الشديد . كانت الدفعة تضم عبد الماجد حامد خليل ، عمر محمد الطيب ، محمد نور سعد

يوسف احمد يوسف ، عبد الرحمن سوار الدهب .
كان التنافس شديدا .. كان اول الدفعة هو عبد الماجد وثانيها عمر وثالثها محمد نور سعد .. كان عمر يمثل دوما الجناح الوسط كاغلبية شعب السودان فلا يحب التطرف ، لذا كانت علاقته بكل ابناء دفعته جيدة .. من ملكاته قدرته على الاستيعاب ومقدرته على المخاطبة التى مكنته من ان يكون احد المعلمين البارزين فى القوات المسلحة ، وشكل مع عبد الماجد ثنائيا فى التنافس حول مهمة تدريس العلوم العسكرية .. ولذا عندما نتحدث عن اللواء عمر فلابد ان نربط ذلك بالفريق عبد الماجد لوجود المنافسة بينهما منذ الكليه الحربية واثناء الخدمة العسكرية ، ربطت بين الرجلين ، رابطة قوية حتى منح كل منهما اسمه لابن الآخر .
عمل اللواء عمر بعد تخرجه من الكلية العسكرية بتفوق فى عدة وحدات للقوات المسلحة ، كما عمل كسكرتير خاص لرئيس الوزراء الاسبق المرحوم الاميرلاى عبد الله بك خليل ، الذى قربه من حزب الامه .. ورغم ذلك امتدت الروابط الى بيت الميرغنى بحكم انه درس مع السيد محمد عثمان الميرغنى .. والاحزاب السياسية .. كان حريصا ان يحتفظ بعلاقات طيبة مع الجميع .. كما قلنا فان التنافس بين الرجلين .. عبد الماجد وعمر كان مستمرا فلذا كان حرص عمر ان يلج ميدان السياسة تاركا المجال العسكرى لعبد الماجد حيث كان عبد الماجد ينأى عن السياسة وميدانها .. رغم تعاطيها ككل السودانيين .
عندما جاءت مايو الى السلطة ، ابعدت كل ضابط ذو ميول سياسية لكن لان عمر لم يكن من ذلك النوع حيث كان ذو ميول دينية ، وكان مشهوداً له بالكفاءة فلم تمتد اليه يد التطهير ، الا انه ابعد عن العاصمة بتعيينه قائدا ثانى للفرقة الاولى بجوبا ..
لم ينس اللواء عمر لاولئك الاعضاء من مجلس قيادة الثورة مسألة ابعاده عن الخرطوم ابدا .. حتى انقلاب ١٩ يوليو ١٩٧١ بقيادة هاشم العطا حيث بدأت المرحلة الجديدة فى تاريخ مايو بضرب الجناح اليسارى فى النظام والاستعانة بالكادر المعادى للشيوعيه او الكادر المعتدل، رغم ان اللواء

عمر كان يعتبر قبل ذلك الوقت من الكوادر الرجعية ، حتى والى فترة لاحقة بعد ذلك .
الفترة التى قضاها اللواء عمر بالقيادة الجنوبية ، كانت محكا حقيقيا لاختباره كقائد عسكرى .. خاصه بعد نجاحه فى عملية "ونجى بول" التى فاجأ فيها قوات الانيانيا فى رئاسة تجمعهم مسددا ضربة قوية لهم جعلت الانظار تتجه اليه فى اعجاب ، وهكذا دخل اللواء عمر فى دائرة الضوء بعمل عسكرى متفوق .. وهنا شعر اللواء عمر ان نجمه بدأ يصعد خاصة وان الظروف مواتية الان بعد ابعاد الجناح اليسارى من السلطة والرجل كان بين الابعاد من الخدمة او النقل الى الجنوب ، فها هو يحقق نجاحا عسكريا ، فاق التصور وقلب الحسابات .. اللواء عمر يجيد حساب الاستراتيجيات .. وهذه لعبته المفضلة .. بل هى موضع نبوغه .. يدرس المواقف جيدا .. يدرس الخلفيات .. يضع الحسابات الدقيقة لكل الاحتمالات فيلعب لعبته التى غالبا ما تصيب .. وتنجح .
علمنا من احد المقربين الى اللواء عمر انه كان فى تنظيم سرى يقوده صديقه ورئيسه عبد الماجد حامد خليل .. ومن عجب ان نفس هذا التنظيم قد قام بتجنيدى(١) بواسطة صديقى عباس سر الختم .. وكان رئيس خليتنا هو الطاهر محمد عثمان .. وقد طلب منى ان اقوم بتجنيد الزملاء الا اننى لم استطع ذلك . نقل اللواء عمر محمد الطيب الى الخرطوم ليقود سلاح المدرعات بعد انقلاب هاشم العطا شعر بانه اصبح موثوقا به .. واصبح مرضيا عنه ، فبعد عن اى نشاط سياسى يضربه إذ ما زال تحت المجهر .. رغم ان المعارضه كانت تأمل فيه كثيرا .. بل كان املها الاول فى قيادة انقلاب على نميرى لانهاء نظام مايو الذى ما زال يتمسك بالاشتراكية .
بعد تحرك العميد محمد نور سعد فى حركته بتاريخ ٢ يوليو ١٩٧٦ وفشل تلك الحركة .. كان معروفا ان "جيلانى" هو الرجل الثانى بالحركة .. ولم تستطع اجهزة الأمن ان تكتشف من هو "جيلانى" هذا .. لذا لم يعرف اى شخص من يكون هذا الجيلانى ، الا اننا نؤكد ان جيلانى هذا هو اللواء عمر محمد الطيب ، و مما يزيد تأكيدنا هو ان محمد نور سعد قبل اعدامه طلب أن يقابل عمر محمد الطيب الذى لم يكن موجوداً

وقتها بالسودان ، بل كان بالقاهرة فأُستجيب لمقابلته حيث ابرقت القيادة العامة اللواء عمر بالحضور فوراً فأوصاه محمد نور سعد برعاية والدته وأُسرته .. وثانيا لان اللواء عمر محمد الطيب ينتمى الى الطريقة القادرية ، وزعيمها الشيخ عبد القادر الجيلانى .. فاختياره للاسم نابعا من الانتماء .. ثالثا.. لقد رصدت الاستخبارات العسكرية اسم اللواء عمر الطيب فى تقارير كثيرة عن العناصر المعادية لنظام مايو ..
قد وضح ان السيد الصادق المهدى كان يولى اهتماما كبيرا للواء عمر الطيب .. بل كان يرى فيه امل الخلاص من نميرى ومايو .. وكانت المعارضة وقتها ترى ان الجيش كله ليس فيه الا عمر محمد الطيب ليخلصها من النظام المايوى .. ومن ثم كانت تنظر الى عبد الماجد بعد عمر .
جاء عام ١٩٧٦ وعمر الطيب قائدا لسلاح المدرعات اقوى الاسلحه ودرع مايو الواقى وكان قد بدأ يعرف اللواء عمركيف يشق طريقه الى قلب الرئيس نميرى ، واحس وقتها ان الرئيس سيعهد اليه بموقع سياسى كبير ، وفى حسابات عمر ، ان العمل من خلال الموقع او المنصب افضل من فكرة المغامرة ، فهو رجل لا يحب المغامرة اطلاقا. اللواء عمر كان قد وصل لرتبة اللواء ، وفى احدى ليالى شتاء عام ١٩٧٧ ، بدأ همس يدور فى اروقة الجهاز بان رئيس الجهاز الرائد على عبد الرحمن النميرى صرح بانه سيترك الجهاز، وسيخلفه اللواء عمر محمد الطيب ، وبدأ اعضاء الجهاز يتناولون الخبر بكثير من التحفظ . فالرجل لم يعمل فى مجال العمل الاستخبارى بل ليس معروفا عنه انه سياسى ، والمعروف عنه انه. رجل عمليات استراتيجيه .. والمعروف عنه نزعته الصوفيه ، وهذه ليست من السمات التى تقود الرجل الى هذا الموقع ، ورغم كل هذا وكل ما دار حوله من حديث ، دخل اللواء عمر محمد الطيب صباح يوم ٧ ابريل ١٩٧٧ الى مكاتب جهاز الأمن القومى بعربه بيجو ٥٠٣ .. ومن غرائب الصدف ان يغادر اللواء عمر نفس المبنى فى صباح ٦ ابريل ١٩٨٥ ولآخر مرة بعربه بيجو ٥٠٥.
دخل اللواء عمر الطيب الى مبانى الجهاز وتوجه الى مكتب رئيس الجهاز .. والهمس ما زال يدور ..الرجل قال ان المكتب

صغير .. عاوز ليه مكتب كبير .. المدنيين والعسكريين يتساءلون .. كيف وهذا المكتب لم يقل عنه اى من الاربعه رؤساء السابقين بانه صغير .. ما هى طبيعة هذا الرجل .؟ كيف يفكر .؟ كلها علامات استفهام يبدو جليا ان الرجل كان قد فكر فى كيفية قيادة الجهاز .. وفكر فى اشياء كثيرة .. المكتب .. العربة .. اشياء كثيرة.

دخل " **الدرويش** " كما كانوا يقولون عنه وفى جعبته عبقريته التى استطاع ان ينظم بها الجهاز تنظيما عسكريا ، جعل الجميع يعملون كخلية النحل لتنفيذ تنظيمه الذى رفض إلا ان يحمل كل بصماته وفكره.

قال اللواء عمر ان الجهاز يقدم رسالة سامية للبلاد وانه لم يكن مدرك لهذا .. وكان يقول للضباط فى اجتماعه بهم انه قد تعلم الكثير منهم .. **بس انا ما درويش** .. لان اللواء عمر كان يحظى بتأييد رئيس الجمهورية وموافقته على اجراء تغيير جزرى فى تكوين الجهاز فقد شعرنا ان طلبات كثيره قد استجاب لها رئيس الجمهورية منها تعديل فئة علاوة الأمن وغيرها .. وهكذا بدأ التغيير وكان اول سماته مخاطبة الاعضاء برتبهم العسكرية بدل كلمة " سيد " التى كانت لكل الاعضاء . . من الصغير الى الكبير .. منحت بطاقات الهوية باسم الجهاز بدل بطاقة الموظف برئاسة الجمهوريه واختلفت الاراء وتباينت .. البعض يرى فيها اهتزاز عامل السرية .. البعض يرى انها تقدير للعضو ووضعه.

بدأت الاجتماعات بالضباط وبقيادات الافرع والادارة للمراجعة والتصحيح .. فتح مكتبه وقلبه للجميع واستمع للجميع .. استمع لمن اراد ان يستبدل شيئا بشىء .. كان فى اجتماعاته مع الضباط ومديرى الادارات والافرع .. يستمع اليهم فى كل شىء .. ما يعجبهم ومالا يعجبهم .. وكان خلال هذه الاسئلة وهذه المناقشات .. يقيم كل واحد منهم .. مع الرجوع الى ملف خدمته ومع انتهاء تلك المناقشات سمعنا ان دفعة جديدة من الضباط من القيادة العامه للقوات المسلحة سيلحقون بالجهاز .. كيف ..؟ لان العاده كانت ان يطلب الجهاز عددا معينا .. ثم توافق القوات المسلحة لئلا يكون العدد كبير .. وعلى حساب نقص القوة فيها .. ثم الا يتم اختيار كل

العناصر الجيدة .. عملية توازن .. كل يريد ان يحتفظ بعدد من الضباط المبرزين فى القوات المسلحة والأمن .. لكن هذه المرة سمعنا ان الرئيس وافق له على عدد من الضباط ودون الطريقه المتبعه سابقا باختيارهم ومرورهم بعدة قنوات .. اذاً تم الاختيار بموافقة الرئيس على اناس يعرفهم اللواء عمر معرفه شخصية لصيقة ويعنى انه المسئول عن ادائهم .. وكانت هذه اول مرة يسلك فيها هذا الطريق لاختيار ضباط من القوات المسلحة للأمن بهذه الطريقة .. لقد قوبلت هذه الخطوه بامتعاض شديد من اعضاء الجهاز وباندهاش اشد من ضباط القوات المسلحة .. لانها كانت تعلم ان اختيار الضباط يتم بتمحيص شديد وبعد موافقة الاستخبارات العسكرية.

خلاصة الرأى ان اختيار رئيس الجهاز لهؤلاء الضباط وبتلك الطريقة تعنى ان رئيس الجهاز فى اختياره هذا يعنى تطبيق سياسة معينه ولمرحلة معينة فكان له ان يختار لها من يرى انهم الانسب لها من زاويته الشخصية .. فكانت هذه اول خطوة فى تغيير مسار الجهاز ولحقت بهذا كيفية تجنيد الافراد ومن اى نوع من فئات المجتمع.

وجاء اليوم الذى رؤى فيه ان يخرج الامر الجمهورى باحالة بعض الضباط الى التقاعد .. كان كشف المعاشات اشبه بمسرحيه أذ ان اللواء عمر محمد الطيب قد غادر الى لندن .. وقال للواء صالح بشير(نائبه) وهو يودعه بالمطار .. **خلو بالكم من البلد** .. واخطره ان السيد رئيس الجمهورية سيتولى رئاسة جهاز الأمن القومى فى غيابه.

فى نهاية يوم العمل وكان مصادفا الخميس فوجىء افراد الجهاز بالسيد رئيس الجمهورية يدخل مبانى الجهاز ويجلس بمكتب رئيس الجهاز ونادى على نائب رئيس الجهاز المرحوم اللواء صالح بشير ومدير الادارة المرحوم عبد المنعم برى .. بدأ الرئيس يعدد مآثر اللواء صالح بشير واخلاصه وتفانيه فى خدمة الجهاز بخبرته الطويلة فى مجال الأمن والتى امتدت الى ثمانية وعشرين عاما ثم اخطره انه قد أُحيل الى المعاش لبلوغه سنا كبيرة .. ثم اخطر عبد المنعم برى بان هنالك ضباطا آخرين قد احيلوا على المعاش وسلمه كشف احاله على المعاش ممهورا بتوقيع رئيس الجمهورية " امر جمهورى

كان عدد المحالين الى المعاش فى ذلك الكشف ٥ ضباط فقط .عندما انصرف رئيس الجمهورية كانت الساعة الثالثة بعد الظهر .. وكان الضباط والرتب الاخرى يتركون مواقع عملهم عادة فىالثانية بعد الظهر ... وبما ان اليوم كان خميس والجمعه هى العطلة .. قيّم مدير الاداره الامر وقرر ان يخطر الضباط المحالين على المعاش صباح السبت .. وصل مدير الادارة الى مكتبه فى السادسه والربع صباحا .. فجأة رن جرس التلفون فى مكتبه.... وكان التلفون السرى .

آلو ..

نميرى .. وين برى .

نعم سيادتك .. انا برى .

يا برى .. كلمت الضباط المحالين على المعاش .

ابدأ سيادتك .

ابدأ ..؟ كيف ... ده أمر جمهورى .

سيادتك انا استلمت الامر الجمهورى يوم الخميس بعد ساعات العمل والجمعه عطله .. ودى إحاله للمعاش .. يعنى انا لازم انادى الضباط واتكلم معاهم .. وبصفتى مسئول عن الاداره لازم اوصل ليهم الخبر بطريقه ما تؤثر عليهم .. ثم ان هناك اجراءات لابد من اتخاذها .

ده كلام فارغ .. انا بنزل وزراء المعاش .. بكلمهم فى منتصف الليل .. انت ذاتك تروح المعاش .

حاضر سيادتك .

مين بعدك فى الاقدميه عشان يستلم منك ..؟

مش عارف .. اسأل انت براك .

ويضع برى السماعه بعنف .

لم يكن السبب مقنعا ولابد ان وراء الاكمة ما وراءها .. المرحوم عبد المنعم برى كان ضابطا بالجيش أُشتهر بالشجاعة .. وكان معروفا عنه انه حاسما وصعبا .. لكنه كان عادلا بالرغم من انه كان يستجيب للاستفزاز احيانا .. كان هناك صراع الرتب والاقدميات .. والحانقون عليه بسبب ضعف ادائهم ومعاملته القاسية .. وقد شكلت هذه المجموعة ضغطا شديدا على احالة برى على المعاش ويبدو ان اللواء عمر قد

وجد ان الرجل لا غبار عليه لكنه قد يشكل له عقبة فى تنفيذ سياسته أذ انه لا يلتقى معه فى بعض الافكار ، لقد مهد عمر لاحالة برى على المعاش وذلك بنقل العقيد ابراهيم جلك من الجيش وتعينه نائبا لعبد المنعم برى .. الا ان عمر لم يجد سبباً مناسباً لاحالة برى على المعاش ، وربما اسر الى الرئيس بذلك الا ان الرئيس وجدها فرصة لاحالة برى على المعاش و الرئيس نفسه كان يعرف قدرات عبد المنعم برى .. وانه لا غبار عليه بعدما جرت احالة برى على المعاش بتلك الصورة .. بدأت وساطات .. وبدأ بعض المقربين من الرئيس محاولة التوسط لدى الرئيس .. لكن الرئيس اصر على رأيه .. ويقول بعض المقربين من الرئيس نميرى وقتها انه قال لهم ..

انا كنت خاتت لى برى حاجه احسن من كده .. ومن الواضح ان الرئيس .. اذا صح هذا الكلام قد احال برى للمعاش استجابة لطلب اللواء عمراً .. كان يريد تعينه فى وظيفة اخرى .. لكن عبد المنعم برى والذى لم يكن يهاب حتى رئيس الجمهوريه .. رد .. ردا قويا على الرئيس بقوله له ..

.. **مش عارف .. اسأل انت براك .**

وربما كان هذا هو السبب الذى ادى الى ان يغير الرئيس رأيه ويرفض اى وساطة ..

المهم فى الامر ان اللواء عمر كان بلندن عندما وصله خبر إحالة عبد المنعم على المعاش .. وقد ابدى اللواء عمر انزعاجه الشديد من الامر وعبر عن ذلك قبل وصوله الخرطوم .. ثم عاد الى الخرطوم قبل موعد عودته .

ويعلل بعض افراد الجهاز عودته السريعة بانها ليست لمقابلة الرئيس واستجلاء الامر انما كانت لانه لم يكن يتوقع ان تتم احالة عبد المنعم برى للمعاش بهذه السرعة .. انما حضر لانه كان يريد ترتيب الامور بعدما اصبح كرسى الادارة فى يد من اختاره وهو ابراهيم احمد جلك .. عندما حضر اللواء عمر عبر عن انزعاجه لهذا الامر وقابل برى وطيب خاطره .

وبدأ عهد جديد فى تنظيم الجهاز .. كان التنظيم الجديد قريباً جداً من التنظيمات العسكرية حتى طريقة اعطاء التعليمات اصبحت أشبه بالأوامر العسكريه .. صار الناس يسمون برتبهم على عكس ما كان ساريا .. شرع فى تجنيد

المدنيين بالجهاز وتدريبهم فرضت التمامات او مراجعة سجل الحضور والغياب فى الصباح الباكر .. نظمت المكاتب والادارات حسب النظام العسكرى .. كان الضباط يعلقون على ذلك .. هل هذا ليتناسب مع عقلية اللواء عمر العسكرية .. ام ان ذلك هو التنظيم الامثل ..؟ على كل .. ان اخطر ما حدث وساهم فى تدمير هذا الجهاز مستقبلا هو التراخى فى تجنيد افراد الجهاز دون اجراء التحريات الدقيقة .. ثم ادخال الناحية الاعلامية فى اداء الجهاز .. فقد دخلت الاجهزه الاعلامية بالمقال المشهور .. اللواء عمر محمد الطيب رئيس جهاز الأمن القومى يفتح قلبه لجريدة الصحافة وكان المقال مقبولا لتغطية وشرح بعض ما هو ملتبس وغامض على المواطن السودانى .. لكن ان يستمر الامر حتى يصل الى نشر انجازات الجهاز .. وهو الجهة التى تقوم بالعمل السرى .. نشرها كان لزوم رفع الدرجات السياسية .. وبالرغم من ان القراء قابلوا المقال بترحيب شديد أذ وضح ما كان غائبا عليهم وما كانت تقوم به اجهزة الأمن .. الا ان الامر كان خطاءاً أمنيا كبيراً .. اما فيما يختص بالخلل الذى حدث فى تجنيد الافراد فقد كان هو الآخر خللا قاتلا .. فقد بدأ الخلل باختيار بعض ضباط الجيش ممن كان رئيس الجهاز لديه الرغبة فى ضمهم الى الجهاز .. ثم انتقل الخلل الى اختيار بعض ضباط البوليس والمدنيين .. كان السبب دائما لدى رئيس الجهاز لانهم من ابناء اسر معروفة لديه او من " حيران " بعض رجال الدين او ممن رشحوا بواسطة رجال المعارضة ممن انضموا الى المصالحة الوطنية، ولربما كان بعض الحادبين على مصلحة الجهاز من الضباط الكبار ينجحون فى ان يبطلوا تجنيد ابناء الموصى عليهم من قبل سياسيى المصالحة .. الا ان تجنيد الآخرين كان يتم بلا مشورة . وفجأة اصبح الجهاز محط انظار الجميع للعمل به . كان هذا الانفتاح جديرا بان يرفع من شعبية اللواء عمر وسط المواطنيين والمسئولين الذين يدركون ان هذا الانفتاح له مساوئه .. فكل من ينجح فى تجنيد قريب له بالجهاز .. او صديق .. او ابن يشعر بالسعادة .. اولا لانه تحصل على عنصر أمنى فى محيطه .. ثانيا لانه قدم له راتبا مجزيا وميزات اخرى .. ثالثا ..

لانه كفى نفسه مهمة البحث عن تأشيرة للاغتراب خارج السودان . كان اللواء عمر ينظم الجهاز بالطريقة التى تروق له بغض النظر عن رأى المحترفين بالجهاز لانه كان دائما يجد من يؤيده .

منذ الوهلة الاولى اتسمت بعض قرارات اللواء عمر بانها جانبها التوفيق .. ولا شك ان بعض القرارات كانت ممتازة .. فالعلاقات الممتازه التى اسسها اللواء عمر مع الاجهزه الأمنيه فى الخارج او التى توسع فيها لانها اصلا كانت موجودة مكنت الجهاز من الحصول على إمكانيات اوسع من الناحية الفنية والتدريبية .. كما وفرت للجهاز وسائل اتصال وانتقال مريحة . الا ان هذه الصلات والعلاقات كانت دائما محل شك من الجهات المعارضة والمؤيدة لهذا الانفتاح ، وعموما فان الصلات باجهزة المخابرات العربية لم تكن تخرج عن نطاق التعاون المشترك فى القضايا العربية والتنسيق الأمنى فيما يخص الدولتين .. بينما كانت العلاقات بالدول الاخرى ترتبط بالتدريب والمعونات ... وهذه المساعدة تاخذ احيانا الشكل الأمنى المرتبط بسياسة الدول الاخرى .. كان ذلك يشمل تبادل المعلومات عن نشاط دول الجوار المعادية .

شعر اللواء عمر بانه ترك الجيش الى غير رجعة ، خاصة انه برتبة اللواء بالمعاش الان وبدرجة وزير .. ربما تساءل البعض لماذا لم يطلب اللواء عمر من الرئيس نميرى ان يسمح له بتولى رئاسة الجهاز بينما تكون خدمته مستمرة بالجيش .؟ ربما يكون اللواء عمر قد طلب .. وان الرئيس نميرى قد حدد لعمر ان هذه مسئولية اكبر وانه فى منصب قيادى اكبر .. ولربما تجنب عمر هذا الطلب ووضعه بطريقه دبلوماسية .. بانه يود ان يتشرف بهذه الخدمة لكنه لا يريد ان يترك الزى العسكرى مما جعل الرئيس يوافق على ان يكون اللواء عمر مرتديا الزى العسكرى .. وان احالة اللواء عمر الى المعاش قد تم ترتيبها بالقصر الجمهورى دون ان تصل الاحاله الى القيادة العامة .. بالتالى لم تكن هذه الاحاله معروفة كثيرا الا انه فى عام ١٩٨٢ عندما بدأ صراع مراكز القوى يشتد .. نقلت الاذاعة خبرا جاء فيه " صرح اللواء ا.ح معاش عمر محمد الطيب " عارض اللواء طريقة عرض الخبر..

واصر ان تكون تصريحاته دائما باسم اللواء ا . ح عمر محمد الطيب .
ان رئيس الجمهورية كانت له اسبابه الخاصة التى عين بها اللواء عمر محمد الطيب لرئاسة هذا الجهاز ..و هذه الاسباب تكمن فى الآتى :-

١ - ان رئيس الجمهورية لم يكن يثق فى التقارير الأمنية .. وربما كان هذا لخلل حدث من خلال الاجهزة الاستخبارية والأمنية فى المحاولات الانقلابية التى جرت منذ عام ١٩٦٩ وحتى عام ١٩٨٥ ، والتى فشل بعضها بينما كشف البعض القليل منها دون ان تكتمل حلقات التآمر .. وبالتالى لم تكن ادلتها بالقوة المفروضة لنيل الجزاء الرادع .

٢ - عند محاولة "الغزو المسلح" او ما يسمى بحركة ٢ يوليو ١٩٧٦ كانت المحاولة مفاجأة للرئيس نميرى للاسباب التى ذكرناها فى غير هذا الموضع .. وللشعب السودانى .. والذى لم يكن يتوقع انقلابا عسكريا من هذا النوع .. عموما فقد اصابت هذه المحاولة الشارع السودانى بنوع من الفزع المربوط بالاحباط .. لانها كانت من اوائل المحاولات لتغيير الحكم من خارج الجيش مما عرض المدنيين للموت والقصف .. كان الشارع يتساءل عن اجهزة الأمن .. واين هى من كل هذا ؟ ولك ان تتخيل ما صبه المواطن من جام غضبه تجاه اجهزة الأمن وعن عدم رضائه اصلا تجاهها ، لكن المواطن لم يكن ليدرى ان اجهزة الأمن كانت راصده تماما كل ما كان يجرى وان الامر عندما يرفع الى السلطات العليا يبدو لهم اشبه بمسرحية او معلومات مفبركه .. رصدت اجهزة الأمن معسكرات التدريب وادخلت بها بعض عناصرها التى ذهبت اليها عن طريق الجنينة .. مليط بمديرية دارفور الى الكفره بليبيا وايضا معسكرات التدريب باثيوبيا وتم تدريب هذه العناصر بتلك المعسكرات وحين عادت كانت كانت تحمل حصيلة وافرة من المعلومات .. كانت القنصليات ترصد .. ومكاتب الأمن بالحدود ترصد بل وتعتقل المشتبه فيهم . الا جهة واحدة لم تاخذ المعلومات مأخذ الجد تلك هى الاستخبارات العسكريه أذ كانت غارقه حتى اذنيها فى مشاكل القوات المسلحه فى محاولات التغيير والانقلابات وتأمين الجيش مما جعلها لا

تستمع لاجهزة الأمن .. بالرغم من ان هناك تنسيق كامل بين اجهزة الأمن الثلاث فى تبادل المعلومات .. وبالرغم من وجود لجنه عليا تسمى اللجنة الفنية مهمتها تناول المعلومات لتقرر بشأنها .. بتمحيصها وتقييمها الا ان الاستخبارات العسكرية لم تتناول الموضوع بالجدية المطلوبة . وقد يجد لها البعض العذر فى ذلك أذ ان فكرة تغيير السلطة بالقوة كانت تدور حول القوات المسلحة وان فكرة حدوث تغيير بواسطة قوات خارجية او مليشيات لم تكن وارده . اضف الى ذلك ان الخطة التى وضعت لغزو الخرطوم كانت واقعية ودقيقة الا انها نفذت بغير واقعية وفشلت نتيجة لمشاكل ادارية وتكتيكية ، المهم الان بالنسبه لنا ان نوضح الاسباب التى ادت برئيس الجمهورية الى تعين اللواء عمر .. لا زلنا نتحدث عن السبب الثانى ،

بعد فشل حركة ٢ يوليو ١٩٧٦ وكما اسلفنا فان الشارع كان يغلى ضد اجهزة الأمن .. فسكان الخرطوم يحبون تعاطى السياسة .. لكنهم لم يرتاحوا للقصف الذى هز احياءهم وهم نيام وقتل بعض المدنيين .

وبعد ان هدأت الاحوال كان هناك ضغط قوى من اجهزة الأمن خاصة جهازى الامن العام والامن القومى "الامن الداخلى والخارجى "على رئيس الجمهورية . اجتمع الرئيس بالاجهزه واخطرهم برضائه التام عما قاموا به . كان واضحا ان رئيس فرع الاستخبارات العسكرية قد اقتنع بخطأ تحليله منذ صباح الجمعة ٢ يوليو ١٩٧٦ لذلك فقد قاد الهجوم لتحرير القيادة العامة حتى تم تحريرها لكنه دفع حياته ثمنا لذلك .. عليه رحمة الله .

اما فى جهاز الأمن القومى فقد كان رئيسه الرائد على عبد الرحمن النميرى .. كان على مشهوداً له بالذكاء والاستقامة .. كان ينتمى الى اسرة انصارية "انصار الامام المهدى" الذين يشكلون حزب الامه وهو اكبر الاحزاب السياسية بالسودان .. لما رأى على النميرى العنف المتبادل بين الجانبين قرر ان يترك الجهاز لايمانه بان العنف لن يحل قضية .

٣ـ كان نميرى قد بدأ مشاورات سرية بين الحكومة والسيد الصادق المهدى بغرض الدخول فى مصالحة وطنية .. قاد هذه

المشاورات كوكبة من ابناء السودان الوطنيين كان واضحا فى مشاورات المصالحة ان عبأ التعامل بعنف مع المعارضة سوف يرمى به جهاز الأمن او الاجهزه الأمنية .. وبالتالى كان لابد من وجود شخص مقبول لدى الطرفين لتولى رئاسة الجهاز .. كان اللواء عمر هو النجم الساطع .

٤- قد يقول قائل ان هناك اخرين مؤهلين لقيادة الجهاز بنفس الشروط التى ذكرناها آنفا .. لكن وجود عمر وعبد الماجد حامد خليل فى الجيش معا قد يسبب انقلابا آخر مستقبلا خاصه ان هناك شكوك حول عمر وعلاقاته بالجهات المعارضة.. وقد يقول قائل آخر ان وجود عبد الماجد وعمر فى اخطر جهازين .. له خطورته المؤكدة .. لكن الرئيس نميرى قد حسب هذه الخطوه قبل اتخاذ قرار تعيين اللواء عمر بالجهاز .. فالمعروف عن عبد الماجد انه رجل اكاديمى وادارى من الدرجة الاولى .. الا انه لا يمارس السياسة ويحب التمسك بعسكريتة .. ووجوده فى قيادة الجيش ليست منها خطوره شخصية .. بينما اللواء عمر ان كان بالجيش منه خطورة .. لكن بالجهاز لا يستطيع ان يدبر انقلابا .. خاصة ان الرئيس نميرى نجح فى ان يعزل عمر عن الجيش .. بل ونجح فى ان يجعل الجيش " خاصة الضباط " لا يميلون للواء عمر .. ولهذا قصة .عرف نميرى حب اللواء عمر للسلطة ، وعدم حبه للمغامرة ، واجادته لايجاد مجموعة حوله ترعاه ويرعى مصالحها ..ثم انه يمكن ان يقبل باى منصب سياسى كبير كجهاز الامن القومى رغم عدم المامه بالعمل الاستخبارى بينما يعرف نميرى ان الفريق عبد الماجد لا يقبل ابداً ان يوكل اليه منصب سياسى فقط، وانه ليس فى عجلة من امره رغم انه يلتقى مع اللواء عمر فى استقطاب الضباط حوله يستغلهم ولا يرعى مصلحهم لكنه يقربهم منه واسلوب اختلافه مع اللواء عمر انه لايستغل الضباط للعمل لصالحه مثل اللواء عمر هذا فى رأينا مادعى نميرى لتعيين اللواء عمر لجهاز الامن القومى والفريق عبد الماجد للجيش ،مركزاً نظره عليه .

هذه هى الاسباب التى دفعت بالرئيس نميرى الى تعيين اللواء عمر رئيسا لجهاز الأمن القومى . إلا أن خطأ نميرى الكبير أن وضع المعلومة والرئاسه بيده ، وهذا ما جعل عمر يتنازل بها

للاحزاب بتلك الصورة المتفق عليها مع الجيش .
اللواء ا . ح عمر محمد الطيب اشتهر بانه ممن يجيدون التحدث وانه يستعين بكتابة النقاط التى يود التحدث عنها .. وبالتالى كان اكثر الرسل قبولا لدى الرئيس نميرى فى بعثات المصالحة الوطنية .. كما انه كان اكثر قبولا للمعارضة بحكم صلته القوية بهم .. عندما اعلنت المصالحه الوطنيه لم تكن هناك عقبه كبيره امام الحكومه الا عودة الشريف حسين الهندى والذى يقود معارضة الحزب الاتحادى الديمقراطى " حزب الشعب الديمقراطى والوطنى الاتحادى " واللذان كانا حزبا واحدا ثم انفصلا فى الخمسينات ثم اتحدا مرة اخرى فى الستينات .. كما كانت هناك بعض الحركات الصغيرة التى لم يكن لها وزن كبير الا ان عودتها كانت مهمة حتى تكتمل صورة المصالحة .. وهى حركة فيليب غبوش " اتحاد جبال النوبه " وحركة قوردون مورتات.

هل هناك ما يماثل حل جهاز أمن الدولة على مدى التاريخ المعاصر ..؟

كما اسلفنا فقد نشأت فكرة الأمن فى المجتمعات منذ القدم ، وظلت تتبلور وتتطور بتقدم الشعوب والحضارات والامكانات ، وظلت الحاجة للأمن موجودة بإستمرار ، حتى عندما تنعدم الخطورة على المجتمع ، فان عامل الاستقرار الوحيد هو ان تكون له اداة رصد ذات كفاءة عالية تمكنها من بلوغ غاياتها وتؤمن لها مورد عيشها وسبل حماية عقيدتها ، تمنعه من أى تعرض خارجى وتحميه داخلياً من تلك العناصر التى تشكل خطورة على بقائه .

قصة الهدهد مع سيدنا سليمان عليه السلام ، حين أتاه باخبار قوم بلقيس وعرشها ، كان سيدنا سليمان غاضباً على الهدهد لغيابه عن مجلسه ، لما أتى الهدهد سليمان بالمعلومات الاولية عن قوم يعبدون الشمس دون الله ، إستعان سليمان بمجلسه السياسى ، وبما له من قوة سخرها الله له للتأكد من الخبر لاخضاع مملكة سبأ لسلطانه واطاعة الله الواحد الاحد .
هكذا دوما حال الانسان مع أجهزة مخابراته ، لا يرضى عنها أولا ولا يستوعب ذلك فى البدء ، لكن سرعان ما يعود ، والعود أحمد . ونحن فى السودان ، كما اسلفنا فى مقدمة هذا الكتاب ، ان حساسيتنا تجاه أجهزة الأمن اعمق ، لاننا لا نريد أن نفهم ضرورة وجود أمن فاعل ، إما لظروف فرضت علينا هذا الشعور كتصرفات افراده تجاه التعامل الفردى ، إما لجهل تام بما تقدمه هذه الأجهزة .
إن الدول الكبرى تحمى إكتشافاتها وانجازاتها فى مختلف الميادين العلمية والتقنية من أن تنتقل الى دول أخرى بكل ما تستطيع وتوفر لتلك الجهه كل الامكانات التى تمكنهامن أداء ذلك المطلوب .
أن حل جهاز أمن الدولة حدث فريد فى عصرنا ، لم يسبق له مثيل رغم انه سبق أن أعلن إنقلاب المقدم حسن حسين حل جهاز الأمن القومى ، وسبق أن أعلن الرائد هاشم العطا حل جهاز الأمن القومى ، الا أن كلاهما لم يحل جهاز الأمن العام الاقدم والاكبر ، لاهمية الأمن فى مسيرة الدول ، رغم هاتان المرتان اللتان اعلن فيهما عن حل جهاز الأمن القومى ، كان ذلك لاسباب موضوعية يعرفها الجميع ، لم يكن الغرض أصلا الا يكون هناك أمن ، بل لاصلاح الاعوجاج وتصحيح الخطأ .
المعروف ان الحكام هم اكثر الفئات حساسية تجاه أجهزة أمنهم ، كقصة الهدهد مع سيدنا سليمان كما وردت فى القرآن الكريم ، فقد أستوعد سليمان الهدهد من غير ان يعرف عذره فى غيابه عن مجلسه ، الا انه قد اتاه بنبأ أكيد ، وقد قرأنا فى كتب التاريخ عن الجواسيس والعيون التى غدر بها الملوك بعد أن ادت مهامها لهم ، فكان جزاؤها جزاء سنمار .
وأجهزة الأمن بشكلها الحديث المنظم لم ترد فيه قط سابقة واحدة لحل او تصفية ، كما حدث لجهاز أمن الدولة عام ١٩٨٥

. أنها لخيانة عظمى دون ادنى شك ، ظل السودان وسيظل يدفع ثمنها غاليا ، وممن يحدث القرار؟ من مجلس يفترض فيه أنه عليم بدور أجهزة الأمن واهميتها ، مهما كانت الحجة ، رغبة الشعب ، والشعب كان في ثورة ،هل تستجيب لكل طلباته وان كانت خطأ ؟ لنفترض أن الشعب نادى لا حكومة مطلقا ، لا نريد حكومة ، هل كان المجلس العسكرى سيوافق ؟ ولنفترض أن الجماهير طالبت أنها لا تريد مجلسا فى مكان رأس الدولة ،هل كان المجلس العسكرى سيوافق ويلبى رغبة الشعب ام لشىء فى نفس يعقوب قضاها؟ ان مسألة حل الجهاز رُمى الشعب بها لأنها جريمة كبرى ، لكن التاريخ لن يغفر لمن ارتكبها.

لقد كانت بعض الدول تبدى قلقها تجاه أجهزة امنها ، وكانت بعض الحكومات حين تعوز مخرجا لخطأ ارتكبته ، تلقى باللائمة على أجهزة مخابراتها ، لتخرج من الورطة ، وهناك الكثير من الاجراءات التى تتخذ لتصحيح الخطأ .

لماذا لا يحل جهاز المخابرات او جهاز الأمن ؟ لماذا نقول هذا ؟ لأن أجهزة الأمن لا تقرر مطلقا ، فدورها إستشارى بحت ، مهمتها مهما كبرت هى السعى وراء الحقيقة بالتحليل والتمحيص وتقديم المشورة في ذاك الصدد لرئاسة الدولة التى ان شاءت تأخذ بالتوصية أو ترفضها ، كما كان يحد ث فى وطننا ، اما فى الدول الآخرى ، فغالباً ما تأخذ بنصيحتها لأسباب موضوعية كثيرة ، اولها ان رأى الفرد لا مكان له فى تلك الأجهزه فهى مؤسسات عريقة وضاربة فى العمق .

دعونا نمر عبر بعض الاحداث التاريخيه الهامة لنرى كيف تصرفت الشعوب الاخرى فى مثل موقفنا هذا :

١ ـ حادثة أزمة خليج الخنازير عام ١٩٦٤ بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، حيث حاصرت امريكا جزيرة كوبا، وقبلها سبقت محاولة لغزوها وفشلت تماماً ، ماذا فعل الرئيس كنيدى وقتها ، لقد أنحى باللائمه على جهاز المخابرات C.I.A ولم يكتف بذلك بل صرح بانه سوف يصفى هذا الجهاز ، هذا التصريح الذى تراجع عنه كنيدى بعد ساعة واحدة ، كلفه ستة اشهر من العمل المتواصل لتغطية الخلل الذى حدث من جراء إعلان التصريح ، خلال فترة الستة اشهر

هذه لم يغب جون كنيدى يوما واحدا عن التواجد للتنسيق مع ال C.I.A. ..

٢ - وفى أمتنا العربية فى عام ١٩٦٧ عام النكسة ، عام الهزيمة الكبير ، هل حل جمال عبد الناصر جهاز مخابراته لانه تسبب فى الهزيمة ؟ لا بل اجرى محاكمات لبعض مسئولى الجهاز بدعوى تقصيرهم ، بالرغم من ان التاريخ قد اثبت بان جهاز المخابرات المصرى قد أدى دوره كاملاً بتقديم كل المعلومات الدقيقة التى لم تاخذ بها القيادة السياسية .

٣ - ان ما حدث فى ايران ، الثورة الاسلامية الكبيرة ، التى هزت المجتمع ، كما هزت الثورة الفرنسية الشعب الفرنسى والتى شهد الجميع بان جهاز السافاك قد أرتكب بعض الجرائم الواضحة فى حق تلك القيادة الجديدة ، ماذا فعل الخمينى به هل صفى ذاك الجهاز أو حله ؟ لا ، بل اعدم قياداته فى اعنف اجراء عرفه التاريخ ، لان مهام الجهاز كما قلنا مهام استشارية وظل الجهاز كما هو يعمل حتى اليوم وبنفس الاسم ، بل نقلت دول أخرى تجاربه خارج المنطقة وأصبحت تعمل بها .. ! !

٤ - بعد إنهيار دولة المانيا الشرقية ، وتوحيدها ، هل حُل جهاز المخابرات الذى عرف بانه كان من اقوى اجهزة المخابرات فى اوربا الشرقية ، بل كان نداً لجهاز ال K.G.B لا ، لم يحل ذلك الجهاز بل استمر يؤدى دوره مع المتغيرات الجديدة للدولة الجديدة .

٥ - ان قصة رأفت الهجان المصرى ، التى كشفت لاسرائيل ان جهاز مخابراتها " الموساد " كان مخترقا بواسطة ذلك الهجان (المخابرات المصرية) لم تتصرف اسرائيل بهمجية او بخوف او بانفعال لتحل ، هذا الجهاز الذى أُخترق وعرفت كل الشعوب باختراقه ، ولم يقلل ذلك من ادائه او اهميته او التعامل الدولى معه ، لقد اغلقت اسرائيل هذه الثغرة بالصمت المطبق .

٦ - الاتحاد السوفيتى ثانى اعظم دولة فى العالم ، حين تفكك الى جمهوريات عام ١٩٩٢ ، كان له اقوى جهاز استخبارى عرفه العالم ، يضارع جهاز ال C.I.A كما نعلم ، رغم انه قد تعرض خلال عمله لعدة مثالب الا انه لم يحل او يصفى او حتى يحاسب بصورة غير طبيعية ، حين تفتت دولة الاتحاد هل

الغى الجهاز ؟ هل حل ؟ ماذا حدث ؟ لم يقل احد ، يجب ان يذهب كما ذهبت دولة الاتحاد ، انه ما زال باقيا .
ولعلم المجلس الذى اصدر قرار الحل نقول ، توجد هناك دولة فى العالم ليس لها جيش ، لكن لا توجد دولة فى العالم من غير جهاز أمن يحميها ، لقد عادت الحكومة الديمقراطية بعد اول إنتخابات بعد الانتفاضة لتنشأ جهازاً جديداً ومن نفس عناصر الجهاز القديم ، العيب فى الافراد وليس فى المؤسسة ، وهذا ما كان يمكن ان يحدث ليحاسب الافراد على ادائهم .
لقد قال نابليون بونابرت "ان الاغبياء هم وحدهم الذين يستفيدون من تجاربهم ، اما أنا فاستفيد من تجارب الآخرين ..أن حل الجهاز كان جريمة عظمى ، لن يغفرها التاريخ للمجلس العسكرى مهما كانت الضغوط السياسية والارضاء الشعبى ، هل كانت للمجلس مواقف شخصية خاصة ؟ ام ان للاستخبارات العسكرية غرض خاص كما ذكرنا فى مقدمة هذالكتاب .

هل توقع الجهاز سقوط نظام مايو؟

للاجابة على هذا السوال ، نسأل هل يمكن لجهاز أمن الدولة بأفرعه التى تميل الى التحليل والتمحيص الدقيق ، وبأفرعه التتى تعددت فى شتى ضروب الأمن وأنواعه ، وبعناصره المدربة ذات الخبرة والكفاءة التى فاقت كثيراً أجهزة مخابرات كبرى فى المنطقة حتى شهدوا بكفاءتهم وبعناصره التى كانت بعيدة عن الإنتماء السياسى التبعى ، حتى الاتحاد الاشتراكى ، وبعناصره التى كانت تنظر الى الامور بعين العقل لا بعين العاطفة . هل فات عليه أن النظام كان الى زوال .. لا لم تفت عليه مطلقاً أن الحال كان الى زوال ، لكن كما يقول أهلنا فى أمثالهم الضاربة فى عمق التجربة

الميتة ما بتسمع الصايحة

١ - كان الجهاز يقرأ ما بين السطور ، يحس بدنو أجل النظام ، كانت المؤشرات كثيرة والتحليل قاد الى أن النظام إن لم ينته كله قطعاً ستزول قيادته ، لقد عملت بعض القيادات العليا على إنهاء النظام لصالحها وخططت واتفقت مع عناصرها ، لكن جرت الرياح بما لا تشتهى السفن .

٢ - كان التدهور الاقتصادى ناجماً عن سياسات خاطئة كثيرة ، شح المواد البترولية أثر فى الانتاج الزراعى وحركة النقل والتنقل ، بعض الاسمدة وعدد مرات رش المحصولات الزراعية ، تراكم العربات أمام طلمبات صرف الوقود وأثره السلبى على نفسيات المواطن وزعزعة كيانه ، أضطرته أحياناً للمبيت فى طلمبات الوقود إنتظاراً لصرفه فى الصباح الباكر تاركاً أسرته معرضة للخطر ، ورؤيته للبعض يتناولون نصيبهم دون تعب أو مشقة ، تاركاً أثراً نفسياً عميقاً .

٣ - فشل المصالحة الوطنية ، وعدم منح البلاد الإستقرار المرجو .

٤ - مسألة تقسم الجنوب وتحرك العناصر الرافضة وبداية حركة جديدة من التمرد إضافة الى رفضها قوانين سبتمبر معمقة الجرح بخلق مواطنين من الدرجة الثانية على حد قول الجنوبين .

٥ - إعدام الداعية محمود محمد طه وأثره المباشر على جماهير الامة التى لم ترض بإعدام شيخ جاوز السبعين من العمر ، رغم أنه كان من أنصار النظام لفترة طويلة .

٦ - إعلان قوانين سبتمبر الاسلامية ١٩٨٢ ، زادت من بعد الجمهور عن النظام لتطبيقه بصورة إعلامية تشهيرية ، مست كيان كثير من الاسر والافراد بكثير من الجروح .

٧ - محاكم الطوارىء ومحاكم العدالة الناجزة وأثرها على عامة الناس ، حتى أصبح الجميع فى خوف دائم ، كانت محاكم برز فيها عنصر التشفى والحقد الأعمى من أُناس عرفوا طوال مسلكهم الشخصى أنها عناصر حاقدة على المجتمع .

٨ - وضح أن الاخوان المسلمين هم الحاكم الفعلى للبلاد ، وهذا ما جعل بعض العناصر القيادية تحسم أمرها مع هذه الجماعة قبل أن تتربع على دسة الحكم ، تصفية الحسابات مسبقاً .

٩ ـ الحرب الباردة على النظام ، إطلاق الشائعات المدمرة ، مثال ذلك أن نميرى لن يعود من سفرته الى امريكا، قبيل سفره اليها ، ومما زاد الطين بلة خطابه الذى وجهه لقيادات العمل السياسى .

١٠ ـ إبراز نواقص النظام من خلال حملة إعلامية يقودها مسئول الإعلام الأول وتعريته للنظام بتكرار المواقف التى ينكرها الجمهور ويمقتها ، كخطاب رئيس الدولة لقيادات العمل السياسى ، ومحاكم الطوارىء بصورة جعلت الغالبية ان لم نقل الجميع فى حالة سخط ورفض .

١١ ـ أقلام مقتدرة وذات كفاءة ، قادت حملة ضارية لزعزعة النظام وتعريته.

١٢ ـ أطماع الجماعة الى تآمرت بأن حالة الرئيس المرضية تشجع على أن السلطة ستؤل اليها طائعة منقادة .

١٣ ـ إكتشاف الجهاز لعدة تنظيمات بداخل القوات المسلحة لقلب نظام الحكم ، حتى إستطاعت أن تستميل عناصر من الجهاز لتقف معها.

١٤ ـ حالة الإستياء الباغة وعدم المبالاة الواضحة لرجل الشارع ، حتى بات لا يهمه أى شىء ، أصبح نقد النظام شيئاً عادياً لا يلفت النظر ولا يخاف المواطن عن عواقبه .

١٥ ـ خارجياً ، أصبحت بعض الدول ترفض التعامل مع النظام لأنه فتح لها باباً لا تريد أن يفتح ، كتطبيق قوانين الشريعة الاسلامية المشوهة .

١٦ ـ صرحت امريكا من خلال عملائها بالداخل ، لماذا لا يتقدم اللواء عمر محمد الطيب "شخصياً" لإستلام السلطة لأن الرئيس أصبح فى حالة صحية لا تمكنه من ممارسة نشاطه بصورة سليمة .

١٧ ـ منذ مدة والجهاز يرصد عداً تنازلياً للنظام ويحاول أن يعكس ذلك فى تقاريره التى لا تسمع ، لذا كان واضحاً أن النظام الى زوال ، رغم أن بعض حسابات الاحزاب كانت تشير الى غير ذلك (موقف السيد الصادق المهدى) .

الفصل السابع

شخصيات فى أموال الجهاز

- بونا ملوال يرفض اعانة من مال الجهاز
- احمد المهدى يوالى مايو
- محاكمة اللواء عمر ومصطفى عيون كديس فى قضية محمد عبدالرحمن المهدى .
- ١٥٠ ألف دولار ؟؟.

مايو تستقطب أحمد عبد الرحمن المهدى من اموال الأمن

عندما وقعت احداث يوليو ١٩٧٦ أو ما يسمى بالغزو الليبى .. أو المرتزقه ، تم إعتقال المجندين ألذين قاموا بغزو الخرطوم ، تم معهم إعتقال رأس المائة " وهو تعبير يرمز الى تشكيلة من مائة شخص " كلف بإحتلال الإذاعة .. كان المعتقلون يدلون بإعترافاتهم داخل مبانى جهاز الاستخبارات ومبانى جهازى الأمن القومى والعام .. كما كان بعضهم بالقصر الجمهورى .. وبعضهم بالمظلات .. والبعض الآخر بالمدرعات.
كان رأس المائه هذا موجودا بالجهاز حيث تم ترحيله إلى القيادة العامة بعد ان أدلى بإعترافات كاملة ساعدت على كشف مخطط كان يدبر داخل تنظيمات الجبهة الوطنية.
ذكر الرجل أن واجبه الأساسى هو إحتلال مبنى الاذاعة السودانية والتلفزيون و تأمينهما وكلف أحد العاملين معه ويسمى رأس العشرة " رئيس لعشرة أفراد " كلفا بواجب خاص من قبل زعيم الأنصار السيد الصادق المهدى أن يتولى العشرة أفراد إغتيال بعض السياسيين مباشرة بعد أن تذيع الجبهة الوطنية خطاب إستيلائها على السلطة ، كشف الإغتيالات شمل :

١ ـ العميد أ.ح محمد نور سعد.
٢ ـ عثمان خالد مضوى.
٣ ـ على محمود حسنين.

عند ورود هذه المعلومات لدى الجهاز ومقارنتها بمعلومات غير مؤكده ، تم استجواب د. الفاضل الجاك الذى أكد فى حديثه أن السيد الصادق كان يود التخلص من كل رموز المعارضة الآخرين حتى يتسنى للأنصار الإنفراد بالسلطة .. كان لابد من التأكد من المعلومة بطريقة أخرى .. وعليه فقد إتصل الجهاز بالاستخبارات العسكرية التى كان بها بعض المعتقلين من ضمنهم العميد أ.ح محمد نور سعد ونقل الجهاز هذه المعلومة للاستخبارات العسكرية التى قامت بدورها بإستجواب العميد

محمد نور سعد ، الذى أفاد أنه لم يكن إطلاقا وارداً فى مخططه ضرب معسكرات القوات المسلحة وأنه كان ينوى أن يستقطب الجنود والضباط إلى جانبه كما أنه لم يفت عليه أن السيد الصادق المهدى يريد التخلص منه ، لكنه كان مطمئناً ألى أن الجيش سيكون بجانبه . حديث العميد محمد نور سعد لازال موجوداً بسجلات القسم الفنى بالاستخبارات العسكرية .. لكن للأسف فإن الرجل المكلف بإغتيال مجموعة السياسيين قد إختفى ضمن من إختفوا بعدما تم ترحيلهم إلى القيادة العامة .

تأكد للجهاز أن السيد الصادق المهدى فعلاً كان قد خطط للتخلص من العميد محمد نور سعد والآخرين ، كان من الشخصيات التى إستعان بها الجهاز ليتأكد من بعض المعلومات الأخرى ، دكتور الفاضل الجاك الذى أدلى باعترافات خطيرة ساعدت فى كشف كل المخطط بجانب أنها كشفت عن جوانب هامة فى شخصية السيد الصادق المهدى وتنافسه مع عمه السيد أحمد المهدى ، تلك المنافسة التى بدأت منذ الدراسة .

ذكر د . الفاضل الجاك عقب المؤتمر الصحفى الذى عقده بلندن السيد الصادق المهدى معلناً مسئوليته عن حركة ٢ يوليو ١٩٧٦ ذكر د . الجاك أن السيد الصادق المهدى يغير من عمه أحمد المهدى .

السيد أحمد المهدى كان موجوداً فى الخرطوم حين فكرت السلطة الإستعانة به والإستفادة منه ،تم الإتصال به ، من أعلى المستويات .. فخرجت صحف اليوم التالى تحمل المقابلة والتى شن فيها السيد أحمد المهدى حملة شعواء على أبن أخيه ، الصادق المهدى وكيف عرض السيد الصادق حياة الآلاف من أبناء الأنصار للموت . كان خطابه قاسيا ، أدى لفصم عرى الوصل بينهما ، ودخول السيد أحمد المهدى فى شهر عسل جديد مع نظام مايو .. متمتعاً بكل المزايا السياسيه والتسهيلات والمناصب العليا .

تمت المصالحة ووضع السيد الصادق المهدى يده مع مايو إلا أن المصالحه تعثرت وفضل السيد الصادق التنقل بين عواصم العالم والخرطوم ، والسيد أحمد المهدى ما برح حليفاً لمايو .

بعد إعلان قو ين سبتمبر ١٩٨٣ ، وقف السيد الصادق مهاجما تلك القوانين فى جامع ود نوباوى عقب صلاة الجمعة ، ليتم

إعتقاله فى اليوم التالى ، هنا تتذكر السلطة منافس السيد الصادق المستديم ، ليتم إستدعاء السيد أحمد المهدى للتفاكر معه حول استقطابه للأنصار على أساس أنه الوريث للإمامة بعد شقيقه المرحوم الإمام الهادى المهدى .. على أساس أن السيد الصادق هو الذى فرق أهل بيت المهدى وأوجَد الخلاف فى الأسرة الواحدة وشتت شمل الأنصار وفرقهم الى أجنحه لأول مرة فى تاريخ الأنصار " جناح الإمام .. جناح الصادق " بعد نقاش مع السيد أحمد المهدى حول هذا الأمر .. ذكر بأن هذا الأمر هو الذى يؤرقه وأنه يسعى لرأب الصدع فى مجال الأسرة الخاصة وأسرة الأنصار وأشار إلى أن الإمكانات المادية تقف حائلاً بينه وبين تحقيق مرماه ومقصده . بمعاونة التنظيم السياسى تم وضع خطة متكاملة لتحرك السيد أحمد المهدى سياسياً وسط الأنصار ، شملت التغطية الإعلامية ، التنقل لمواقع الأنصار ، طبع الملصقات ، الكتيبات التعريفية لتحركه ؟ .. طباعة " راتب الإمام المهدى " ليوزع كهدايا للأنصار ، للتمسك بعقيدتهم .

حددت مراحل لتنفيذ العملية ، بدأت المرحلة الأولى بالتحضيرات التالية :

١ - توفير سبعة عربات بوكس تايوتا .

٢ - توفير عربتين لاندروفر " بكب " .

٣ - توفير عربتين صالون .

٤ - توفير مطبعة .

٥ - توفير نصف مليون جنيه نقداً .

قام السيد رئيس الجمهورية بتكليف النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس الجهاز بتنسيق الأمر مع السيد أحمد المهدى وتوفير كل المطلوب خصماً على إعتمادات جهاز الأمن السرية .

فى اكتوبر ١٩٨٣ بدأ السيد أحمد المهدى يعزز صلاته بجهاز الأمن من جديد ، نادى علىّ السيد اللواء عمر محمد الطيب وأمرنى بتحضير مبلغ ٩٥ ألف جنيه " ٩٥ ألف دولار آنذاك " للسيد أحمد المهدى الذى سيحضر فى السابعة من مساء ذلك اليوم ويجب أن أكون موجوداً (١) فى السابعة مساءاً رن جرس الهاتف الداخلى بمكتبى ..

---

(١) **العقيد ابورنات**

نعم ..
الاستقبال معاك سيادتك .
نعم .
السيد أحمد المهدى وصل .
خلوه يدخل بعربيته .
حاضر سيادتك .

وبعد حوالى دقيقتين دلف سيادة أحمد المهدى مكتبى يتبعه شخص آخر يسميه الأنصار "الملازم" وهو بمثابة الحرس الشخصى لسيادته . رحبت بهما وادخلته دون استئذان ألى مكتب اللواء عمر ، نهض اللواء عمر مرحباً بضيفه.

أهلاً سيد أحمد.

قفلت الباب .. وعدت ألى مكتبى ... وطلبت من المرافق الجلوس وبدأت معه حديثى ..

كيف حالك يا أخى ..؟
الحمد لله ..
شاى ولا قهوه ..؟
شاى .
إسم الكريم ..؟
أنا .. أنا إسمى حماد .

بدأنا نتحدث حديثاً عاماً ، عندما أزفت الساعة الثامنة والنصف رن جرس معين منادياً لى .. دخلت الى اللواء عمر فناولنى ورقة مكتوب عليها "الظرف" فهمت مضمون الورقة وعدت أدراجي .. فتحت الخزانة ، اخذت مظروفاً ضخماً ممتلئاً ، كان أشبه "بكيس الخضار" كان المبلغ الذى بداخله هو ٩٥ ألف جنيه . ناولت الظرف للواء عمر ثم خرجت .

بعد دقائق رن الجرس مرة أخرى .. كان اللواء عمر والسيد أحمد المهدى وقوفاً هذه المرة .. السيد أحمد المهدى ممسكاً بالظرف بكلتا يديه ، قال لى اللواء عمر ..

ياهاشم ، أنا عاوزك تكون صلة الوصل بينى وبين سيد أحمد وعاوزك تعرف مكتبه وبيته وتعرف كيف تقابله .

هنا قال السيد أحمد المهدى .. **أيوه من الملازم بتاعى البره ده .**

ثم بدأنا تنسيقاً يمكننى من مقابلة السيد أحمد المهدى ، بعدها

خرج السيد أحمد حاملاً المظروف يتبعه الملازم حماد .
من العادة أن ضباط وأفراد الأمن لا يسألون كثيراً رؤساءهم ، بمبدأ المعرفة على قدر الحاجة . لكن عليهم أن يَفهموا حتى ان لم يُفهموا أن يُنفذوا بدقة .
إستمرت صلتى بالسيد أحمد المهدى منذ اكتوبر ١٩٨٣ حتى مارس ١٩٨٥، كنت أصله بالمنزل ويرسل لىّ رسوله.
صدرت لىّ توجيهات بتحويل مبلغ ٣٥ ألف دولار ألى القنصلية بجده لشراء ٧ عربات (تايوتا بكس) pick up على أن تصل هذه العربات لبورتسودان خلال هذا الإسبوع وتقوم فوراً الى الخرطوم نفذتُ التعليمات بدقة ووصلت العربات بإسمى وكأنها لىّ وكان هذا الاجراء متبعاً لزوم السرية ، كانت كل عربات الأمن تصل بإسمى ومن ثم تحول ملكيتها للجهاز فيما بعد ، ولك أن تتخيل مئات العربات فى سجلات الميناء بإسم شخص واحد .
بعد وصول العربات صدر لى توجيه من رئيس الجهاز أن أحول ملكية خمسة من هذه العربات إلى إسم السيد أحمد المهدى بسرية تامة وأن أسلمه هذه العربات ليلاً دون أن يراها أى شخص .
إستعنت بأكثر السائقين سرية المساعد "صول "التجانى وهو مسئول عن جراج الرئاسه .. قمت بإجراء تحويل ملكية العربات الخمسة الى إسم السيد أحمد عبد الرحمن محمد؟؟ ثم رخصنا العربات وأعطيناها أرقاماً من قسم الحركة . فى المساء عندالساعة الثانية عشر ليلاً بدأنا نقل العربات واحدة بعد الأخرى أنا والتجانى حتى تم تسليمها جميعا فى الثالثة صباحا داخل المنزل للسيد أحمد المهدى .
صدرت لى توجيهات أخرى بشراء عدد ٢ لاندروفر من شركة الجزيرة للسيارات وفعلاً حررت الشئون المالية شيكاً بمبلغ ٥٦ ألف جنيه سلمت لشركة الجزيرة والتى قامت بدورها بتسليمنا العربات جاهزة ومرخصة باسمه . كانت زيارتى لا تنقطع لمنزل السيد أحمد المهدى وفى كل زيارة كنت آخذ معى كيساً مليئاً بالنقود .. فى يوم ٢٨ مارس ١٩٨٤، قال لى السيد أحمد المهدى أرجو أن تحدث اللواء عمر فى موضوع المطبعة .
لكن يبدو أن اللواء عمر والرئيس نميرى قد شعرا بأن أحمد المهدى لم يؤد المهمة المطلوبة جيداً .
بعد أن قضيت ثمانية شهور بسجن كوبر تم تحويلى لمعتقل

جديد بمباني جهاز أمن الدولة .. في أحد الايام أتي الى موقع اعتقالى أحد الجنود القائمين بحراستي وأفادني بأنني مطلوب في مكتب رئيس لجنة حصر ممتلكات جهاز أمن الدولة العميد أ.ح الهادي بشرى ، ذهبت حيث علمت من المقدم حسين على حسين أن السيد أحمد المهدي موجود بالداخل ، على الفور فهمت الأمر .. عندما دخلت مكتب السيد الهادي بشرى حييت السيد الهادي بشرى والسيد أحمد المهدي ... قال السيد الهادي بشرى ..

تفضل ياهاشم .. أجلس .. ثم أردف ، الحقيقه نحن عاوزينك .. لأنه وجدنا في سجلات الإعتماد الخاص بعض المبالغ المسحوبة مسجلة بإسم السيد أحمد المهدي .. عندما إستفسرنا السيد أحمد المهدي أفاد بأنه ليست لديه صلة بالجهاز .. إن لم يحدث هذا ،فإننا نعتقد أنك المسئول حتى تثبت العكس ، بخصوص المبالغ والعربات

نظرت الى السيد أحمد المهدي فشعرت بأنه يريد ان يتجاهلني ، كما أنه ظهر بمظهر الذي لا يعرفني . اذن هذا هو الموضوع ! !

على أي حال هذه المسألة لم تكن جديدة عليّ فمنذ إعتقالي كثيرون إدعوا نفس هذه الإدعاءات . اعتدلت في جلستي وبدأت أحكي روايتي من بدايتها منذ أن جاء السيد أحمد المهدي لزيارة اللواء عمر في سبتمبر ١٩٨٣ وحتى قيام الانتفاضة .. عندما انهيت حديثي أشار السيد أحمد المهدي اليّ بأصبعه صائحاً ..

الزول ده أنا شفته مره واحده لما جاب لي مجله من اللواء عمر ، صدرت في لندن وعليها صورتي ومكتوب عليها " أحمد المهدي إمام الأنصار " .. الزول ده كذاب .. كذاب .

صمت العميد أ.ح الهادي بشرى لحظة ، وكأنه يتفحص بعض الحقائق الدقيقة التي ذكرتها له ويسترجع ما قرأه في الملفات .. ثم قال ..

السيد أحمد أنا أعلم أنك من بيت كريم وأن إسمك له وزنه .. وأعلم أن هناك البسطاء من الأنصار الذي يتألمون إذا ما أُصيب أصبعكم بخدش بسيط .. إن أهلي من الأنصار .. لكنني أمام مسئولية أموال دولة أريد أن اعرف مصيرهاوانني آسف أن اقول لك أن هذا الضابط لم يكذب . فأرجو أن تعيد هذه النقود والعربات دون أن

نحاول إجبارك على إعادتها .. ولن يعلم أحد بهذا الأمر.
هذا ما كان من أمر هذه النقود التى رفض السيد أحمد المهدى دفعها مما حدا بلجنة الحصر رفع يدها عن الأمر.. وعندما تناول النائب العام التحقيق فى الأمر وأثيرت القضية فى الصحف لم يكن أمام السيد الصادق المهدى إلا أن يتكفل بدفع المبلغ صونا لإسم عمه .. ربما لم يكن يدرى حتى الآن ماذا كان الغرض من هذه الأموال.

يبقى سؤال مهم..

هل كان فى إمكان السيد أحمد المهدى أن يعترف بإستلامه لهذه النقود ..؟ وهل كان يمكنه إعادتها ..؟ وهل كان يمكنه تبرير إستلامها..؟

لقد كان الغرض من تسليم السيد أحمد المهدى هذه المبالغ أن يقوم بالمساعدة فى إستقرار بعض الأنصار وتقديم تسهيلات لهم ولإسرهم .. كما كان الغرض من منحه سيارات هو تسهيل تحركه وتحرك أنصاره.. وبالتالى وبطريقة غير مباشرة يتمكن السيد أحمد المهدى من الظهور على الساحة بصورة مشرفة تمكنه من منافسة السيد الصادق المهدى على زعامة الأنصار.. لكن السيد أحمد المهدى لم يستفد الفائده المرجوه من هذه التسهيلات والتى لو أثمرت قليلاً لما توقفت الدولة عن دعمه حتى آلت له زعامة الأنصار.

عندما قرر النظام المايوى دعم السيد أحمد المهدى كان يعلم أن هناك جناحاً داخل الأنصار غيرراضى عن السيد الصادق، خاصة بعد أحداث يوليو ١٩٧٦ والتى فقد فيها الأنصار كثيراً من أبنائهم.

يبدو أن السيد أحمد المهدى قد فوجىء بسؤال لجنة الحصر عن هذه المبالغ، ولم يشأ أن يتحدث عنها كثيراً، ففضل أن يذكر أنه لم يستلمها.

كثير من الناس قد تعرض للإستجواب عن بعض المبالغ التى تم إستلامها من جهاز أمن الدولة. للأسف ان الذين أكدوا إستلامهم لهذه المبالغ كانو قلة وكان أكثرهم شجاعة فى ذلك هو السيد أبوالقاسم محمد ابراهيم، والذىأكد إستلامه لاموال من الجهاز وعندما طُلب منه إعادتها رفض ذلك .. وقال أنه لن يرد هذه المبالغ .. وسوف يبرر استلامها لاحقاً. فعلاً.. أثناء إحدى

جلسات محاكمته " محكمة مدبرى إنقلاب مايو " ذكر أبوالقاسم قصة إستلامه لاموال الجهاز . قال أبوالقاسم ...

إستلامى لأموال من جهاز الأمن للاسباب التالية :
كان هناك إجتماع للمعارضة بلندن وآخر بطرابلس ينظمهما الصادق المهدى ، ساره الفاضل ، جون قرنق وبنجامين بول ..

وفجأة قطع التلفزيون إرساله وأنهى بث المحاكمات . قام السيد رئيس الوزراء آنذك الصادق المهدى بتبرير إيقاف بث المحاكمات بأنها مكلفة "رغم أنه ثبت أن بث سهرة غنائية كان أكثر تكلفه من بث المحاكمة التى يتم تسجيلها على شريط فيديو وبثها فيما بعد .. من يومها لم ينبس اعضاء مجلس الثورة السابقين ببنت شفة لأنهم كانوا قد أعدوا العده والبراهين لكشف تورط عدد كبير من السياسيين فى تدبير انقلاب مايو وكانوا يودون أن يسمع الشعب كل كلمة يقولونها " .

نعود الى السيد أحمد المهدى .. اذن لماذا لم يبرر السيد أحمد المهدى إستلامه للأموال من الجهاز ..؟ مع إنه كان يمكنه أن يذكر أن هذه الاموال كانت لإستقرار وإغاثة الأنصار . ساعتها لن يكن أمام لجنة الحصر إلا أن تسجل ذلك فى سجلاتها . ولن يكن السيد أحمد المهدى قد كذب لأن الغرض الظاهر من تسليمه هذه النقود والسيارات ، هو أن يقوم بالسعى لإستقرار الأنصار .

ربما كان نكرانه لإستلامها نابعُ من الزخم الذى أُثير حول جهاز أمن الدولة بعد حله ، وربما كان لأنه لم يستخدم هذه النقود فيما كان مفروضا أن تُستخدم فيه

اعتقد السيد أحمد المهدى أنه وجد سنداً لروايته بادعائه عدم إستلامه لهذه النقود.

دعانى الى مكتبه بالجهاز السيد العميد أ.ح الهادى بشرى ، عندما قابلته أطلعنى على خطاب بتوقيع اللواء عمر محمد الطيب .

يقول الخطاب ...

أن السيد أحمد المهدى لم يستلم أى مبالغ من الجهاز وأن العربات المذكورة قد إشتراها من ماله الخاص وأنه طلب اعفاءاً جمركياً من السيد رئيس الجمهورية لإدخال هذه العربات وأنه منح هذا الأعفاء .

بعدها سألنى العميد الهادى بشرى

.. قرأت الخطاب ..؟
نعم سيادتك .
طيب الحكايه دى فى رقبتك الآن .
بسيطه ياسعادتك .
كيف ..؟
أولاً العربات ما دخلت باعفاء جمركى . دفعنا ليها جمارك كلها .. السبعه عربات .
بالله ..؟
ثانياً .. أنا ممكن أثبت إنه القروش دى طالعه من الجهاز إذا سمحت لى بمقابلة المراجع الذى يراجع أموال الجهاز .
ثالثاً .. أنا عارف ليه الخطاب ده اتكتب ..؟
ليه يا هاشم ..؟
دى يا سعادتك مساومه بتاعة تبادل شهادات .. السيد أحمد عبد الرحمن المهدى شهد لصالح اللواء عمر فى القضيه التى رفعها شقيقه محمد عبد الرحمن المهدى ضد اللواء عمر والمقدم مصطفى محمد على .واستطردت :
إستدعانى مكتب النائب العام على ضوء ما ورد من معلومات .. وبدأ التحقيق معى حول ما أُثير من أن السيد أحمد المهدى لم يستلم أى أموال أو عربات من الجهاز .. وكان وارداً أن أكون متهما بالإستيلاء على كل هذه الأموال من الجهاز وتلكم العربات .. قدمت ما لدى من براهين تثبت العكس .. مما حدا بلجنة النائب العام أن تصرف النظر عن إتهامى .
إن قضية السيد محمد عبد الرحمن المهدى ضد اللواء عمر محمد الطيب والمقدم مصطفى محمد على لم تخلّ من إثارة مسرحية قصد بها أن يستمر مسلسل الإثارة للمواطن العادى ولقد كنت أعرف هذه القضيه تماماً .. لكن لجان التحقيق لم تشأ إستدعائى كشاهد إطلاقاً .
كما أسلفت إن اللواء عمر محمد الطيب كان على صلة جيدة بآل المهدى وآل الميرغنى كما أنه كان بديلاً لمحمد نور سعد كقائد عسكرى لجناح المعارضة " الجبهة الوطنية " إضافة الى أن المصالحة وضعته فى مكان الراعى لمشاكل البيتين ، خاصة عندما أعيد النظر فى المصادرات التى حدثت لأملاكهم .

د . الشريف التهامى وزير الطاقة والتعدين السابق كان أحد رموز المعارضة وعندما أتت المصالحة الوطنية أصبح أحد وزراء مايو .. لأنه يمت بصلة المصاهرة لبيت المهدى فإن وساطة كريمة قامت من زوجته شقيقة المرحوم محمد عبد الرحمن المهدى .. كانت الوساطة لا تخرج عن نطاق الإجتماعات التى تعقد بين آل بيت المهدى وممثل الحكومة المقبول لديهم اللواء عمر محمدالطيب .. خاصه فى إمور أملاكهم التى توزعت .. وتوزيع الورثه الذى إختلطت بموت بعض الوارثين .. وإمساك الدوله لبعض الممتلكات .

شقيقة السيد محمد عبد الرحمن المهدى قالت أن شقيقها لا يقدم لزوجاته الثلاث أموالاً متعادلة مما سبب بعض المشاكل .. وأنها تود أن تكون هنالك وساطة لإقناع محمد عبد الرحمن المهدى.

فى إجتماع ودى حضره اللواء عمر محمد الطيب ود. شريف التهامى ومحمد عبد الرحمن المهدى وافق محمد عبد الرحمن المهدى أن يقسم إيجار بعض أملاكه على زوجاته الثلاثة ووافق أن يشرف على هذا الأمر اللواء عمر محمد الطيب .

اللواء عمر محمد الطيب بالرغم من أنه قام بالوساطة إلا أن لديه من المتاعب والعمل ما لن يمكنه من أداء الإشراف بنفسه .. ولأنه رجل دوله فقد كانت لديه الوسائل والوسائط لتنفيذ هذا الأمر ، خاصة أن أمور إستقرار بيت المهدى بعد المصالحة صار من المهام التى تقوم بها الدولة .

كلف اللواء عمر محمد الطيب الادارة الاقتصادية بالأمر فإنتدبت المقدم مصطفى محمد على والذى وصل الى مكتب اللواء عمر محمد الطيب ، وقد كان موجوداً فى ذلك الوقت المرحوم محمد عبد الرحمن المهدى ود. شريف التهامى . تم تكليف مصطفى محمد على بالمهمه .. إشتهر مصطفى بالدقة والحدة فى تنفيذ الأمور .. قام مصطفى محمد على بالمهمه على أكمل وجه .. إلا أنه إرتكب كعادته بعض الحماقات .

عندما حصر مصطفى محمد على الأملاك المفروض أن يجمع إيجارها لزوجات محمد عبد الرحمن المهدى ، لاحظ أن إيجار بعض هذه الأملاك إيجار قديم ، قد يصل الى ما قبل ٢٠ سنة .. وبدلاً من أن يذهب الى المؤجرين ويطلب منهم رفع الإيجار حتى يضمن دخلاً جيداً لتلك الاسر .. قام بتحرير محضر إستدعاء لكل

..الملاك مما خلق توتراً شديداً وسط مؤجرى تلك المبانى خاصة أن الشعور بالنفور عن النظام بدأ آنذاك يتصاعد وافق بعض المؤجرين رفع الإيجار .. ورفض آخرين .

قام مصطفى محمد على بحصر الممتلكات وعمل كشفاً بالإيجار وجملته ، ثم أصبح يقسم الوارد الشهرى من الإيجار على الزوجات الثلاث .. وإستمر الحال هكذا ، للزوجات دخل مضمون وهن سعيدات .. **وآل المهدى ارتاح بالهم** .. حتى جاءت الانتفاضة .لست أدرى ما حدا السيد محمد عبد الرحمن المهدى لهذه الشكوى ، ولقد كان الناس يقدمون له خدمة عجز هو عن توفيرها لأسرته .. والجدير بالذكر أن حسابات إيجارات هذه الأملاك وجدت صحيحة تماماً .. ولا أدرى هل صحيح أن لجان التحقيق لم تصبر .. ولم تبحث جيداً حتى تدين مصطفى محمد على فلجأت الى هذه القضية .. فحكمت عليه وعلى اللواء عمر محمد الطيب بثمانية سنوات سجناً .

بونا ملوال ... يرفض اعانة من الامن

بونا ملوال كان أحد نجوم ثورة مايو ورموزها .. إشتهر كإعلامى متميز .. له قلم شجاع .. تمثل ذلك فى مايو عندما كان يشرف على مجلة (سوداناو SUDANOW) والتى كانت المجلة الوحيدة التى تتناول النظام بالنقد الموضوعى الجاد عكس الصحف والمجلات التى تصدر باللغة العربية . كان بونا أيضاً كأحد السودانيين الذين ينتمون للإقليم الجنوبى وطنياً من الدرجة الأولى يواجه الأمور بنفس الشجاعة التى يواجه بها النظام فى كتاباته الصحافيه كما أنه أحد السياسيين الذين إمتازوا بنظافة اليد فلم تكن له أموال غير معلومة اذ كان يعتمد على مرتبه .

عندما طرحت فكرة تقسيم الإقليم الجنوبى كان أحد المعارضين للتقسيم بالطريقة التى جرت كما أنه وصل الى مرحلة من الحدة مع الرئيس نميرى فى كثير من القرارات التى صدرت على المستوى القومى .. وعلى مستوى الإقليم الجنوبى مما جعل وضعه صعباً معنوياً ومادياً .. لكن هذا لم يكن ليمنع بونا من أن يكون شجاعاً ويصرح بما هو صحيح .

تَم إعتقال بونا ملوال عام ١٩٨٣ ضمن مجموعه من السياسيين الجنوبيين والشماليين لا تجمعهم فكرة سياسيه واحدة .. نذكر منهم .. محمود محمد طه .. خليل عثمان وأمين عكاشه .. لكن إعتقاله لم يدم طويلاً .

عندما تَم إطلاق سراحه ، كان يسكن فى منزل بمنطقة أركويت بالايجار وظروفه المادية فى غاية القسوة .. كان يجاهد من أجل لقمة العيش له ولابنائه و كان عاجزاً عن دفع إيجار منزله .

عندما علم اللواء عمر محمد الطيب بظروف السيد بونا ، أمرنى (١)أن أذهب اليه وأنقل له تحاياه وأن أسلمه مبلغ ثلاثة آلاف جنيه سودانى التى كانت فى تلك الأيام مبلغاً كبيراً .

---

(١) العقيد/ ابورنات

ذهبت الى بونا وقابلنى مرحباً وتحدث معى بود وترحاب .
ونقلت له تحايا اللواء عمر محمد الطيب .. ثم سلمته المبلغ ..
فسألنى ..

ده شنو .. ؟

قلت ..

الحقيقه سيادتك اللواء عمر كلفنى أن أسلمك هذا المبلغ .. وقال ليك هو عارف الظروف الصعبه اللى انت فيها .

قال بونا فى أدب جمّ

.. لا .. لا .

سيد هاشم كلم اللواء عمر .. قول ليه بونا قال ليك شكراً جزيلاً .. وأنا مش عاوز القروش دى .

لكن .. ياسيد بونا أنت ظروفك ..

معليش .. أنا مش حأستلمها وما محتاج ليها .. قول ليه أنا بكره حأجى اقابله .

عندما أخطرت اللواء عمر فى صباح اليوم التالى ، شعرت بأن اللواء عمر كان مستغرباً ومتعجباً مما حدث من بونا ملوال .
حضر بونا الى اللواء عمر وقابله وتناقشوا كثيراً .. وعلمت من اللواء عمر أنه قدم له المبلغ مرة ثانية لكنه رفضه أيضاً فى إصرار حقيقة لقد دُهشت .. هذه أول مرة أقابل فيها مثل هذا الرفض من كل الذين قدمت لهم مساعدات . خاصة أننى كنت أقرأ فى عيون بونا حوجته الشديدة للمال .
ذكر بونا أن فترة إعتقاله كانت فترة طيبة رغم مرارتها لأنها جمعته بالاستاذ محمود محمد طه الذى عارض قوانين سبتمبر ١٩٨٣ ، وأنها فرصة لم تكن لتتاح له ليلتقى به ويناقشه لولا ذلك الإعتقال وكذلك الدكتور خليل عثمان .. فكان كل منهما يتحدث فى مجال يختلف تماماً عن مجال الآخر ولا تجمعهم ببعض غير مواقف متباينة من النظام وسياساته .

قصة ال ١٥٠ ألف دولار

إن قضية ترحيل اليهود الفلاشا الشهيرة ، التى دارت فيها صراعات كثيرة بعد الانتفاضة ، هى أحدى أكبر القضايا التى عرضت امام المحاكم وبما أن القضية كانت مجهولة تفاصيلها تماما فقد بذلت لجان التحقيق ولجان الحصر مجهودات خارقة حتى تخرج القصه كما قُدمت امام المحكمة .. بالرغم من الإثارة القوية التى صحبت القضية فإن الجهد الذى جرى لإخراجها كان شاقا ، يرجع السبب الرئيسى لذلك فى تنفيذ العملية حيث قامت بإجرائه عناصر أمنية ذات كفاءة ، على درجة عالية من السرية والكتمان .كان استنطاق هذه العناصر يتطلب مرونة وجهد خارق ، فإن هناك الكثير الذى لم يقل ولم يعرف .

(سنتعرض بالتفصيل لهذه القضية الكبيرة فى فصل كامل من هذا الكتاب ؛ لكننا الآن سنتحدث عن مبلغ ال ١٥٠ ألف دولار التى جاء ذكرها أثناء المحاكمه)

كان اللواء عمر محمد الطيب معتقلاً بسجن كوبر وكذلك العقيد موسى إسماعيل سعيد أيضا المتهم فى قضية ترحيل الفلاشا ، كان يفصل بينهما سور عال ومواقع أخرى لاتمكن الشخص العادى من الإتصال المباشر .. كان العقيد الفاتح عروه بامريكا وعندما عاد تم وضعه منفصلاً فى بيت من بيوت الاستخبارات العسكرية السرية .. على الفور بدأ فى التحقيق معه العقيد أ.ح عمر حسن البشير والعقيد أ.ح عثمان بليه .. بالرغم من هذا البون الشاسع بين هذه المجموعة إلا أن تنسيقا جرى بينها فيما يجب أن يُقال أمام لجان التحقيق .

إتفقت المجموعة التى اشتركت فى عملية الترحيل أن تقول أن ترحيل هذه الجماعات كان بتعليمات عليا ، وأن يقر اللواء عمر محمد الطيب أن التعليمات قد صدرت اليه من السيد رئيس الجمهورية المشير جعفر محمد نميرى ..

لكن عندما بدأ التحقيق معهم ذكرالضباط نفس ما أتفق عليه .. عندما بدأت اللجنه تحقق مع اللواء عمر بدأت تبحث عن ثغرات فى حديثه .. يبدو أن الجهود أثمرت الى حد ما ، ذكر اللواء عمرأنه

لم يكن يعلم أن هؤلاء اللاجئين من الفلاشا .. ومدى علمه لاجئون فقط .

هنا تمسكت لجنة التحقيق المكونه من الأساتذة :

١ ـ الصادق الشامى .

٢ ـ أحمد ابراهيم الطاهر .

٣ ـ كمال الجزولي .

٤ـ العقيد شرطة أمين عباس .

تمسكت هذه اللجنه بالقشه ، وبدأت تعزف على هذا الوتر حتى حصلت على أقوال من اللواء عمر .. تقول فى مامعناه : ..

إذا كان الضباط ديل رحلوا فلاشا فدى مسئوليتهم .. ربما لعبوا ذلك مع جهاز المخابرات الامريكى .. فهم على صلة به أكثر منى .

فى اليوم التالى إستدعت اللجنه بقية المتهمين ، لاعادة استجوابهم بغرض معرفة إذا ما كان لديهم أى جديد فى أقوالهم تمسك الضباط بأقوالهم السابقة وهنا أخطرتهم لجنة التحقيق أن اللواء عمر أفاد بأنهم رحلوا الفلاشا دون علمه .. إلا أن الضباط لم يستجيبوا لهذا المؤثر ولم يغيروا أقوالهم .

جرت مناورات فى اليوم التالى ولجأت لجنة التحقيق لإستخدام المؤثرات الأخرى ، اذ حضر ضابط من الاستخبارات واخبر أحد أقربائه ـ وهو من ضمن المتهمين ـ بأن اللواء عمر قد غدر بهم .. كما أن ضابطاً آخر من المتهمين ينتمى لتنظيم ساعد فى إنجاح الانتفاضة جاءه رئيس خليته وأفاده بأقوال ونية اللواء عمر .. عليه ، فى اليوم التالى تم إستدعاء الضباط للتحقيق مرة ثالثة وتليت عليهم أقوال اللواء عمر من محضر التحقيق ، رغم أن الضباط سمعوا ما سجل فى المحضر .. إلا أنهم لم يقدموا أية أقوال إضافية بل طلبوا أن يسمعوا أقوال اللواء عمر من فمه وبلسانه.

رتبت جلسه للجميع عرفت بإسم " *المواجهة* " ـ رفض القاضى عبد الرحمن عبده رئيس محكمة الموضوع الاخذ بالمواجهة كبينة ـ كانت جلسة ساخنة ، إذ أننا نذكر أن العقيد موسى إسماعيل والرائد فؤاد بندر والرائد دانيال دينق عندما عادوا الى السجن فى ذلك اليوم عند صلاة المغرب كان يبدو عليهم الإرهاق الشديد .

تلك المواجهة التى جعلت القضية تأخذ منحىً جديْداً جعلها تخرج

بالصورة التى رأيناها فى المحاكمة . ذكر فى تلك المواجهة لأول مرة ١٥٠ ألف دولار التي كانت بحوزتى (*) .. رغم أنى لم أكن طرفاً فى القضية .. سألنى أحد أصدقائى الظرفاء عن هذا المبلغ ..

قال لى محدثى ..

١٥٠ ألف دولار .. إنت مجنون .. فى زول أهبل يسلم قروش زى دى .. وكمان بلا خجل تقول مع أمى .. على الطلاق أنا لو أنسجن ١٠ سنوات ما أسلمها .. إنت الظاهر عليك أطرش ساكت .

قلت له ..

.. يا صديقى إن المحاكم وقتها لا يتسع للحكى والحكاوى ... ووسائل الإعلام تهمها الإثاره فهل تريد أن تسمع الحكاية ..؟

يا أخوى حكاية شنو .. الحكايه ما إنتهت مما إنت سلمت القروش للمحكمة . حسع إنت حالتك ما كانت إتصلحت ..؟

قلت له ..

الحمد لله . أنا حريص ان أبعد اولادى عن مثل هذا المال

إنتبه محدثى قليلاً وقال لى ..

يا أبو الرن يعنى عاوز تقنعنى إنك ما لاهف .

قلت له ..

من الصعب جداً أن اقتعك أو اقنع أقرب الاقربين الىّ .. وأنا كل يوم أدع ربى أن يرزقنى بالحلال ويبعدنى عن الحرام . . ما يتصوره الناس عن "اللهف" عموماً لا يعدو أن يكون مبالغة ساهمت فيها التغييرات السياسية والمواقف المعادية ووسائل الإعلام المتعطشة للاخبار المثيرة والمعاناة التى ألمت بالشعب والحرمان والحقد الشخصى من بعض الزملاء .. أخالك تتفق معى أن كل هذه العوامل إذا ما توفرت فإنه لا مناص من رواية أو

(*) العقيد/ ابورنات

روايات مثيرة . لكن يا صديقى لقد مكثت دون زملائى سنة كاملة فى السجن حققت معى لجان لم تحقق حتى مع د. بهاء الدين محمد إدريس .. حققت معى ١٨ لجنة تحقيق مختلفه لم أخرج بأى إتهام . وصلت يا صديقى الى مرحلة أيقنت فيها أن اللجان تبحث عن أى سبب لإتهامى . ليس لأى سبب إلا أننى كنت مديراً لمكتب المتهم الأول فى القضية - النائب الأول لرئيس الجمهورية -.

قال لى ..

دعنا من التفاخر وأحكى لى لماذا يا أهبل سلمت هذه النقود للمحكمة ..؟

حقيقة يا صديقى لست أهبل لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه .. إن كنت تريد أن تعرف لماذا سلمت هذه النقود فأرجو أن تسمع القصة من بدايتها .

قال لى ..

اسمع يعوضنا الله .

أريدك أن تعرف أولاً أننى (*) كنت أعمل مديراً لمكتب أخطر رجل عرفته مايو . خطر .. لأنه ذكى . شاطر .. يتمتع بدهاء الساسة .. وعرف كيف يخلط الأوراق . متدين بحق حتى النخاع . يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويقدم لآخرته كأنه يموت غداً . لن أحدثك طويلاً عنه فلذلك مجال آخر .. لقد وضع اللواء عمر محمد الطيب فى يدى المسئولية المالية الخاصة باعتمادات الأمن السرية .. والمسئولية المالية الخاصة ما تسمى لديه بأعمال الخير . سأذكر فى حديثى الآن بما يسمى بعمل الخير .. هذه العبارة اطلقها اللواء عمر محمد الطيب للمجال الذى تعمل فيه . كان كما أسلفنا .. عمر هذا له صلات واسعة فى كل انحاء السودان .. كانت له صله بما يسمى سجاجيد أهل الله .. كانت هناك أموال تتدفق عليه للأعمال الخيريه من كل أنحاء العالم .

ذات يوم دعانى اللواء عمر لإستلام مبلغ ١٥٠ ألف دولار

(*) العقيد/ابورنات

من مكتبه وحفظها معى ، لم يكن من حقى أن أعرف من أين جاء المبلغ وطالما أنها لم تدخل ضمن إعتمادات الجهاز الرسمية فهى قطعا من أموال عمل الخير .. كنت أظنه المبلغ الخاص ببناء مجمع إسلامى جديد بالسروراب . كانت النقود يا صديقى تتدفق من السعودية ، الامارات ومن مختلف أنحاء العالم لهذا الأمر .
سلم لى المبلغ فى يناير أو فبراير ١٩٨٥ أى قبيل الانتفاضة بمدة قصيرة .. لم يسألنى اللواء عمر عن هذا المبلغ حتى قامت الانتفاضة .
فى صباح ٧ أبريل ١٩٨٥ ذهبت لمنزل اللواء عمر لتسليمه ممتلكاته الخاصة التى معى ومن ضمنها هذا المبلغ .. لكنى وجدته قد أُعتقل. عندما عدت قابلنى ضابط كبير بالجهاز وسألنى إن كان اللواء عمر إستلم منى مبلغ ١٥٠ ألف دولار .
شعرت أن هذا الشخص له مأرب فى هذا فاجبته بالايجاب . حفظت النقود فى منزلى مع أمانات أخرى ودخلت السجن . إتصلت باللواء عمر وتحدثت معه وأفدته أن مبلغ ال ١٥٠ ألف دولار موجود ومحفوظ معى .
حقيقة لقد صمت اللواء عمر فترة .. ثم قال لى حسناً . بعد عدة أيام عرفت خلالها أن هناك صراعاً عنيفاً يدور بين اللواء عمر وبقية المتهمين فى قضية الفلاشا وهم: الفاتح عروه ، موسى إسماعيل ، دانيال دينق وفؤاد بندر بعد حضور الفاتح عروه من أامريكا أرسل لى اللواء عمر مذكرة يطلب فيها منى اعطاء موسى إسماعيل (٥) ألف دولار لارسالها لأسرته. عندما أخطرت موسى لم يرد علىّ إطلاقاً إنما انفجر ضاحكاً وأخذ منى المذكرة .
كنت أعلم أن الصراع مرير وأن ما كنا نفعله بنص القانون سابقاً أصبح فى عرف "الانتفاضة" غير قانونى ، وأن السلطات الممنوحة لنائب الرئيس بنص القانون أصبحت الآن خطايا .
كان يجب أن نقف مواقف الرجال حسبما تعلمناه فى الجيش .. تعلمنا أن الجندى يجب ان يحمى قائده طالما إقتنع بقيادته وعمل تحت إمرته .. من هذا المنطلق كان

لزاماً علينا أن نقف مع اللواء عمر حتى ان دعا الحال أن نعاقب معه .
لم يكن هذا موقفى وحدى بل موقف الكثيرين الذين عملوا معه .. حتى الذين كانوا يظنون أنه أخطأ قرروا الوقوف معه . هكذا كنا نناور لجان التحقيق لأنهم كانوا يبحثون عن أى شيء من أجل ادانتنا . بقض النظر ان كان يقع تحت طائلة القانون أم لا.
لجان التحقيق نفسها كانت تركيبة حزبية ذات غرض .
كان هدفنا حماية أنفسنا .. لكن إختلطت الأوراق .. وإختلف المتهمون فى قضية الفلاشا مما فجر صراعاً عنيفاً .
سألتنى لجنة التحقيق عن القروش .. فذكرت أن القروش لاعلم لى بها .. وضعونى فى زنزانة منفردة لمدة ٧ أيام .. ثم نادونى وقرأوا علىّ أقوال اللواء عمر مع المتهمين فى "المواجهة" وقد كانت مسجلة فى شريط كاسيت . عندما عدت للمعتقل وفكرت فى الأمر عرفت أننى سوف أؤدى القسم . ولابدمن الحقيقه . لذا كان تسليمى النقود للجنة التحقيق .
عندما أردت تسليمها علمت أن النقود وسط فزع الأسرة عند إعتقالى تم توزيعها لعدة جهات .. كان جمعها من مخابئها وتسليمها مشاباً بعدة إشكالات .. تنوعت بين الخوف والطمع وضياع بعضها .
كانت عملية تسليم النقود أصعب من كل ما حدث .. لكنها أخيراً عادت لحظيرة الدولة .
يا صديقى .. لو كنت أنوى أخذ النقود لأنكرت معرفة اللواء عمر نفسه وليست النقود وحدها .. لكن لا يصح إلا الصحيح . أنا الان آكل من عرق جبينى .. قد أجد اليوم رزقاً وقد لا أجده .. لكنى سعيد لأن أطفالى عندما يكبرون سيعرفون أن الحياة كفاح .. وأن والدهم نظيف ولم تلصق به ما يخجلهم .
سألنى صديقى ..
ولماذا لم تكن بيدك مبالغ أخرى لعمل الخير .
نعم لقد إنتهينا فى ذلك الوقت من بناء مجمع حاج الطيب الإسلامى

بالزيداب وبناء بعض المنازل لبعض الفقراء والمحتاجين وكنا نتوقع مبالغ أخرى لبناء مجمع بالسروراب وآخر فى الجزيرة .

ردّ علىّ صديقى

برضك أهبل .. ١٥٠ ألف دولار .. والله حكايه .. طيب ليه قلت القروش مع أمك ؟

قلت له

عندما تسألك المحكمة أين كانت النقود وأنت على قسم فهل تريدنى أن أجاوب بإنها كانت فى البنك ..؟

الفصل الثامن

- دور الملك فيصل عاهل السعودية فى المصالحة الوطنية .
- لقاء جده .. نميرى - الشريف .
- أحداث شعبان ١٩٧٣ القوية .
- أحداث ٢ يوليو ١٩٧٦ ونهاية الصراع .
- علاقة الاحزاب السياسية بجهاز أمن الدولة .
- فليب غبوش ..



استقبال غبوش بمطار الابيض خلفه شيخ الدين وأبو رنات

مايو.. الجبهة الوطنية السودانية

دور الملك فيصل في لقاء جده

شق الشريف حسين الهندى طريقه الى خارج السودان فى السادس والعشرين من مايو ١٩٦٩ عقب إنقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩ . اتجه الى أ أول من أيدت المعارضة فى القضاء على النظام هى المملكة العربية السعودية لموقفها المعادى للأنظمة الشيوعية . بدأ الشريف محاولته إدخال السلاح الى الجزيره أبا للامام الهادى المهدى ، تلك المحاولة التى نعرفها والتى إنتهت بهزيمة المعارضة ومحاولة الامام المهدى الخروج من السودان الى اثيوبيا حيث أنه لم يتمكن من ذلك

(ولا نريد أن نسترسل فى ذلك فلنا تفاصيل كاملة عن أحداث الجزيره أبا فى كتاب آخر) .

بعد ملحمة الجزيره أبا الدرامية وما تمخض عنها من آثار ما تزال عالقة ، طفحت خلافات داخل مجلس قيادة الثورة مما جعل الرئيس نميرى ينقلب ويصفى تلك الخلافات .. والتى يبدو انها خلافات داخلية مزمنة ، ثم حسمت تلك المعضلة المزمنة بين جناحى النظام فتقلب رئيس مجلس الثورة العقيد جعفر محمد نميرى ومساعدوه على جناح الشيوعيين وأنصارهم .
بعدها إتجه نظام مايو الى اليمين وبدأ فى أعين الكثيرين بان النظام قد بات ممكناً التصالح والسير معه أو الإنقضاض عليه .
كما أسلفنا فإن المملكة العربية السعودية لها عداء مع الانظمة الشيوعية ، وبما أنه كان يهمها كثيراً أمر السودان وشعبه شعرت براحة كبيرة بعد القضاء على الشيوعيين فى ٢٢ يوليو ١٩٧١ .
كان الملك فيصل طيب الله ثراه يتحين الفرص للتحدث الى الرئيس نميرى ورئيس المعارضة الشريف الهندى للالتقاء طالما زالت المعضلة وإنتهت السيطرة الشيوعية على الحكم فى السودان .
تحدث الملك فيصل الى الشريف فى هذا الأمر .. بما أن الشريف يكن تقديراً عظيماً للملك فيصل لمواقفه من المعارضة ومدها

بالدعم المادى والمعنوى (فى أيام صعبة وحرجة حيث كان يجثم على صدر الأمة العربية كابوس تسعى لإزاحته ألا وهو إزالة آثار العدوان) لم يتردد الشريف بقبول الاقتراح ، وافق الملك فيصل فى لقاء الرئيس نميرى فى أول زيارة له للمملكة .

فى أوائل عام ١٩٧٢ حضر نميرى فى زيارة المملكة العربية السعودية فأبلغه الملك فيصل رغبته فى انهاء المعارضة طالما أن نميرى قد تخلص من الشيوعيين ، وأبلغه أيضاً أن الشريف الهندى لا يمانع فى لقائه والتحدث والتفاكر معه ، فاستجاب نميرى ووافق على طلب الملك فيصل

(يقول البعض أن الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية قد أتصل بالرئيس نميرى قبل ذلك لكن لم تتوفر لدينا المعلومات الكافية فى هذا الصدد) .

فى تلك الزيارة ألتقى الرئيس نميرى بالملك فيصل . رتب الملك فيصل لقاءاً بين الرئيس نميرى والشريف فى قصر الحمراء بجده ، وذكر لهما رغبته فى تصفية الجو ليعيش شعب السودان معافاً من كل ما يؤخر تقدمه ورفعته ورقيه ، كما ذكر لهما أنه لا يريد أن يحضر هذا اللقاء وعليهما أن يتحدثا حديث أهل السودان باللغة التى يفهمانها وتمنى لهما التوفيق .

كان الملك فيصل عليه رحمة الله عظيماً ذا مبادىء لم يرد أن يلفظ المعارضة بعد ضرب الشيوعيين (كما لفظ العقيد القذافى جون قرنق فيما بعد حين قامت الإنتفاضة عام ١٩٨٥) . فقد كان يعتقد أن العدو المشترك هو الشيوعية وطالما نميرى قضى عليها فلابد من الالتقاء والتفاكر وإزالة الخلافات العالقة ، كما أن الملك فيصل ليست لديه قضية مع النظام بعد دحر الشيوعية . هكذا وضع الملك فيصل المعارضة فى هذا الموقف (ولا نريد أن نقول موقف محرج) فقطعاً لا تستطيع المعارضة أن ترفض للملك طلباً وهو الذى أمدهم بالسلاح والمال والدعم المعنوى .

فتم لقاء الحمراء (والذى كان نقطة التحول فى موقف السعودية) بين الرئيس نميرى والشريف الهندى . بدأ الحوار وتحدث الشريف عن مجازر الجزيره أبا وأحداث ود نوباوى .. رد عليه نميرى أنها كانت من فعل الشيوعين .. كان نميرى وقتها واحداً من مجموعة مجلس قيادة الثورة لذا كان الشريف مقتنعاً أن الحوار معه لا يجدى . فبدأ يوجه له انتقادات فى نظامه .. عن المصادرات

والتأميم .. وتمسكه بالديمقراطية ، كما شككه فى حلفائه المصريين وسألة إن كان يعلم أن السفير المصرى بالخرطوم محمدالتابعى هو ضابط المخابرات الذى أستطاع أن يخطف الجواسيس من روما وإرسالهم الى مصر فى صناديق .. فكانت معلومة جديدة فيما يبدو للرئيس نميرى .. كما حدثه عن أسرار داخل نظامه مما أزعجت نميرى .. اثناء الحوارطلب الشريف من نميرى تصحيح الأخطاء بعدها يمكنه أن يلحق به .

من جانب آخر طلب نميرى من الشريف أن يقبل أن يكون نائباً لرئيس الجمهورية بعدها تأتى الديمقراطية . لكن لم يبد الشريف حماساً أو موافقه لرأيه ، وأوضح له أنه لا يسعى لكسب شخصى ، فإن كان جاداً فعليه تنفيذ ما طرحه باعلان جماهيرى بالتخلى عن الخط الذى يسير عليه . وافق النميرى وأنفض الإجتماع الذى دام أكثر من ست ساعات .

لكن بما أن مجموعة قيادة مجلس الثورة كانت تجمع القوميين العرب كاعضاء فى مجلس الثورة فقد شعروا أن شروط الشريف تستهدف سلطتهم فبالتالى أثروا على نميرى مما حداه تغيير موقفه عند رجوعه الخرطوم .

كما ذكرنا لم يكن باستطاعة الشريف رفض طلب الملك فيصل .. فاجتماعه مع نميرى أرضى الملك فيصل ، ثم طرح ما دار بينه وبين نميرى الى كل أنصاره فى السودان وخارجه وما إتفقا عليه ، تأهبت الجماهير فى السودان فى إنتظار إعلان جديد يوضح المسار الجديد للنظام حسب ما أُتفق عليه فى لقاء قصر الحمراء .

إتصل الشريف بانصاره فى الداخل وتحركت لجنة بقيادة " محمد حمزه " لترتيب لقاء بين النميرى والجماهير التى كانت فى لهفة وتتوقع تغيير النظام لمساره . حدد اللقاء فى ميدان سباق الخيل بالخرطوم والزمان أبريل ١٩٧٢ ،حشدت جماهير الاتحادى الديمقراطى خاصة ، وجماهير الأحزاب الأخرى عامة لسماع خطاب من الرئيس نميرى لمصالحة تلك الأحزاب وأن يعفو عما سلف .. إلا أن الجماهير أُصيبت بخيبة أمل لعدم إعلان الرئيس نميرى المصالحة مع الأحزاب التقليدية وإشراكها فى السلطة ، اعتبر الشريف أن نميرى قد نكص الوعد وأن العناصر المشاركة له فى النظام قد تقلبت عليه .

هكذا وئدت أول محاولة للمصالحة بمفهوم الأحزاب التقليدية .. عاد

بعدها الشريف يقوى من معارضتة للنظام مرة أخرى وأختط أسلوباً جديداً.

أحداث شعبان ١٣٩٣ ـ ٥ أغسطس ١٩٧٣

بعد إقتناع الشريف حسين الهندى بأن نظام مايو لن يتراجع عن خطه المرسوم قرر التخطيط لإسقاطه مدنياً هذه المرة .. رغم أن مايو حاولت أن تجعل من النقابات العمالية والمهنية سنداً لها إلا أن الشريف إستطاع أن يستميل عدداً لا يستهان به من تلك النقابات وإقناعها بالعمل على إطاحة النظام فى تخطيط محكم مرتب دقيق .
يغيب على الكثيرين معرفة تفاصيل أحداث شعبان ، فهى لم تكن كالأحداث العابرة فى محاولات إسقاط النظام ، لأنها كانت دقيقة التدبير والتخطيط ، فقد صرفت عليها المعارضة الأموال الطائلة التى شملت الإغداق على رؤساء تلك النقابات للوقوف معها .. وعلى أسر الذين يقبض عليهم أو يتم اعتقالهم .
لقد خططت المعارضة لإسقاط نظام مايو بإضراب سياسى عام تقوده النقابات العمالية .. طلاب جامعة الخرطوم وطلاب مدارس الثانويات بالعاصمة . كونت المعارضة اللجان السريه لمباشرة ذلك العمل .. صُرفت الأموال للتنسيق والتحرك والاتصال .. كانت الحركة دائبة والعمل يتواصل والتطبيق على السلطة ونظامها يسير حسب التخطيط لها . لم تنس المعارضة أن تهيىء الشارع السودانى للتحرك مع تحرك تلك النقابات والطلاب للانقضاض على النظام المايوى .
كانت اللجان التى كونتها المعارضة تغدق الأموال الكثيرة التى جعلت من الصعوبة بمكان أن تتراجع أمامها أو تنخرط فى تأييد النظام .. أموال طائلة فى الصرف على النقابات واتحادات الطلاب .. (علمنا وقتها أن بعض رؤساء تلك اللجان قد حول لمصلحته الذاتية جزءاً كبيراً من تلك الأموال التى كان مفروضاً ومقرراً صرفها .. فأثرى بها ذلك البعض والى يومنا هذا .. وسيذكرهم

التاريخ)
كان وقتها الأمن العام هو المتتبع لذلك النشاط ، الأمن العام الذى كان يتبع للشرطة بوزارة الداخليه وكان هناك إتجاه بأن يفصل عن الشرطه ليقوم بذاته ليُكِّون جهاز الأمن العام بدل إدارة الأمن العام .. كان معظم العاملين به ضباط شرطه .. إرتضى بعضهم أن ينفصل عن الشرطه ويكون بالجهاز الجديد .. الجهاز السياسى .. ولم يرض بذلك البعض وفضل أن يعود الى عمل الشرطه الجنائيه .. كان العميد عبدالوهاب ابراهيم يقود مسألة الفصل عن وزارة الداخلية والشرطة. كنت اول (١) من طُلب منه السفر الى عطبره كمدير لأمن المديرية الشمالية ليصبح الفصل عملاً واقعاً .. ونُقلت الى عطبره حيث لم يرحب بى الزملاء قمندان شرطة الشمالية وقتها العقيد عصمت معنى والحكمدار أحمد سعد الذى استلمت منه المنصب لأنه كان من المعترضين على الفصل .. بالتالى لم ينضم الى الجهاز فكان لابد من أن يأتى من يحل مكانه ..
كان رئيس الجهاز التنفيذى فى المديرية السيد حسين محمد أحمد شرفى .. ورئيس لجنة الأمن .. وأمين المديرية للاتحاد الاشتراكى . الذى كان إدارياً بارعاً ومحنكاً له رأى واضح فى مسألة الاتحاد الاشتراكى فى مواقع العمل .
كان تخطيط المعارضة يقضى بإشراك النقابات العمالية ذات الثقل والوزن بالمطالبة بعودة الجيش الى ثكناته . وهكذا كانت نقابة عمال السكه الحديد أول تلك النقابات .. بل رأس الرمح . التى قررت المعارضة الإستعانة بها لإعلان العصيان وإعلان الإضراب السياسى العام .
تقدمت سته من نقابات العمال بالخرطوم بعريضة لنائب رئيس الجمهورية .. (حيث كان رئيس الجمهورية آنذاك فى مؤتمر القادة الأفارقة بالجزائر) بمطالب سياسيه بحته لانهاء نظام مايو .
كانت نقابة عمال السكه الحديد أحدى تلك النقابات السته التى وقعت على المطالب السياسية .. بل كانت رأس الرمح فى تلك المحاولة ، مساء ذلك اليوم الذى تقدمت النقابات الستة بمطالبها بالخرطوم كانت نقابة عمال السكه حديد تحتفل مع نقابة موظفى

---

(١) العميد/ محمد عبدالعزيز

السكه حديد وإدارتها بتعيين السيد عبدالرحمن نديم رئيساً لهيئة السكة حديد . كان ضمن الحضور من خارج هيئة السكة حديد موظفى المديرية وعلى رأسهم السيد محافظ المديرية وأمين اتحادها الاشتراكى وأمناء لجان التنظيم . وصلنى الخبر وأنا أشارك فى ذلك الأحتفال بأن ضمن النقابات الستة التى تقدمت نقابة عمال السكة حديد وأنها حددت ميعاداً للدخول فى إضراب.
حملت الخبر الى السيد المحافظ ، رئيس لجنة أمن المديرية السيد حسين محمد أحمد شرفى وسكرتيرها السيد عصمت معنى قمندان شرطة المديرية ، حيث طلب منى السيد المحافظ أن أستوثق الخبر من السيد موسى متى رئيس النقابة ، عندما تحدثت اليه أشار الى أنهم سيعقدون إجتماعاً بعد نهاية هذا الإحتفال للنظر فى هذا الأمر . حملت الرد الى السيد المحافظ ، الذى تحدث الى إدارة الحفل لإنهائه أثر تلك التطورات ، أُخطر أيضاً السيد نديم بصفتة رئيساً للهيئة . كان الأمر ذو شقين ، هل النقابة وافقت ووقعت مع النقابات الستة ..؟ وهل سيدخلون فى إضراب اذا لم تستجب السلطة للأمر ..؟ وكان طبيعياً ألا نسأل عن التوقيع على مذكرة المطالب لأنها فعلاً موقعة من قبلهم .. وأصبح السؤال هل سيدخلون فى الإضراب المفتوح ؟ فقد كانت المسألة واضحة رغم مراوغة السيد موسى متى بأنه سيجتمع بالنقابة ليحدد موقفها على أية حال كان الموقف صعباً ؛ فنقابة عمال السكه حديد أكبر نقابة عمالية فى السودان وثقلها كبير وكانت تعتمد عليها النقابات الأخرى .. لم تكن المسأله مسألة تقرير الدخول فى الإضراب من عدمه بقدرما كانت المسألة ترتيب المنزل من الداخل ، إذ كانت النقابة تعد نفسها للإعتقال .. حيث علمت أن أعضاء النقابات الخمسة بالخرطوم قد أُعتقلوا وكانت تعد خمسة لجان متتالية، فى حالة القبض على الأولى أن تتسلم قيادة النقابة اللجنة الثانية .. وفى حالة إعتقال الثانية تتسلم القيادة الثالثة . وهكذا حتى يستمر الإضراب وتستمر القيادة حتى يسقط النظام .. كان التخطيط ماكراً ودقيقاً .
لم يرد أعضاء النقابة الأم لعمال السكة حديد أن يكشفوا عن كل الخطط وأن هناك أموالاً مرصودة لأسر المعتقلين حين تطالهم يد الإعتقال .. لذا أخذت وقتاً طويلاً لإختيار اللجان المتبادلة .
كان هذا هو التخطيط ، وبعد ذلك الإجتماع ذهبت النقابة للإجتماع

بمقرها بدار النقابه.. وذهب أعضاء لجنة الأمن المكونة من المحافظ، قمندان شرطة المديرية، قائد المدفعية، قمندان شرطة السكه حديد، شخصى حكمدار أمن المديرية،المستشار القانونى للسكة حديد وقمندان سجون المديرية. الى مقر إجتماع لجنه الأمن بمكتب قمندان شرطة المديرية أستعرضت البرقيات والإشارات الواردة من الخرطوم عن موقف الاضراب.

تباحثت اللجنه.. وللأمانة والحقيقة كان رأىّ (١) أن يتم إعتقال لجنة نقابة عمال السكة حديد إسوة بنقابات الخرطوم التى تمَ إعتقالها.. إلا أن العميد خالد الصادق أونسه لم يوافق على الإعتقال وطلب أن نعطى رئيسها موسى متى فرصه.. وأيده فى ذلك رئيس اللجنه السيد شرفى وكان لهذا التأنى أثره البالغ على نفوس أعضاء نقابة عمال السكة حديد لاحقاً.

كانت لجنة النقابة مجتمعة بدارها الى وقت متأخر من تلك الليلة.. ولم تُعتقل، كانت كل سبل الإتصالات متاحة لهم بالخرطوم.. لذا كانوا على معرفة وإلمام تأمين بما يجرى فى العاصمة.. طال إنتظار لجنة الأمن لقرار النقابة، فرأت رفع الجلسة لمنح النقابة فرصة لإتخاذ قرارها النهائى. خرج رئيس اللجنة وسكرتيرها فى طواف على المدينة.. وكذلك بقية الأعضاء.. وطلبت منى الإنتظار لمعرفة القرار إن صدر.. هكذا أصبحت منتظراً القرار حتى إتصل اللواء الباقر بصفتة نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً للداخلية يستفسر عما تَم إتخاذه من إجراء. أخطرتة بأن النقابة لم ترجع لنا لإفادتنا عن رأيها النهائى.. وبعدم وجود رئيس اللجنة وسكرتيرها فى طواف على المدينه.. كان قراره إعتقال كل أعضاء النقابة، عند عودة المحافظ وسكرتير اللجنة أخطرتهما بقرار نائب رئيس الجمهورية.. وأنى قد نفذت أمر الإعتقال.. وتَم إعتقال جميع أعضاء النقابة ما عدا شخصين لم نجدهما.. وبدأت التحقيق مع قيادة النقابة.. كان يساعدنى وقتها الملاحظ محى الدين محمد على والملازم حسين عثمان صلاح.. طلب رئيس اللجنة أن يتحدث الى رئيس النقابة موسى متى.. وتحدث اليه حديثاً طويلاً عله يتدارك الأمر.. وعليه أن يفكر ملياً.. كان لمحاولة

---

(١) العميد/ محمد العزيز

المحافظ ورئيس اللجنة أثره الكبير فى تهدئة الخواطر وفرصة للتراجع .. ظل الحوار قائماً الى وقت مبكر من صباح اليوم التالى .. لم يصل الحوار الى إتفاق.

فى السادسة من صباح ذلك اليوم دخل العمال الى الورش وأعلنت النقابة الجديدة برئاسة العضو الذى تخلف عن اللجنة الأولى وسكرتارية العضو الثانى اللذين لم يتم القبض عليهما ، وقررت الإضراب والخروج من الورش ، هكذا قاد مهدى أحمد النقابة الجديدة الى الإضراب وخرجت جماهير العمال متجهة الى دار النقابة.

كنا قد تحوطنا منذ الصباح الباكر الى حراسة الموكب من على البعد لئلا يحدث تخريب لممتلكات الدولة التى تقدر بالملايين من الجنيهات .. وضعت حراسة كاملة من الشرطة على كل مداخل الورش من شرطة المديرية والسكة الحديد .. حراسة موكب العمال حتى دار النقابة دون التعرض الى أى منهم بالقبض . كررت اللجنه محاولتها مع النقابة المعتقلة فى تسوية الأمر .. إلا أن بعض أمناء لجان الإتحاد الإشتراكى الذين لم يكن لهم دور فى التحدث الى النقابه رأت أن المسألة كان يجب أن تحل من خلال العمل السياسى (الاتحاد الاشتراكى) لا من خلال لجنة الأمن .. فإتصلت بالخرطوم وصورت الموقف بصورة أخرى .. أن المحافظ لا يعترف بالاتحاد الاشتراكى .. ولا يعمل من خلاله رغم أن المسألة سياسية ، مما جعل الأمانة العامة للتنظيم توفد بعض أمنائها للحضور لعطبره والوقوف على الحالة . كما حضر الدكتور بشير عبادى بصفتة وزيراً للنقل والمواصلات والسيد عبدالرحمن عبداله وزير الخدمة العامة والإصلاح الإدارى وعبدالرحمن عباس .. وقفوا جميعاً على الحالة وعلى جهد لجنة الأمن فى إحتواء الأمر ورفع الإضراب .. إقتنع الوفد الواصل من الخرطوم بأن الأمور تسير على خير ما يرام .

استمر الحال متوتراً الا أنه فى النهاية رفع الإضراب وعاد العمال الى عملهم بإنتظام وكأن شيئاً لم يكن . وهكذا كان لرفع الإضراب بواسطة نقابة عمال السكة حديد أثره البالغ فى إفشال الإضراب السياسي العام ، وفي الخرطوم كان إخلاء طلاب جامعة الخرطوم للجامعة والداخليات أثره الكبير فى إفشال مخطط المعارضة الذى أُحكم تدبيره .

وهكذا أُفشل من عطبره مخطط المعارضة لإسقاط النظام وللسيد حسين محمد أحمد شرفى كل الحق فيما ذهب اليه فى كتابه (صور من الأداء الإدارى فى السودان) عن مؤامرة شعبان حين كتب (وأقول للقارىء بكل أمانة وإخلاص أنى كنت أتوقع أن الحق يسود وأن الحكومة آنذاك سوف تمنحنى أعلى وسام بالدولة لما قمت به وزملائى فى لجنة الأمن من عمل جيد أبان تلك الأحداث بعطبره ، وقد منحتنى بالفعل حكومة مايو أعلى وسام يستحقه المواطنون الشرفاء من أبناء هذا الوطن ألا وهو الاعفاء من منصبى كمحافظ للمديرية الشمالية) .هذا ما كان من أمر أحداث شعبان ١٩٧٣ التى هزت البلاد وكادت أن تطيح بالنظام .

أحداث ٢ يوليو ١٩٧٦

لتناول موضوع أحداث ٢ يوليو ١٩٧٦ لابد من السؤال .. متى قررت " الجبهة الوطنية المعارضة " الاقتناع بالعمل المسلح لإسقاط النظام ؟

فى الواقع أن الشريف حسين الهندى رغم تمسكه بالديمقراطية كأساس للحكم إلا أنه كان من أكثر السياسيين إقتناعاً بأن إى حكومة عسكرية تأتى على أسنة الرماح لابد من مواجهتها بأسنة الرماح ... لذا كانت مواجهتة لمايو فى بداية عهدها فى الجزيره أبا .. ثم حاول بعد ذلك العمل السياسى الذى فجره فى أحداث شعبان ١٩٧٣ . الا أن أحداث شعبان وفشلها فى تحقيق الإضراب السياسى العام لإسقاط النظام زاده قناعة بأن العمل العسكرى لإسقاط النظام هو السبيل الوحيد .. لذا فقد كان لابد له من التحضير والتجهيز لذلك .

إبان تواجد الجبهة الوطنية السودانية المعارضة بالمملكة السعودية ما كان لها أن تعمل عملاً سياساً علنياً .. وما كان لها أن تقيم معسكرات أو تدريب لأن المملكة لا تسمح بذلك مطلقاً .. لذا كان لابد لها رغم الدعم المالى والمعنوى أن تجد مكاناً آخر ،

فتحركت الى لندن ومن هناك إستطاعت أن تتحرك نحو ليبيا نظام المخاطرات والمقامرات .. بل ويدعم بالمال والسلاح والأرض للتدريب ، وأكثر من ذلك الأرض الحدودية مع السودان الذى يمكن أن تعبر منها الى أرض المعركة المحتومة مع النظام .. وجدت الجبهة الوطنية الممثلة فى الاتحاديين والأنصار .. والاخوان المسلمين كل ما تمنوه عند ليبيا .

رأى الشريف حسين الهندى الذى كان وقتها رئيساً للجبهة الوطنية السودانية أن ينقل معسكرات المقاومة من الحدود الأثيوبية الى ليبيا .. ساعده فى ذلك توافد أعداد من شباب الأنصار بعد مواجهة الجزيره أبا وهناك فى ليبيا " فى الكفره " بدأ فى إنشاء المعسكرات والتى كانت ظروفها أحسن من أرض أثيوبيا الوعرة ذات الغابات الكثيفة والطرق الوعرة .. وجد الشريف حسين الهندى أن العمل من ليبيا يحقق له غايته .. وهى السير مباشرة الى قلب النظام المايوى فى الخرطوم .. فكر فى عبور الصحراء الى أم درمان .. والى كتم عبر دارفور .. رأى أن يحول الأنظار من التسلل الى الشرق ليكن التسلل عبر الغرب الى ليبيا .. وعناصر التجنيد تأتى أصلاً من الغرب من دارفور وكردفان .. ثم أن العنصر الأمنى فى مراقبتة لناحية الشرق كان أكثر تركيزاً وتدقيقاً أما من ناحية الغرب فهى أقل شأناً .

وضع الشريف حسين خطتة ليغزو العاصمة المثلثة فاذا تم إحتلالها سقط النظام .. ويمكنه ذلك عبر الصحراء التى يمكن عبورها بسهولة أكثر من عبور الغابات والطرق الوعرة على حدود أثيوبيا .. ناهيك عن الوصول بالعربات عبر الصحراء الى الخرطوم وإستحالته عبر حدود أثيوبيا .. هكذا أشرف الشريف على قيام معسكرات التدريب بليبيا .. إستعان بالاخوان المسلمين فى التدريب ، فكان يستقبل كل يوم عناصر جديدة للتدريب .. حرص الشريف أن يكون أمر التدريب فى غاية السرية والكتمان .. فإتفق مع العقيد القذافى أن يحافظ على علاقتة الطيبة مع النظام السودانى لئلا يتشكك فى نواياه .. لكن لا العقيد حافظ على ذلك ولا السودان إطمأن للعقيد .. فتحدث الشباب الى بعضه بغرض الذهاب للتجنيد والتدريب مما حدا بالسلطات السودانية فى طرابلس الى كشف أمر قيام معسكرات التدريب لتبعث عناصرها للتأكد .. هكذا ذهبت جماعة وإنخرطت فى التجنيد والتدريب

لمعرفة ما يدور فيها من الإعداد .. الخ ..
خرج السيد الصادق المهدى من معتقل السلطة فى أواخر علم ١٩٧٢ حيث تثنى له الإلتحاق بالشريف حسين والوقوف على ما يجرى من تدريب وتدبير .. واضعاً يده على يد الشريف مباركاً خطوات العمل العسكرى .. إلا أنه كان يرى فى غرارة نفسه أن هذه العناصر معظمها من أتباعه الأنصار .. فبدأت تتقلب عليه نظرتة الذاتية للأمر .
تنازل الشريف عن رئاسة الجبهة الوطنية أواخر عام ١٩٧٣ للسيد الصادق المهدى وبدأت مرحلة جديدة من العمل بعد أحداث شعبان .
إستمر التدريب العسكرى بمعسكرات ليبيا ختى قيام المقدم حسن حسين بحركتة فى ٥ سبتمبر ١٩٧٥ حيث كشفت التحقيقات أن المقدم حسن حسين لم يكن له أن يقدم على تنفيذ حركتة لولا أنه علم أن هناك دعماً عسكرياً سينضم اليه من الأنصار .. إعتقد المقدم حسن حسين أن ذاك الدعم من داخل القوات المسلحة فى الخرطوم .. كان المقصود أن يؤخر حسن حسين حركتة حتى تصل القوات من ليبيا ، لكنه أصر على تنفيذ خطتة حسبما حُسب ووقت لها .. فلم تصله أى قوات فاعتبر أن الأنصار لم يوفوا بوعدهم له . كان ذلك أحد المؤشرات التى وضحت لأجهزة الأمن بأن حركة حسن حسين كانت ناقصة والقوة المفترض أن تصله هى من معسكرات التدريب فى ليبيا .
عرف جهاز الأمن العام الخطة وتكتم على الأمر وبدأ يرصد ويتابع أمر المعسكرات فى ليبيا .. وإعتقد عامة جمهور السودان أن حركة حسن حسين كانت حركة معزولة متهورة ، فى حين كان جهاز الأمن العام يتابع ذلك مع جهاز الأمن القومى بالخارج .. الإستخبارات العسكرية لم تقتنع بأن هناك مخططاً كبيراً لغزو خارجى ، تمسكت الإستخبارات بالنمط التقليدى للإنقلابات ورفضت مسألة الغزو من خارج البلاد ، رغم تنويرها للقوات بأن هناك احتمال لهجوم قوة غازية فى صبيحة ٢ يوليو ،
كانت خطة الجبهة الوطنية ان تقوم احدى فصائلها بالسيطرة على اللواء الثانى مدرعات بالشجرة (اللواء المعروف بولائه لمايو) لذا كان أمر الرفض أيضاً لمسألة إشتراك بعض القوات بالداخل ومساندتها لتلك القوات .. ودليلنا على ذلك موقف قائد كتيبة الدفاع الجوى والذى تمَ الإتصال به من قبل الجبهة الوطنية وكان

جاهزاً بقواته فىام درمان لضرب النظام صباح ٢ يوليو ١٩٧٦ فاذا به يفاجأ بهجوم على قواتة من القوات الغازية المتمركزة فى قصر الشباب والأطفال مما أضطره للدفاع عن النفس والذى أعتبرته مايو بطلاً مما جعله يشعر بالأسى والحزن وأضطره الى تقديم إستقالتة والهجرة .
نعود الى المعسكرات .. وكيف أصبحت جاهزة حسب تقدير الشريف للدخول الى السودان والقيام بالعمل المنوط بها .. كان البحث جارياً لقائد لتلك القوات ، كانت المعارضة قد إتصلت ببعض عناصرها فى داخل القوات المسلحة للوقوف ، معها وببعض الذين قبض عليهم فى حركة المقدم حسن حسين والذين كانوا فى سجن كوبر يقضون فترة العقوبة ومنهم ضباط متقاعدون كالمرحوم العقيد سعد بحر .
تمَ الإتصال بالعميد محمد نور سعد بالمانيا ، ويرجح أن الدكتور عمر نور الدائم إستطاع إقناعه بضرورة العمل العسكرى ، هكذا أُختير محمد نور سعد قائداً للعملية فى أقل من سنه من بداية تنفيذها .
حسب علمنا وقتها أن محمد نور سعد وافق على قيادة العملية .. الا أننا فى بحثنا عن الحقيقة علمنا من أحد قادة المعارضة بلندن لاحقاً بأن محمد نور سعد لم يمنح الفرصة لكى يراجع كل ما كان من أمر تدبير الحركة .. إذ فُرضت عليه أن يقبل بما كان قد دُبر ووضع كخطة عسكرية .. بل وعلمنا من ذلك المعارض أن محمد نور سعد لم يتمكن حتى من مراجعة تفاصيل الخطة وكانت المعارضة فى عجلة من أمرها الى كراسى الحكم .. وكما حدث للمقدم حسن حسين ، أُخطر محمد نور سعد بأنهم سيخطرون - ناسهم - بالخرطوم ليساندوه .. كما حددوا له موعد التنفيذ .. رغم إعتراضه عليه لأنه يقابل الخريف والأهوية والأتربة التى تكون عقبة فى الصحراء .. لم يُسمع له .. ويقول محدثنا عن الإتفاق الذى تمَ بين محمد نور سعد والجبهة الوطنية أن قائد العملية لم يكن مسيطراً تماماً على القوة وحاول الصادق المهدى أن يؤثر على محمد نور سعد وأن يستميله اليه خاصة أنه ينتمى الى أسرة أنصارية وقد قبل به الشريف حسين رغم علمه به وإرضاءاً للصادق الذى كان يتعجل المسألة برمتها ، وكان رأى الشريف عن محمد نور سعد بأنه متردد وغير مؤمن بالعملية . صُور لمحمد نور سعد أن عناصر

الجبهة الوطنية فى السودان تقوم بدورها السياسى كاملاً . قرر محمد نور سعد دخول السودان خلسة والبقاء بمنزل السيد عبدالله الفاضل المهدى ليحصل على المعلومات اللازمة التى تمكنه من تقدير الموقف الذى يساعده فى العملية العسكرية وهى الغزو .. لم يجد قائد العملية فرصة لقاء من أشاروا اليه أنهم سوف يساعدونه .. وفرضت عليه ساعة الصفر ولم تكتمل قناعته بعد .. كان هناك من أُوكل اليه الوصول الى رئاسة شرطة المرور والنجدة للاستعانة بأجهزة إتصالها فلم يقم ذلك المكلف بدوره وكان هناك أيضاً من هو أقرب الى قائد العملية للقيام بإحتلال الإذاعة بأم درمان وبثها من محطة سوبا وهو الموسيقار جمعه جابر (المتزوج من شقيقة محمد نور سعد) فلم يقم بدوره إحتلال الإذاعة بمساعدة القوة التى أُرسلت لمساعدته فلم تجده .. وهكذا فشلت الخطة حدثت بعض المواجهات بين القوات الغازية والقوات المسلحة السودانية .. وهذا مالم يكن يرضاه محمد نور سعد .. فلما لحق بتلك القوات كان من الصعوبة السيطرة عليها وفشلت الخطة تماماً .. ويعزى الفشل لأسباب عدة منها :-

١ - تعجل تنفيذ العملية رغم عدم قناعة قائدها من ناحية التوقيت لعدم إمساكه بكل خيوط الخطة وإفلات السيطرة على القوة من يده

٢ - عدم تمكن قائد العملية من الإلتقاء والتحدث مباشرة مع العناصر المساعدة له والتنسيق معها ، بل ترك أمرها لعناصر مدنية يصعب عليها .. بل يستحيل عليها تقدير مثل تلك المواقف

٣ - إشراك أكثر من طرف له غرض وهدف خاص غير الهدف العام من الخطة لإسقاط النظام .

٤ - محاولة قائد العملية تفادى الاحتكاك المباشر مع القوات الحكومية فى تعاطف مهنى أساسى اذ أصر ألا يهزم جيش غازى أمام جيش نظامى كان ومازال يفتخر بالإنتماء اليه ، وأتفقت معه عناصر المعارضة ووفرت له الزى المشابه لزى القوات النظامية الحكومية التى لم يُلتزم بها عند التنفيذ مما صّعب من مهمتة وجعلته يبحث عن طريقة لتفادى ذلك .. وليس له من وسيلة اتصال .. بل حرم منها لفشل السيطرة على إدارة المرور والنجدة التى كان التخطيط يقضى باحتلالها ووضع يده عليها لاستعمال أجهزة عرباتها فى غرض الإتصال .

٥ - محاولة احتواء العملية كلها بواسطة السيد الصادق المهدى ،

كما وضح لاحقاً اذ أخفى ساعة الصفر للتحرك من الاطراف الأخرى المحلية المشاركة فى التعبئة الجماهيرية بقيام شباب الانصار دون غيرهم باحتلال "اكشاك توتو كوره" أثره فى عدم انجاح الخطة وحرمان العناصر الأخرى المتوقع مساعدتها .

٦- وصول مقدمة الغزو فى وقت مبكر الى الخرطوم عرضهم للكشف بواسطة عناصر الأمن ومصادرها ، وقصة الخطة التضليلية التى كُشفت بواسطة المصدر الأمنى ح .ن الذى أوضح أن تلك العناصر قد دخلت الى أمدرمان وتوزعت فى منازل تمَ إستئجارها بواسطة السيد مبارك الفاضل المهدى بمدينة أمدرمان (الثوره) لإيواء تلك العناصر حتى موعد التنفيذ .. كانت توزع لهم المؤن بكميات كبيرة مثل (صفائح الجبنه والطحنيه) تمَ القبض على هذه العناصر وإعترف البعض وكشفت الخطة .. كانت هذه حقيقة ، أما الخطة التضليلة للجبهة الوطنية أنها فكرت فى وقت سابق أن يحمل السلاح الى الداخل ويُدفن فى المقابر بامدرمان .. هذا ما سمع به المصدر ح . ن فقد كان رجلاً بسيطاً يعمل حداداً .. علم بذلك ونقله للأمن .. الأمر الذى حدى بجهاز الأمن العام للبحث فى مقابر حمد النيل و أحمد شرفى بحثاً عن السلاح مما أضاع وقتاً كثيراً .. وشكك الإستخبارات العسكرية فى مصداقية الخطة بينما الجبهة الوطنية قد صرفت النظر عن دفن السلاح فىالمقابر ودفنته فى مناطق أخرى بغرب أم درمان .. المعروف أن ذلك السلاح كُشف عنه لاحقاً وتمَ حصره أما البقية فما زالت مدفونة ولا أحد يعرف مكانها أشارت معلومات المصدر الى اللجنة الداخلية للتعبئة عددهم ٤٣ .. فتمَ القبض عليهم جميعاً ما عدا ميرغنى ضيف الله الذى هرب ، وكان على رأس المقبوض عليهم وحُقق معهم المحامى على محمود حسنين ومجموعتة .

٧ ـ إدعاء السرية المطلقة لتنفيذ العملية ، حيث كان الإتفاق قد تمَ بين الشريف والصادق على الثانى من يوليو .. وهكذا علمنا من مصادر موثوق بها أن الشريف حسين إلتزم بمبدأ السرية فلم يفصح به وترك للصادق نقله الى العناصر الداخلية فما كان من الصادق إلا أن أخفى ساعة الصفر تلك عن عناصر الاتحاديين والاخوان المسلمين وكشفه لعناصره فقط .. بل يقول مصدرنا على العكسمن ذلك تماماً عندما وصل الخبر الى قيادة الاتحاديين بالداخل كانت عناصر حزب الأمه تقول بأن التنفيذ أُجل ، مما أفشل القيام بالعمل

التعبوى الجماهيرى والإتصال بالعناصر المساعده فى القوات المسلحة .

٨ - إفتقاد التنسيق المطلوب بين عناصر العمل المدنى ، وقاعدة العمل العسكرى وقيادته .. قيام جماعات طُلب منها تحديداً بإحتلال مواقع معينة تصل وتنفذ وتنتظر وسائل الإتصال ، إلا أنها فشلت فى الوصول لتلك المواقع لأنهم لا يعرفون العاصمة ولم يروها من قبل وكان يتوقع أن تساعد عناصر بعينها بالداخل فى ذلك لكنها لم تقم بذلك الدور .

لقد إحتلت القوة المناط بها إحتلال دار الهاتف بقيادة الطبيب البيطرى وغازى صلاح الدين (الوزير الحالى فى حكومة البشير) وتسلمت كل شيء حيث أنه لم يتسنى لها الاتصال بقائد العملية لمعرفة كيف تتصرف وكذلك بقية القوات ، إذ كان الإتفاق أن يتم إحتلال الإذاعه بامدرمان أولاً ويتم البث الإذاعى من سوبا .. إلا أن المناط به القيام بذلك العمل إختفى تماماً .. هكذا ضلت القوة وضاع طريقها .

٩ - إهتمام قائد العملية بأمر فى رأيه أهم .. هو عدم الإحتكاك المباشر بالقوات المسلحة والتعرض لها ومحاولتة الوصول بنفسه الى تلك القوات لفض إى إشتباك لكن لفقدانه وسيلة الإتصال التى تمكنه من التحرك وهى حصوله على أجهزة إتصال شرطة المرور والنجدة التى كان يمكنه السيطرة عليها بسهولة وتأمين وسيلة الإتصال بيسر وبقوة محدودة .

فى رأينا هذه هى الأسباب التى أدت الى فشل خطة الغزو . وفى نهاية الأمر هى أسباب تتركز فى ثلاث محاور .. المحور العسكرى ، المحور المدنى ومحورالتنسيق .

ومن الاشياء التى لاحظناها أن هناك قوة كبيرة من شباب الأنصار كان قد دفع بها عبر مديرية دارفور وكردفان الى السودان .. تمَ إعتقال كل تلك العناصر بواسطة سلطات دارفور .. قُدمت تلك القوة الى المحاكمة فى جبل أولياء .. علمنا أن تلك القوة كان قد دفع بها الصادق المهدى ومعاونيه لإنجاز مهام خاصة ، منها التخلص من قائد العملية وبعض قيادات الاتحاديين والاخوان المسلمين بعد نجاح العملية . كشفت تلك العناصر التى تمَ إعدامها ما عدا عنصرين فقط ذلك ، مما حزّ فى نفس القائد محمد نور سعد (راجع تفاصيل هذا الموضوع فى موقع آخر) الذى يهمنا هنا أنه بعد فشل

المحاولة عادت كل قيادة الجبهة الوطنية الى لندن وشُكلت لجنة تحقيق لمعرفة أسباب الفشل برئاسة القاضى عثمان خالد مضوى .. أشار مصدرنا الى أن أحد الأسباب الرئيسية للفشل التى ضمنت ذلك التقرير ، هو أن السيد الصادق المهدى حاول أن يعمل من وراء الجبهة الوطنية ، وما سر إدخال تلك القوة التى حُوكمت بجبل أولياء إلا دليل على ذلك ، إذ ثبت أن الصادق المهدى ومبارك الفاضل جاءا بهم من بقايا معسكرات أثيوبيا للقيام بتلك المهمة الخاصة .وخلاصة القول أن النيات لم تكن خالصة .. فكل جماعة كانت تعمل لحسابها الخاص ويدخل فى ذلك قائد العملية نفسه الذى كان يرى أن ينفرد بالسلطة فى حال نجاحها .

إستغرق منا هذا الأمر وقتاً طويلاً لنصل الى هذه الخلاصة التى سطرناها . ونأتى أخيراً الى ما أسمته السلطة المايوية لحركة ٢ يوليو بحركة المرتزقه ، فهل شملت العناصر الغازية عناصر غير سودانيه ؟ ولكى نجيب على هذا السؤال لابد من توضيح أمرين هامين هما :-

١- كانت هناك وجوهاً تشبه الى حد كبير وجوهاً غير سودانية حتى نطقها للعربية لم يكن سليماً (به لكْنة) .

٢- بقاء تلك العناصر ولمدة طويلة فى التدريب وعدم حلق شعر رأسهم وإطلاق اللحى والشوارب ساعد على تغيير ملامحهم .

كانت هناك عناصر غير سودانية فى تلك المعسكرات فى ليبيا ولم تدخل السودان .. فقد كان حرص الشريف على ألا يعمل لقضية السودان غير السودانيين أقوى بكثير .. كما أنه لم يكن بحاجة لإستخدام عناصر غير سودانية . فقد كانت العناصر السودانية متوفرة وكان يمكن أن يتم التحقق من ذلك لولا الإستعجال بتنفيذ الإعدامات أولاً بأول .

وهكذا أعطت حركة ٢ يوليو ١٩٧٦ لنظام مايو عمراً جديداً . لأنه ثبت تدريب تلك القوات فى ليبيا وأتت من هناك غازية الأمر الذى لم يرض به غالبية شعب السودان .

علاقة الأحزاب السياسية بجهاز أمن الدولة

عند قيام ثورة مايو ١٩٦٩ .. أصدرت قرارا بحل جميع الأحزاب السياسية .. أما الحزب الشيوعى السودانى وبما أنه شارك فى الانقلاب بكوادره ، ومن ثم شارك فى السلطة ، فيمكننا القول أنه الحزب الوحيد الذى كانت له علاقة بمايو ، وعلنيه حتى نوفمبر ١٩٧٠ ، وعلاقة سرية ببعض الشيوعيين الذين انشقوا عن الحزب فى يوليو ١٩٧١ .. ثم علاقة مستمرة بالشيوعيين الذين أيدوا مايو وواظبوا على تأييدها .. كما أيدت بعض الجماعات نظام مايو فى مرحلتها الأولى مثل القوميين العرب والبعثيين والجنوبيين بعد بيان التاسع من يوليو ، واليسار المستقل ، بينما بقيت الأحزاب السياسية على الساحة السودانية معارضة لها ، جبهة الميثاق الاسلامى .. الأمه .. الاتحادى الديمقراطى وبعض التنظيمات القبلية الاقليمية ، بينما أيدت جماهير الشعب النظام الجديد متناسية عن عمد انتماءاتها السياسية للتدهور السياسى الذى لحق بالبلاد .. كما ذكرنا فى سردنا لأسباب قيام نظام مايو . كانت كل هذه الأحزاب بعيدة عن النظام حتى عام المصالحة الوطنية عام ١٩٧٧ . وطوال هذه الفترة لم تكن هناك علاقة للأحزاب بأجهزة الأمن الا من علاقات شخصية فردية .. الا الحزب الشيوعى السودانى الذى شارك فى السلطة وببعض كوادره فى أحهزة الأمن وقتها .. هذا ما يهمنا وسنتعرض له فى سفرنا هذا ، حيث دفع الحزب الشيوعى ببعض كوادره فى وزارة الداخلية ، الأمن العام وهم محمد أحمد سليمان ، سمير جرجس ، عبد العظيم عبد الحفيظ ، التجانى عبد الله بدر وعبد الباسط سبدرات مع ثلة أخرى . وبجهاز الأمن القومى

مثل عثمان كط ـ عبدالمنعم بخيت ـ عبدالله الامام ، كانت هتان المجموعتان هما المسيطرتين على الأجهزة الأمنية ، والمسيرة تماماً لتوجه النظام حتى حركة هاشم العطا فى يوليو ١٩٧١ ، حين أُبعد معظمهم عن هذه الأجهزة وبقى من انسلخ عن الحزب وتعامل القليل مع هذه الأجهزة من على البعد .

لقد إستفادت الأجهزة من التحاق هذه الجماعه كثيراً ، رغم أنهم أستطاعوا أن يتعرفوا على بعض أسرار الأجهزة .. ولكن كانت المحصلة النهائية سخط الجماهير السودانيه على أجهزة الأمن .

بعد إبعاد العناصر الشيوعية من جهازى الأمن ، وإعتقال بعضهم لاحقاً استفادت الأجهزة من الاعتقال والتفتيش ، حيث المنشورات والنشرات الدورية التى ساعدت فى كثير من اسلوب ونشاط الحزب .. الا ان ذلك لم يقنع الأجهزه ، فإستطاعت أن تجند بعض أفرادها فى تنظيم الحزب الشيوعى السودانى .. الأمر الذى كشف كثيرا من نشاط الحزب ، ونجحت الأجهزة فى ذلك أذ لا زالت تلك العناصر منتميه الى الحزب وليس ادل على ذلك النجاح أن الأجهزة كانت تعرف بواسطة مصادرها المجندين أدق أسرار الحزب ، لكنها لكى تحافظ عليهم كانت تكتفى بالعلم فقط دون إتخاذ إجراءات حيال الحزب .. أو اعضائه .

أما عن الأمين العام للحزب الشيوعى السودانى الحالى محمد ابراهيم نقد ، وإختفائه منذ عام ١٩٧١ حتى ١٩٨٥ .. نحكى هذه القصة فى هذا الصدد ، كان أحد اعضاء الجهاز يسكن بالقرب من أهل نقد بامدرمان ، حى العرب بالتحديد . وبعد اعتقال كل الضباط بسجن كوبر ، صدف ذات مرة ان كان هذا الضابط فى طريقه من سجن كوبر الى رئاسة جهاز الأمن المحلول للتحقيق معه ، لما انتهى التحقيق وكانت هنالك فسحة من الوقت فطلب الضابط المعتقل من حرسه أن يسمح له بالمرور على منزله لتحية أسرته فوافق الحرس وكان برتبة الضابط المعتقل ، وانتهت زيارته لاهله ورجع المعتقل الى السجن . فى اليوم التالى لتلك الزياره تسرب الخبر حتى وصل الى ديوان النائب العام .. والنائب العام شخصيا ..

قامت الدنيا ولم تقعد .. عند أول زيارة من ذوى الضباط المعتقلين حضر شقيق ذلك الضابط الذى أكد لأخيه المعتقل أنه عرف أن الذى حمل خبر زيارته هو محمد ابراهيم نقد .. فما كان من الضابط المعتقل الا أن يقول لشقيقه أذهب الى نقد وقول ليه ..

" أنا يا نقد .. أنت لما كنت بتجى تزور أهلك .. راكب جمل ولابس توب العرب . حصل يوم واحد أنا بلغت عنك .. وأنت عارف أنا كنت بشوفك لأنى قاعد قدام بيتى مع اولاد الحى وأنت عارف كده . "

هكذا كان معظم أعضاء الجهاز يتمسكون بالخلق السودانى رغم الوظيفة والانتماء لها .

البعثيون

كان تنظيمهم صغيراً فى بداية نظام مايو .. وللحقيقه ان نظام مايو هو الذى ساعد هذا التنظيم ليكبر .. فساعدت البعثات الدراسية الى العراق وسوريا مما زاد فى تجنيدهم أيضاً وتزايد نشاطهم بالداخل للامكانات المادية الكبيرة التى كان يتلقاها من العراق وسوريا ، وتزايد النشاط بصورة ملحوظة حتى شمل عناصر سياسية معروفة فى الجنوب ، لم تكن لتفهم الدعوة لكن بهرها المال المتدفق لها .. وسارت معها .. لكن فى غير ركب الحزب ودعوته . استطاع هذا التنظيم أيضا من استقطاب بعض الضباط فى القوات المسلحة وأغدق عليهم المال .. فكونوا خلايا قوية .. لجأ جهاز الأمن الى إدخال عناصر فى تنظيم البعث ونجح فى ذلك كما نجح مع الشيوعيين ، لهذا إستطاع أن يوجه ضربات قوية ومتلاحقة للبعث .. إلا أن الامكانات المادية كما أسلفنا ، والتى كانت تتدفق الى حزب البعث جعلته أكثر نشاطا من الشيوعيين فى

اصدار المنشورات العدائية ضد النظام والكتابة على الحيطان" وزيادة عدد اعضائه خاصه المتفرغون منه . كما أن اعضائه كانوا يحملون أسلحة ومدربين . لذا لم تكن لاعضاء هذين الحزبين علاقة مباشرة بجهاز الأمن الا تلك العناصر التى جندت وسطها .

حزب الاخوان المسلمين

أو جبهة الميثاق الاسلامى وقتها ، فينقسم تعامله مع نظام مايو الى شقين .. الأول منذ ١٩٦٩ حتى المصالحة الوطنية ١٩٧٧ . والثانى بعد ١٩٧٧ وحتى سقوط النظام .
عند قيام مايو فى ١٩٦٩ ، حين كان توجه النظام شيوعيا ، كان أعداؤه هم الاخوان المسلمين .. كان نشاطهم مرصودا تماما .. لذا فقد زج النظام بكل كادرهم المعروف الى السجون طوال السنتين الاولتين تقريبا من عمر النظام .. وكانت القبضة عليهم حديدية ، لذا لم يكن بامكانهم التحرك .. خاصة وأن من خشى منهم الاعتقال والسجن هاجر خارج البلاد فتفرقوا .. أيدى سبأ .
كان هذا هو حال هذه الجماعة حتى اختلف النظام مع الشيوعين فكانت الحملة ضد الاخوان قد أخذت تخبو قليلا .. رغم أنهم ما زالوا فى المعارضة لكن معظمهم خارج البلاد .. حاولت الأجهزة الأمنية أن تجند منهم فلم تفلح كثيراً لكن تعاون بعضهم من على البعد ، فإكتفت الأجهزة برصد الكوادر المعروفة والسعى لمعرفة الكوادر الجديدة
بعد المصالحة مع النظام ، قررت هذه الجماعة أن تعمل أولا من داخل السودان .. وثانيا من داخل النظام .. كانت الأجهزة تتابع نشاطهم ورصدها ، لكن كانوا أكثر التصاقا بالنظام .. فأصبحت بعض كوادرهم تقدم متطوعة معلومات عن نشاط

الاحزاب الأخرى .. وقد كانت مفيدة .. ويبدو أن قيادتها قد أشارت لهم بذلك .. واستفاد الجهاز من المعلومات بعد تمحيصها وتقييمها .. وتعاونوا مع القسم العقائدى والكنسى والدينى .. وذهبوا الى أبعد حدود التعاون مع الجهاز حيث قدمت منظمة الدعوة الاسلامية هدية لأحد الأقسام عباره عن عربة تايوتا ووعدت بعربتين أخرتين .

يمكن أن نقول أن هذه الجماعة تعمل ألف حساب للجهاز كغيرها من الأحزاب الأخرى .. لكنها وضعت خطة لتحييد الجهاز بالتعاون التام معه ، كما فعلت أيضاً مع الأجهزة الحكومية الأخرى فاستطاعت أن تجد لها موطىء قدم .. بل وفى وزارت معينة .. كانت قد استطاعت أن توظف كثيرا من عناصرها بها .. كوزارة التجارة ، واستطاعت من خلال الوزير فى المواقع أن تعين عناصرها كما حدث فى ديوان النائب العام . الا أننا يجب أن نعترف للأمانة أن جهاز الأمن قد فشل فى تجنيد اعضاء بالتنظيم .. لذا عندما صدرت التعليمات بالقبض عليهم وإعتقالهم .. كانت القوائم تشمل الكثير من الاخطاء .. حتى شملت بعض الذين توفاهم الله .. ولم تشمل الكوادر الجديدة التى لم ترصد بدقه لذا وضح أن نشاط الجماعة لم يتوقف رغم اعتقال القيادة ومعظم المعروفين .

لقد فشل الجهاز فى وضع يده على عناصر تنظيم جبهة الميثاق الاسلامى لأسباب كثيرة أهمها أن النظام كان يبحث عن أنصار له ومؤيدين .. تحصل الجهاز على وثيقة هامة عند إنشقاق أحد الطلاب الجامعيين من التنظيم والتقدم بإستقالة مكتوبة مطولة ، هاجم التنظيم وفضح اسلوبه فى بعض الممارسات . كانت الوثيقة يمكن ان تساعد الجهاز فى معرفة تلك الأساليب التى أشار اليها الطالب لولا ضيق الوقت بين الحصول عليها واعتقال الاخوان .

ثم أن هناك مسأله أخرى جديرة بالاهتمام وهى أن العناصر التى كانت تمد جهاز الأمن بالمعلومات استفادت من اتصالها بالجهاز لمعرفة المطلوب وفى ذات الوقت نصبت من نفسها جهازاً خاصاً للجماعة ، وبذلك كونت للجماعة نواة لعناصر أمن التنظيم .

هناك إدعاء بان نظام مايو سقط لأنه استعدى جبهة الميثاق الاسلامى لأنهم استطاعوا أن يحركوا الشارع بعد اعتقال قادتهم .. هذا القول مردود لسبب بسيط هو أن الجماهير حركها إعتقال أعضاء نقابة الاطباء ، التى تضامنت معها نقابات المهندسين ، المحاسبين والصيارفه ، فى موكب الاربعاء الشهير .

استطاع الجهاز أن يرصد كل نشاط الجبهة من شركات تجارية ، ووكالات تابعة لها ، مجلس وزراء الجبهة ، الوكالة الخيرية الافريقية .. وهى جهاز أمن جبهة الميثاق الاسلامى .

ولعله من المفيد أن نذكر أن جبهة الميثاق على العكس ، قد استطاعت أن تجند بعض عناصر الجهاز لصالحها . بل أكثر من ذلك استطاعت أن تحتضن كثير من اعضاء الجهاز بعد حله لسبب بسيط هو أنها وقفت موقفا مغايراً عن الأحزاب السودانية ، حيث كانت صحفها هى الصحف الوحيدة التى لم تقبل بحل الجهاز .. وتطرقت لذلك .. لكن فى كثير من التحفظ . الا أن سعى قادتها الى عناصر الجهاز وتقديم كل عون لهم ومساعدتهم مادياً ، خاصه الذين كانوا فى حاجة الى مساعدات مادية أو عمل .. فقد وجدوها عند هذه الجماعة .. سنتطرق الى هذا بالتفصيل فى موقع آخر أيضا .

هذا ما كان من أمر هذه الأحزاب والجماعات الصغيرة .. وعليه هل كانت هناك علاقة بين أجهزة الأمن والأحزاب السياسية كأحزاب ؟ فى واقع الأمر أن العلاقة التى نشأت بين جهاز الأمن وبعض الأحزاب كانت علاقات شخصية فردية ، وذلك بمعنى أن هناك أشخاصا ينتمون أو كانوا ينتمون الى الأحزاب السياسية ، قامت علاقه بينهم وبين الجهاز . كان شكل العلاقه فى إحدى هذه المحاور :

١ ـ أشخاص تركوا أحزابهم أو تنظيماتهم وأنضموا الى ركب مايو

٢ ـ أشخاص كانوا يتعاملون مع الأحزاب بحكم المصلحة فرأوا أن مصلحتهم تتطلب منهم أن يتعاونوا مع مايو .. وبالتالى مع أجهزة أمنها .

٣ ـ أشخاص فرضت عليهم ظروفهم المعيشية أن يقدموا معلومات الى الأمن حتى لا تضار مصالحهم .

٤ ـ أشخاص لم يتحملوا معاناة القبض والاعتقال ، ومعاناة أسرهم فقدموا معلومات للأمن وتعاونوا معها .
٥ ـ أشخاص تربطهم صلة أو صداقة بسلطة مايو أو أحد أعضاء الأجهزه أو تقربوا منها
٦ ـ أشخاص رأت قيادة الأحزاب أن يكونوا همزة وصل بينها وبين مايو تمهيدا لحوار وقع أو يتوقع أو لتخفيف اجراءات الحكومة تجاهها أو معرفة نوايا السلطة تجاهها .

الحزب الاتحادى الديمقراطى

منذ فجر انقلاب مايو وجد الشريف حسين الهندى يأخذ طريقه الى خارج البلاد الى اثيوبيا .. حيث آواه الأمبراطور هيلاسى ، حينما كان الأمبراطور لاجئاً فى السودان عام ١٩٣٦ وهكذا أصبحت أثيوبيا ملجأ لكل معارض من السودان بغض النظر عن انتماءه السياسى بالسودان .
أما الختمية وهم الجماعة الدينية للحزب الاتحادى فقد أصبحوا معارضين حين كثفت مايو هجومها على الطائفية ووصفتها بالرجعية هذا لم يمنع من اشتراك البعض من الاتحاديين فى السلطة ، خاصة بعد ضرب الشيوعيين .
عموماً ، كان الحزب الاتحادى الديمقراطى يتأرجح بين التأييد والمعارضة .. وكانت سلوكيات أفراده متباينة تجاه النظام ، وكان موقفه قد تمثل فى الآتى :
١ ـ معارضة النظام من الخارج بقيادة الشريف حسين الهندى
٢ ـ معارضة داخلية أنفرد الأتحاديون باسلوبها ، أذ تمثلت فى المعارضة الدينية للنظام تحت قبضة الشيوعيين ، محاربة النظام من الناحية الاقتصادية ، كان النظام حريصاً على أن يدمر الرأسمالية التى تنتمى الى الحزب ، بينما كان الحزب حريصا على أن يدمر النظام بمحاربته إقتصادياً ، والتى تمثلت فى إخفاء الذره بالمناقل .. شراء الخبز وبكميات كبيره والقائه فى النيل لخلق ندرة .. الخ تلك الاساليب .

٢ ـ فئة فضلت الوقوف مع النظام بعد أن تخلص من الشيوعيين لأنهم كانوا ينتمون الى حزب الوسط ، واتخذ النظام خطا وسطا ، لذا لم يجد الجهاز صعوبة فى تجنيد عناصر له داخل الحزب ، بل وأرسل بعضها للخارج لمتابعة نشاطهم .

لم يقف الحزب مع النظام ، لكن القيادة الدينية سعت سعيا حثيثا لاسترداد حقوقها المصادرة ، وكان صمام الأمان لئلا تقوم بعمل عدائى هو السعى وراء استرداد الحقوق ، وهكذا استرد الاتحاديون " الختمية " كل ما فقدوه من أملاك .. بل عين السيد أحمد الميرغنى عضوا بالمكتب السياسى للاتحاد الاشتراكى ، وكذلك عين السيد أحمد السيد حمد وتقلد مناصب وزارية واشترك بفاعلية فى تنظيم الاتحاد الاشتراكى .. وعلى العكس من ذلك تماماً لم يشارك السيد أحمد الميرغنى قط فى مداولات اجتماعات المكتب السياسى ، حتى اعتقد نميرى ان السيد أحمد الميرغنى " لا يعرف الكلام " قالها عنه بعد سقوط النظام المايوى وبعد أن عين السيد أحمد الميرغنى رئيسا لمجلس السيادة .

كانت علاقة اللواء عمر محمد الطيب ببيت الميرغنى قوية ومتصلة ، بل وضم الجهاز بعض العناصر القريبة لهذا لهذا البيت بحكم انتماء أسرهم لطائفة الختمي ، منهم على سبيل المثال حاج التوم " الجرق " وخضر الحسن وهاشم أبورنات.

كانت صلتى (١) بالسيد محمد عثمان الميرغنى مباشرة بصفتى مديرا لمكتب اللواء عمر .. ذات يوم أخطرنى الأخ حاج التوم بان السيد محمد عثمان الميرغنى هنأ اللواء عمر بمناسبة تعيينه نائبا أول وأن السيد محمد عثمان قد أخطر جموع الختمية بالتعاون مع اللواء عمر محمد الطيب وان موقفهم من نميرى ما زال قائماً كما كان .

أما الاتحاديون جناح الهندى فكانوا يعارضون النظام بالرغم من الحوار الذى جرى بين الهندى والنظام متمثلا فى اللواء عمر حتى تم الاتفاق فيما سمى باتفاقية لندن والتى لم تثمر

---

(١) العقيد/ابورنات

حتى وفاة الشريف الهندى .. الا أن قنوات النظام كانت ممدودة بين النظام والشريف حسين الهندى وقد تمثلت فى نقل وجهة نظر المعارضة الى النظام ونقل وجهة نظر النظام الى المعارضة .. الشريف حسين الهندى كان حريصاً فى تعامله مع الجهاز و كان يثق فقط فى اللواء عمر محمد الطيب هناك مجموعة من السياسيين وافقت على العمل مع نظام مايو وقبلت مناصب سياسية كبيرة ، رغم رأيها فى النظام. كانت تلك المجموعة التى تنادى بالاتحاد مع مصر والتى قبلت المناصب لتقارب النظام مع مصر .. هذه المجموعة لم تكن ذات صلة مباشرة بالجهاز.

حزب الأمة

الحزب الذى وقف أكثر صلابة ضد مايو ودخل فى مواجهات عديدة تمثلت فى حوادث ود نوباوى والجزيره أبا .. واشتراك مع الجبهة الوطنية فى أحداث المرتزقة يوليو ١٩٧٦ .. رغم ذلك فقد تصالح الحزب مع نظام مايو واتفق السيد الصادق المهدى مع نميرى ببورتسودان وأنهى معارضته الخارجية .. وقبل الاشتراك فى دخول التنظيم السياسى الاتحاد الاشتراكى .. المكتب السياسى حتى تجمدت المصالحة ولم تثمر.

استطاع الجهاز أن يجند بعض المصادر لتعمل بين صفوف حزب الأمه ، خاصة فى معسكرات التجنيد والتدريب فى أثيوبيا وليبيا .. حتى فى معسكرات الأنصار لاحقا .. كانت طريقة التجنيد من الصعوبة كشفها لأنها كانت من ابناء الأنصار .. وكانت سليمه وصحيحه وقد ذهب هؤلاء المجندون الى معسكرات التدريب الى ليبيا واشتركوا فى التدريب حتى قبيل الغزو حيث أضطر الجهاز الى سحب هذه العناصر. خشية كشفهم ، أذ ان بقاء مثل هذه العناصر طويلا فى تلك المواقع قد يؤدى الى كشفها.

هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى كان لمسألة الخلاف الأسرى أكبر الآثر فى معرفة ما يدور فى الحزب .. لقد أفادت هذه الخلافات الأمن وأضرت بالحزب ،

كما ذكرنا من قبل ، كانت صلة اللواء عمر محمد الطيب قوية ببيت المهدى وبالصادق المهدى الذى كان يثق فيه كثيراً ويرى فيه كل الأمل .. بعد المصالحة زادت ثقة السيد الصادق باللواء عمر وأصبحت الاتصالات مباشرة ورسمية ليست بالصادق وحده .. بل بكل عناصر المعارضة .. كان اللواء عمر يتصل بابناء الامام الهادى .. د . عمر نور الدائم و ميرغنى ضيف الله ، كانت الجلسات بين اللواء عمر والسيد الصادق تطول وهذا مما مهد لبعض العناصر أن تتصل باللواء عمر مباشرة كالدكتور عمر نور الدائم د . عبد الحميد صالح . كانت حجة إلتقائهم وإجتماعهم مع اللواء عمر هى مسألة الأنصار ومعسكراتهم وكيفية رجوعهم، لكن دون شك كانت المواضيع الأخرى التى تتعلق بالنظام وكيف يسير والمصالحة تناقش وتطرح داخل الجهاز . ولم يكن ذلك غائباً على العاملين فى الجهاز .. وكانت تلك معركة الذكاء بين الواردين الى الجهاز وبين ضباطه .. الجهاز يحاول استثمار المعلومات بالتقاط الكلمات بغض النظر عن النوايا ، ونذكر فى هذا المجال قصة كان بطلها ميرغنى ضيف الله ، من الذين اعتادوا الحضور للجهاز ومقابلة اللواء عمر محمد الطيب ، فى أحد أيام ١٩٨٢ وردت معلومة من أحد المصادر يقول أن بعض القوات العاملة بسلاح المدرعات سوف تتحرك الى فتاشه ، ومن هناك ستقوم بمحاولة انقلابية وأن مدير الانقلاب هو ميرغنى ضيف الله .. وفى تلك اللحظة حضر ميرغنى ضيف الله طالبا اللواء عمر ..كانت المعلومات أولية وتستدعى البحث والتمحيص .. فلم يسمح له بمقابلة اللواء عمر .. وحاول مقابلة البعض الآخر .. فم يفلح ، فخرج ويبدو أنه لاحظ فى العيون شيئا .. بعد نصف ساعة اتصل تلفونيا بالعقيد هاشم أبورنات مدير مكتب اللواء عمر قائلا : ـ

آلو .. السيد هاشم يأخى كنت عاوز أقابل اللواء عمر .. لكن شايف أنه مافى طريقه .. المهم كلمه وقول ليه أنا مسافر القاهره هسع وكنت عاوز أودعه لكن مافى طريقه .

فرد العقيد هاشم

.. حاضر حأبلغه ..

سافر ميرغنى ضيف الله الى القاهرة ولم يعد الا بعد عدة شهور بعد أن اطمأن الى أن معلومات الانقلاب لم تتسرب بالرغم من أن الجيش قد تحوط والغى مهمة المدرعات بفتاشه.
كان الجهاز يقوم بالمراقبة المستمرة للسيد الصادق المهدى ود . عمر نورالدائم والآخرين رغم إلتقائهم باللواء عمر .. لأن ذلك لم يكن ليمنع من رفع تقارير تفصيلية بنشاطهم ولايستطيع اللواء عمر أن يوقف تلك المراقبة .
بعض هذه العناصر كانت تتعاون مع الجهاز وكان الجهاز يساعد البعض منهم مساعدات شخصية سنأتى لذكرها فى موضع آخر .

الأب فليب غبوش والمصالحة الوطنيـــة ..

ولد فيليب غبوش بجبال النوبه ،كان مسلماً اسمه عباس غبوش وتنصر على يد قسيس المنطقه فأصبح يسمى بفيليب عباس غبوش إقتحم الأب فيليب ميدان السياسه ولمع نجمه فى الستينات عندما فاز بالتزكيه عن دائرته بجبال النوبه . عرف عن الأب فيليب أن القضية التى يتبناها هى قضية الطبقات المقهورة.. خاصة أبناء جبال النوبة . حضر الأب فيليب الى الخرطوم كنائب برلمانى فبدأ بإستقطاب أبناء جبال النوبه وبعض الجنوبين .. كان حديثه معهم عن معاناة هذه الطبقة التى لم تنل قدراً كافياً من التعليم ، التى تمتهن المهن اليدوية المنهكة . كان يحثهم رفض نمط تلك الحياه وأنه يمكن أن تكون حياتهم أحسن لو أن هؤلاء العرب " يقصد أهل الشمال " قد خرجوا من أرضنا . أخذ فيليب يحدثهم كيف كان العنصر الزنجى هو صاحب السودان وحاكمه ، عن الممالك القديمة خاصة مملكة "علوه "، أضحىحديثه مؤثراً ،أصبح له أنصار من المتعلمين ،كوّن حزباً سياسياً سمى " رابطة أبناء جبال النوبه " . بدأ الحزب يأخذ شكله التنظيمى وأصبحت له عناصر فى الجيش والبوليس من الجنود وضباط الصف وبعض الضباط المترقين من الصفوف .

كان عام ١٩٦٩ عام توتر فى الجمعية التأسيسية " البرلمان " . فالحركات العنصرية والنعرات القبلية بدأت نشاطاً ملحوظاً ساعدها في ذلك الفوضى السياسية . كان ألمع الحركات العنصرية التى أخذت تظهر وتبدو خطيرة هي حركة " سونى " لأبناء إقليم دارفور بغرب السودان ، وحركة أبناء جبال النوبة . كان فيليب غبوش مؤمناً إيماناً قاطعاً أن العرب يجب أن يذهبوا ، بالتالى شرع فى مخطط لإحتلال الخرطوم وربما الإستيلاء على الحكم " نُذكر ما كان يجرى على الساحة السياسية وقتها ". المخطط لم يخرج عن كونه مجزرة متوقعة ولا يعرف ماذا سيحدث بعدها. تجمع أبناء جبال النوبة فى منطقة عشش فلاته وقرروا أن تكون

ساعة الصفر هي نفس اليوم الذى إستولى فيه الجيش على السلطة بقيادة العقيد أ.ح جعفر محمد نميرى ، والذى تمت ترقيته فوراً الى رتبة اللواء . كان هذا التحرك العسكرى كفيلاً بتأجيل موعد تحرك التنظيمات العنصرية التى تم كشفها فيما بعد وتقديمهم للمحاكمة.

بعدها إنضم الأب فيليب غبوش الى المعارضة بالخارج . كان مركز نشاطه في يوغندا اذ ظل يمارس ذلك النشاط المعارض للدولة ، لم يكن ذا أثر كبير كما كان من قبل إلا أن الفكرة كان لها صداها وسط أبناء النوبة ، ومن المعروف أن عدداً كبيراً من أبناء النوبة كانوا من العسكريين العاملين بالقوات المسلحة والقوات النظامية الأخرى عند إبرام إتفاقية أديس ابابا كان لدى فيليب غبوش أربعة من أبناء النوبة يعملون تحت لواء قوات التمرد بقيادة اللواء جوزيف لاقو ، وكان أشهرهم المدعو عبد المسيح الفضل ترنال . إنضم هؤلاء الأربعة الى القوات المسلحة. كان لتنفيذ إتفاقية ابابا و ما حققته من مكاسب لأبناء الجنوب قد أثار حفيظة الطبقات المقهورة فى درافور وكردفان وشرق السودان . كانت المعارضة على علم بهذا فأصبحت تعمل من خلال تنظيماتها السرية وسط أبناء هذه المناطق ، حيث أصبح معظم الجنود يقارنون أمورالترقيات والإمتيازات ، بأقرانهم من أبناء الجنوب مثال ذلك أن يكون احد أبناء كردفان برتبة الرقيب وتحت أمرته جندى من ابناء الجنوب ، قد يكون هذا الجندى تم رفته من الخدمة لسوء السلوك فإنضم الى قوات التمرد وبعدتوقيع إتفاقية أديس ابابا يعود هذا الجندى برتبة أعلى ، كالرائد أو النقيب ، ويصبح تحت أمرته نفس ذلك الرقيب . إستثمرت المعارضة مثل هذه الثقرات فاصبحت تعزف على هذا الوتر وسط أبناء النوبه ، بدأت تجرى المقارنات والتساؤلات تطرح نفسها . كان أفضل مثال لهذه التساؤلات هو "الصول " مساعد إسماعيل هوّان " الذى لقى احترام كل ضباط القوات المسلحة اذ يطلقون عليه " العم إسماعيل " لأنه كان معلما فذاً بمدرسة المشاة حيث تدرب على يده معظم ضباط القوات المسلحة. كان عم إسماعيل قد أُحيل على التقاعد ثم أعيد تعيينه مرة أخرى " كعائد خدمة " بكتيبة العائدين التى إستقرت بجوبا التى ليست ببعيده عن يوغندا حيث كانت الطرق ممهدة والتمرد قد توقف . بدأت المعارضة فى مغازلة عم إسماعيل هوان

حيث كان يستشير محمد شيخ الدين شارف سكرتير إتحاد جبهة جبال النوبه والعقل المخطط للأب فيليب غبوش . كان مجمل الحديث ينصب فى الآتى :

يا عمى إسماعيل أنحنا عشان ما إتمردنا وعشان ما دخلنا الغابه مظلومين وحقوقنا مهضومه .. يا عمى إسماعيل شوف الجنوبيين بقوا كيف .. حسه لو كان عملنا تمرد ودخلنا فى إتفاقية أديس ابابا ما كنت بقيت لواء .

وطبعاً كانت هناك أحاديث أخرى عن التخلف وعن معاناة أبناء النوبة وعن إستعباد العرب لهم وعن هوية السودانيين الاصليين وأن "العرب غزاة" . كان هذا الحديث يدور داخل تنظيمات أبناء النوبة فى الجنوب ، كان فى جوبا رجل من أبناء النوبة يعمل فى مجال التبشير المسيحى ، له طموحات وافكار عنصرية ، كان مدرساً للدين المسيحى بمدرسة جوبا العليا يدعى " يونس دومى كالو " كان يونس وشخص آخر يدعى تاور يعملان فى وسط أبناء النوبه وأبناء الجنوب ، عندما شارف عام ١٩٧٦نهايته كانت الصراعات وسط أبناء الجنوب قد بدأت ، كان بعضهم قد تمرد وهرب الى الغابة . كان الصراع بين أبناء الإستوائية وقبيلة الدينكا " النيليين " قد بدأت بينما كانت بعض عناصرقبيلة النوير قد سبقتهم وتمرد معظم أبناءها العاملين بالجيش . وسط هذا الجوكان العمل سهلاً لفيليب وجماعته ، فعملوا على تركيز افكار محددة وقرروا أن يضموا جنوب السودان الى يوغندا . كان الرئيس السابق عيدى أمين موالياً لهذه الجماعة بحكم أن معظم جنود جيش عيدى أمين الذين ساعدوه فى الإستيلاء على السلطة من أبناء المديرية الإستوائية فى جنوب السودان ، كانوا آنذاك لاجئين بيوغندا فجندهم الرئيس السابق أبوتى بمساعدة عيدى أمين . بعد ابرام إتفاقية السلام لجنوب السودان عام ١٩٧٢، لم يشأ معظمهم العودة الى السودان لأنهم كانوا فى وضع افضل فى يوغندا ، فعملوا على فصل الجنوب وضمه الى يوغندا (تمرد الكتيبه ١٠٢ باكوبو وقتل قائدها العقيد ابل كول أرثر ١٩٧٥)

أمام هذه الظروف كان العمل سهلاً بالنسبة للمعارضة فى يوغندا حيث لها قنواتها الممتازة داخل النظام ، بالتالى تمكنت من إقناع عيدى أمين بالوقوف لجانبهم إلا ان الرئيس أمين لم يشأ أن يورط نفسه بالتزام صريح فترك لهم أن يقوموا بما يريدون دون أن

يدخلوا حكومته فى حرج ، حضر هذا الإجتماع فيليب انقتوا وحسين ماريلا وبعض السياسيين والأب فيليب غبوش ومحمد شيخ الدين شارف ، هكذا إكتملت حلقات الخطة . وأصبحت القوات فى جوبا مهيأة ، الإعداد للخطة كان كاملاً .. عقدت الإجتماعات بين العسكريين اذ كان تواجدهم لا يثير أية شكوك .
وضعت الخطة إلا أنها خَلَت من أهم عنصر حربى وهو القصد الواضح من العملية ، وقد أوضحت سجلات التحقيقات أن التخطيط قد تفرع الى عدة أفكار غير مرتبة ، الفكرة كانت تسديد ضربة الى نظام مايو وإغتيال رئيسه وفصل الجنوب وضمه الى يوغندا .. كان التنفيذ ينقصه كثير من التفاصيل الدقيقة والتى تؤدى فى النهاية الى تحقيق الهدف . على أى حال فقد أصبح العسكريون مهيائين .
كانت الخطة تقضى أن يتم التنفيذ يوم ٢ مارس ١٩٧٧ يوم الإحتفال بعيد الوحدة ، التاريخ الذى يحتفل فيه بتنفيذ إتفاقية أديس ابابا التى أنهت حرباً عمرها سبعة عشر عاماً ، بدأت منذ عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٧٢ . (بنهاية ٢ مارس ١٩٧٧ كان عمر اتفاقية اديس ابابا خمسة سنوات ،المدة التى قدر ان يتم فيها اكمال دمج القوات المستوعبة فى القوات المسلحة ، احد ما سمى ببنود اتفاقية اديس ابابا السرية ، حيث لم يرد ذلك فى نصوص الاتفاقية .) قسمت جوبا الى ثلاثة قطاعات القطاع الأول منطقة المطار. القطاع الثانى القيادة العامة فى جوبا . والقطاغ الثالث منصة الإحتفال بعيد الوحدة ، التى ستضم جميع المسئولين فى تلك اللحظة بما فيهم الرئيس نفسه. تبدو الخطة ذات فكرة محكمة عندما نعلم أن إحتلال القيادة والمطار سوف تعزل جوبا عن كل إتصال بالعالم الخارجى بينما يتم القضاء على جميع المسئولين داخل المنصة فى ذلك الإحتفال. إلا أن إرادة الله قد تشاء شيئاً لا يكون فى حسابات البشر . كان من ضمن الجنود الذين تم تجنيدهم لتنفيذ العمليه أؤلئك الذين تمَ إخلاء سبيلهم أو رفتهم من الخدمة لأسباب مختلفة . كان أحد هؤلاء الجنود مدمناً للخمر ، تعودالجلوس فى أحد مجالس الخمور البلدية القريبة من القيادة العامة ليحتسى الخمر .. كانت القيادة العسكرية تراقب هذا المجلس بعناصر استخباراتها العسكرية .. كان هذا الجندى مستهتراً لحد بعيد .. وفى نهاية يناير ١٩٧٧ الخطة على مشارف

نهايتها سكر هذا الجندى وتفوه بعبارات غامضة ثم ذهب الى منزله وإرتدى زيه العسكرى . لاحظ فرد الاستخبارات أن هذا الجندى خارج الخدمة و يلبس الزى العسكرى .. فقام بكتابة تقرير عنه حيث صدر الأمر للبوليس الحربى بالقبض عليه ، لم يدر بخلد أحد أن سلوك هذا الجندى قد كشف معلومة خطيرة . وفى ذات الوقت تقدم أحد ضباط الصف الى ضابط إستخبارات الفرقه الأولى ليحدثه عن التخطيط .. كان يقول أن إجتماعات تعقد بمختلف أنحاء مدينة جوبا .. إتصل ضابط الإستخبارات بمديرأمن الإقليم الجنوبى وأطلعه على المعلومة ليساعد فى مراقبة الإجتماعات .. خاصه أنها تضم عسكريين ومدنيين فى أوقات لعب "النقارة" هكذا كشفت الخطة الكاملة لإحتلال مطار جوبا (المقدم وقتها محمد المهدى عبدالرحمن ضابط إستخبارات الفرقه الأولى والعقيد وقتها محمد عبدالعزيز مدير أمن الإقليم الجنوبى) بدأ التحقيق مع الجندى ، عندما شعرت بعض العناصر أن أمرها قد كُشف قرروا أن يتحركوا بسرعة .. فعلاً تمَ إحتلال مطار جوبا فى فبراير ١٩٧٧ عقب بدء التحقيق مع احد صف الضباط. أستعيد المطار بواسطة قوات القيادة العامة فى صباح اليوم التالى إذ أن التمرد بدأ عصر يوم ١١ فبراير ١٩٧٧ . وقام ضابط محال على المعاش بقيادة القوة وإسترداد المطار وهو الضابط على حسين والذى أُعيد الى الخدمة بعد ذلك.

كان الحدث ذو صدى واسع خاصة أن جوبا عاصمة جنوب السودان وأن إتفاقية أديس ابابا يجرى تنفيذها من داخل أروقة الحكومة بها ، كما أن مشاريع التنميه كلها تتمركز حولها . وهناك وجود لبعض الدول الأوربية والعربية بها .

نشطت أجهزة الاستخبارات والأمن لتكشف أبعاد المخطط بكامله .

فى نهاية فبراير تمَ إعتقال مجموعة المنصة ومجموعة القيادة العامة بقيادة العم " المساعد صول " إسماعيل هوان الذى كان مسئولا عن تأمين المنصة وعليه ان يقوم بوضع حراسة بالمدافع كخطوط ثابتة فى شكل مثلث ، لتقوم بالضرب على المنصه من ثلاثة جهات بدلاً من حمايتها من ثلاثة جهات ، بينما تقوم عناصر مسلحة بأسلحة خفيفة أخرى بالضرب حول أضلاع المثلث من داخله بزوايا معينه . و هذا بما يسمى بالكمين المثلث وهو من أخطرانواع "الكمائن" اذ نادراً ما يخرج منه شخص حى . كانت

الخطه محكمة ، لكن يبدو أنهم لم يضعوا فى تصورهم فشل خطتهم لذلك لم يضعوا لها أى بديل . سأل المحققون العم إسماعيل عما سيعمله بعد فشل الخطةفقال :

نرمى السلاح ونجرى .. نجرى .. نجرى لحدى ما ندخل يوغندا .

ثبت لدى السلطات بما لا يدع مجالاً للشك أن يوغندا تعلم عن الخطة وأن فيليب غبوش ومحمد شيخ الدين غارقون حتى أُذنيهم فى هذا التخطيط. كانت هذه أول مرة يشعر نظام مايو بخطورة فيليب غبوش وخطورة تواجده فى يوغندا . فتابعت أخباره أكثر بدأت بعض المعلومات تتحدث عن مكتب له فى يوغندا وآخر فى جوبا . هكذاأصبح فيليب وتنظيمه على الساحة.

فى نهاية عام ١٩٧٧ عينت قنصلاً عاماً بيوغندا ، (١) كان أول أهدافى الوقوف على حقيقة نشاط الأب فيليب غبوش وجماعته ، وبما أنى كنت أعرفهم معرفه تامة سهل ذلك من مهمتى إلا أن مصادرنا داخل كمبالا حتى تلك الفترة لم تكن قد قابلت الأب فيليب بالرغم من أنها على علم بتحركاته . كان حرص عناصرنا وما نتج عن إغتيال القنصل المرحوم توفيق محمد عبد الحليم الذى اغتالته عناصر الانيانيا بمساعدة جنود عيدى أمين بعد ان إختطفته من أحد الأندية الليلية . جعل رصد العناصر المعادية فى كمبالا يتم بكثير من الحرص كان لهذا الحرص نتائجه السلبيه أيضاً ، وقد يؤدى الى عدم إكتمال دورة الحصول على المعلومات نفذت المصالحه الوطنيه الجزئية بعودةالسيد الصادق المهدى وإنضمام الأنصار الى المصالحة تبعهم جماعة الاخوان المسلمين .. بينما ظل بالخارج معارضاً الشريف حسين الهندى "الاتحادى الديمقراطى" وبعض الجنوبيين "قوردون مورتات" وجماعته وفيليب غبوش وجماعته . كان شعار الوحدة الوطنية والمصالحة هو الشعار المرفوع آنذاك ، وكان أحد العناصر البارزة فى موضوع المصالحة الوطنية فى ذلك الوقت هو اللواء عمر محمد

---

(١) العقيد ابورنات

الطيب . إستقريت فى يوغندا وعرفتها تماماً ، كان علىّ أن أطرح ما أعتقد أنه صحيح ، ليساعدنى على إداء واجبى على الوجه الأكمل .. بدأت الاتصال بعناصر تنظيم جبال النوبة ، كنا نسمع عن تنظيمهم اخباراً مخيفة ومرعبة . لكن كنت أعلم أن درب السلام لابد أن يكون شاقاً .

كان محمد شيخ الدين شارف سكرتيراً لتنظيم إتحاد جبال النوبة الذى يقوده الأب فيليب غبوش . كان شيخ الدين تاجراً بكمبالا له علاقات واسعة فى يوغندا بحكم أنه يكتب التعاويذ " الحجبات " لليوغنديين من الجنود والسيدات والرجال ، فأصبحت علاقاته الواسعه تمكنه من الجمع بين التجارة وممارسة السياسة حسب قدراته . كان مشهوداً له بالكرم مما جمع حوله مجموعة طيبة من السودانيين واليوغنديين .. لم تكن شخصيته تخلو من دهاء وذكاء .. وكان معادياً للسفارة بدرجة كبيرة ، يعلنها أمام الملأ .. لا يتوانى عن مواجهة المسئولين أمام مريديه .. لكنه كان ماهراً فى مهادنتهم فيما بعد .

بعد تسلمى عملى بيوغندا كان يساعدنى كمساعد للقنصل شخص خبير ذا علاقات واسعة مع علم متقن بفنون المخابرات ، ذلكم هو الشيخ محمد الشيخ ، تناقشنا سوياً فى بعض الأمور ووجدنا أن هدفنا الأول الدخول فى حوار مع شيخ الدين لإقناع الأب فيليب غبوش لقبول المصالحة الوطنية والعودة الى البلاد ليعمل من الداخل .. لم يكن الأب فيليب غبوش راضياً حتى ذاك الوقت بالمصالحة . بدأنا حوار شيخ الدين والإلتقاء به .. كان واضحاً أن شيخ الدين فى دخيلة نفسه أصبح راضياً بقبول المصالحه .. لكنه لم يرد أن يلين بسرعة ليدخل معنا فى حوار مباشر .. أخيراً إقتنع الرجل ، كنه اسَر أنه لا يستطيع إتحاذ القرار منفرداً حتى يتأكد من موقف الأب فيليب والآخرين .. سافر شيخ الدين الى ليبيا لحضور مؤتمر الجبهة الوطنية والذى تنظمه مجموعة الهندى . عندما عاد شيخ الدين من ليبيا كانت لديه قناعة تامة أن المصالحة هى الأفضل . فجاء الينا معرباً عن قبوله . كانت المرحله التالية هى مرحلة إقناع الأب فيليب غبوش . لكننا وجدنا رفضاً تاماً من جانبه . لم يكن هذا ليثنينا عن عزمنا .. فكررنا المحاولات ، حتى وصلت المحاولات أخيراً الى تسع محاولات .. وأخيراً وافق على مقابلتى . كانت هذه الموافقة فى حد ذاتها

خطوه نحو الأمام . جاءنى رسول فى اليوم التالى يحدد لى أنه ستتم المقابلة فى الثانية عشر ليلاً ، المكان سوف يحدد فيما بعد ، ووضعوا شروطهم للمقابلة .. لا أسلحة .. لا كاميرات .. لا عربات ، أن مهمتهم هى اصطحابى لوحدى الى مكان ما بعرباتهم . ربما يبدو الأمر سهلاً إذ أن مقابلة كهذه فى أى بلد آخر قد تبدو مقبولة إلا فى يوغندا وفى عهد دموى كعهد الرئيس السابق عيدى أمين فهى تعنى الكثير ، فمقابلة كهذه تستوجب الرجوع بنا الى ذكرى المرحوم النقيب توفيق الذى كان قنصلاً للسودان بيوغندا . كان رحمة الله عليه رجلاً شجاعاً جسوراً .. جاء الى يوغندا ليعمل كضابط استخبارات ، إذ كان الموقف متوتراً بين يوغندا والسودان . قبل وصوله كان الرئيس السابق عيدى أمين قد طرد سفيرالسودان وملحقه العسكرى ، فكانت هناك حاجة شديدة لعنصر إستخبارى ليعمل فى يوغندا المتآخمة للحدود السودانية ، والتى تقدم دعماً قوياً للتمرد فى جنوب السودان خاصة أن معظم قادة وأفراد جيش عيدى أمين كانوا من إصول سودانية جنوبية . علمنا أن توفيق عندما تقرر نقله الى يوغندا .. تقرر أن ينقل فى وظيفة محاسب ، وقد صدرت اليه تعليمات بألا يظهر بمظهر ضابط الأمن وأن يؤدى مهمته دون أن يسكن فى مسكن الملحق العسكرى أو أن يستعمل عربة الملحق العسكرى. قد يتساءل القارىء ما هى العلاقه بين توفيق كقنصل ووظيفته المكتوبة على الجواز كمحاسب .. وللسائل أقول أن وظيفة الملحق العسكرى هى وظيفة استخبارية بحتة .. لذلك يتم إختيار الملحق العسكرى عادة من الإستخبارات العسكرية أو أن يتم إختياره من الوحدات الاخرى ثم يتلقى تدريباً استخبارياً معيناً داخل الاستخبارات قبل ذهابه للمحطة التى تمَ اختياره لها .. لكن كل ذلك يخضع لنوع ومكان المحطة المختارة. يقوم تساؤل ماهى العلاقه بين القنصل والملحق العسكرى ..؟ وهنا أقول له .القنصل غالباً ما يكون ضابطاً للأمن وله علاقة بعمل الأمن الخارجى ، ربما كان ضابطاً من البوليس أو من القوات المسلحة ، وربما كان ضابطاً معيناً بالجهاز بعد تخرجه من الجامعة . قد يوجد بالمحطة الواحدة ملحق عسكرى وقنصل . ونحن مجازاً نسمى ضابط الاستخبارات بالسفارة قنصلاً لأن هذه هى العادةالتى جرت ابان نظام مايو ، ربما كان ضابط الاستخبارات فى هذه الحالة مستشاراً بالسفارة أو سكرتيراً ثالثاً

أو ملحقاً إعلامياً أو صحفياً أو قانونياً او مديراً لمكتب الطيران أو مديراً لشركة . كل وظيفة من هذه الوظائف مزاياها وعيوبها .
المرحوم توفيق كان أساساً ضابطاً بالاستخبارات العسكرية وأهلته كفاءته العالية أن يُرشح للإنضمام الى جهاز الأمن القومى ليكون قنصلاً فى كمبالا "يوغندا" .
كما أسلفنا فإن الأمن القومى كان وليد جهاز الاستخبارات العسكرية ، كانت التنقلات تتم من القوات المسلحة الى جهاز الأمن القومى عن طريق البرقيات ، كان جهاز الأمن القومى يبدو كأنه رافد من روافد القوات المسلحة . لا تتعجل فالقصة أصبحت واضحة الآن . إن توفيق كان ضابطاً بالاستخبارات العسكرية وتمَ نقله للجهاز توطئة لنقله كقنصل الى يوغندا .. عندما تمَ طرد السفير والملحق العسكرى من يوغندا ، أصبح هناك فراغاً أمنياً فى مجال المعلومات الواردة من يوغندا ، كان لابد من ملئ هذا الفراغ .. كان من الصعب أن يتم تعيين ملحق عسكرى أو سفير فى فترة وجيزة إذ أن تعيين كليهما يتطلب موافقة الدولة التى سوف يعملون بها .. وعندما تكون العلائق غير جيدة بين البلدين فلابد من أن الدوله لا توافق بسهولةعلى مثل هذه الترشيحات .
كان لابد من عنصر جاهز للذهاب الى يوغندا ، وبأسرع ما يمكن وبأسهل الطرق . لم يكن هناك سوى توفيق .. كان إحتمال طرده وارد إن ذهب الى يوغندا كقنصل .. إذاً لابد من ساتر يمكنه من الذهاب دون عوائق . تقرر أن يسافر تحت ساتر المحاسب ويبدو هذا حلاً معقولاً . إلا أن المرحوم توفيق لم يكن يعرف شيئاً عن المحاسبة والحسابات ، وكانت هذه نقطة ضعف جاهزة .
أتى توفيق الى يوغندا .. ذلك الرجل الجسور الشجاع الذى كان يشق عليه أن يرى أقرانه يموتون فى الجنوب بسبب نقص المعلومات .. كان بوده أن يعرف كل شىء بأى ثمن من أجل زملائه لما جاء الى كمبالا وجد أن وظيفة المحاسب ليست هى الوظيفه المناسبة له ليمارس عمله .. ولا يمكنه عملياً الوصول الى أماكن المعلومات تحت هذا الساتر . إذاً فالتغطية غير مناسبة . بدأ توفيق تحركه متناسياً كل الأوامر والتعليمات والتحذيرات التى أُعطيت له .. كان همه جمع المعلومات وتجنيد المصادر .. بدأ بإستعمال عربة الملحق العسكرى .. بدأ يختلط بأماكن تواجد المصادر فى الملاهى والمطاعم .. كان تحركه واضحاً .. دافعه

الحماس والشجاعة المطلقة ، لم تكن أجهزة أمن عيدى أمين بقافلة عنه فقد قدمت لهم المعارضة كل عون ممكن ، أفادتهم بنشاطه وأماكن تواجده .. لم يكن أمين يملك شيئاً حيال ما يفعله موظفى وضباط المخابرات لديه إذ أن معظمهم من السودانيين .. وبالتالى فقد حيكت الخطة لإختطافه .

كانت الساعة تقارب الثانية عشر ليلاً وكان المقهى مكتظاً بألوان من السودانيين جنوبيين وشماليين وكان توفيق يسامر بعض الشماليين .. عندما تقدمت منه فتاة حسناء .. حيته ..

كيف حالك يا سيدى ..

رد عليها

.. أهلاً مرحباً ..

ثم قالت

صديقك الذى قابلته أمس ينتظرك فى الخارج ..

إستأذن توفيق ..

عن إذنكم دقيقه يا أخوانا ...

فردوا عليه

.. تفضل .

ذهب توفيق لدقيقة .. لكن تطول هذه الدقيقة .. تطول جداً والى يومنا هذا لم يعد توفيق . أصاب القلق الأخوه السودانيين فخرجوا يسألون عنه فى الخارج وعلموا أن جماعة قد ركبت معه عربة وتحركوا بها . هكذا أُختطف توفيق وتمَ قتله سراً . ولم يكن لأى شخص أن يعلم مصيره . إجتهدت السفارة .. أجتهد السودانيون فى تعقب مكانه لم يعثر له على أثر . ذكرت بعض الأقاويل أنه شوهد بسجن لوزيرا فى حالة يرثى لها .. وأن من سمحوا بمشاهدته طلبوا فدية ٤ آلاف جنيه إسترلينى لتسليمه . لكن هذه الروايه ضعيفه ولم نجد ما يسندها .

نعود الآن الى قصتنا مع الأب فيليب غبوش .. كما أسلفنا كانت المقابلة أن أكون لوحدى دون سلاح .. دون عربة .. الى مكان غير معلوم .. أمامى قصة توفيق وتحليلات المسئولين بعد وفاته وإتهامه بالتهور . فكرت قليلاً وأقتنعت بأنى أرسلت الى هنا لغرض كبير .. لكن الإحتياط أيضاً واجب ، ذهبت الى مكتب القائم بالأعمال الأخ على حمد ابراهيم السفير الحالى بوزارة الخارجية وأخطرته بقصة فيليب غبوش وشروط مقابلتهم .. هنا نهض الأخ

على وقال :

لن أتركك تذهب وحدك .

قلت ..

لكن

.. قاطعني ..

لا لكن ولا حاجه ده واجبى زى ما أنت واجبك ياهاشم .

أكبرت تصرف الأخ على حمد ومعادن الرجال تظهر عند المواقف الصعبة ، خاصه عندما دخل علينا الأخ جمال محمد ابراهيم والأخ الشيخ محمد الشيخ وهم يصرون على اصطحابى . جلسنا فى إجتماع عائلي صغير تقرر فيه أن يذهب معى القائم بالاعمال السيد على حمد . فعلاً إشترطنا على رسول فيليب غبوش أن زيارتنا لفيليب غبوش سوف تكون لشخصين وليس شخص واحد . بعد تردد جاءتنا الموافقه قبل موعد إغلاق مكاتب السفارة بدقائق كان الطريق الى المقابلة ، بعدما إلتقينا الرسول ، يبدو كأنه دهراً، كانت الشوارع قاتمة وقذرة دخلنا الى مجاهل لا تراها العربات الدبلوماسية ، توقفت العربة فى منزل مطفأة أنواره ورانت لحظه صمت داخل العربة ونزل الرسول وتركنا بالعربة .. مكث بالداخل حوالى الخمسة عشر دقيقة ثم عاد يحمل "فانوساً" وقال لنا ..

أدخلوا

.. كنا داخلين ونحن نتساءل ماذا تحمل لنا هذه الليلة فى ظلمتها .. ترى سنرى توفيق فى الآخرة.؟ أم سنرى فيليب فى الدنيا . دلفنا الى ممر قادنا الى حجرة مظلمه .. لكننا آنسنا فيها نوراً يقف خلفه شخص غير واضح المعالم .. كان الشىء الوحيد الظاهر فيه ضخامة جثته ويديه الموضوعتان الى خلفه . يا ترى ماذا يحمل لنا فى تلك اليدين ..؟ كنا نسير بخطى بطيئة فى محاذاة بعضنا البعض .. متحفزين ومستعدين لكل شىء مفاجىء ، شاهدت يدّى الرجل تنسحبان من وراء ظهره الى الأمام .. ثم تقدم نحونا بخطى سريعة وفجأة رفع يديه الى أعلى وهو يقول :..

أهلاً .. أهلاً .

إذاً هذا هو الأب فيليب غبوش القادم نحونا .. خطوت خطوة متقدمة نحوه وتناولته بالأحضان . كان يرتدى "بالطو" أخضر اللون . عندما إقتربت منه كثيراً شعرت أن الرجل قد تقدمت به

السن .. فالشعر أبيض . كانت بداية اللقاءات التى أمتدت من يناير حتى بداية أبريل ١٩٧٨ .. كان فيها الانتقاد السياسى .. كان فيها الشعور بالغبن لما يحدث لأبناء الجبال .. كان تقديره تاماً للمصالحة الوطنية .. كان الشك المطلق "لبتاع الأمن" فالناس فى السودان لا تثق كثيراً بأجهزة الأمن . وصلنا مرحلة طرح الضمانات .. وأخبرناه عن أقرانه الذين عادوا من الاحزاب السياسية الأخرى .. عرضنا عليه الصحف السودانية .. كانت ظلال الشك دائماً هى الأقوى .. هنا تفتقت عن ذهن الشيخ محمد الشيخ مساعدى فكرة .. قال لى :ـ

دعنى آخذ محمد شيخ الدين الى الخرطوم ليطمئن غبوش أن ليست هناك خدعة أمنية أو سياسية .

دخلنا فى حوار آخر مع شيخ الدين حتى إقتنع غبوش بأنه سوف يضحى بنفسه من أجل النويه ،إتخذ شيخ الدين كل الإحتياطات وأمر جماعته بأنه فى حالة حدوث أى مكروه له فإن دمنا يصبح مباحاً لهم .. قبلنا بالأمر لأننا كنا على قناعة بأنه ليس هنالك مكروها يخشى منه .. هنا قبل شيخ الدين أن يسافر الى الخرطوم وسافر معه الشيخ محمد الشيخ. كان وصول شيخ الدين للخرطوم حدث تحدثت عنه الصحف حيث قابل المسئولين وزار أهله .. قابل السياسيين وزار أسرة فيليب غبوش.. هنا تفتقت فكرة أخرى ، لماذا لا تذهب زوجة غبوش الى كمبالا حتى يقتنع زوجها تماماً .. فالرجل لم يراها منذ عشرة سنوات ولا يعرف أخبار أبنائه كتب الأولاد خطابات لأبيهم وسافرت زوجته للقاء زوجها . فى مطار عنتبى كنا فى إستقبال شخصين.. فحضروا ثلاثة . جاءت السيدة حرم غبوش .. رأساً الى فندق جاجا ميرينا والذى يقع فى ضواحى كمبالا ويطل على بحيرة فكتوريا . كان الفندق مبنياً بطريقة الاكواخ ، كان ساحراً خلاباً .. عندما شاهد الأب فيليب زوجته لم يصدق عينيه .. فقد كان فى شك دائم عما يمكن أن يحدث لسكرتير تنظيمه فى الخرطوم ، فأذا به يفاجأ بزوجته تحضر اليه مطمئنه ولم يكن يعلم بحضورها . كان لابد لنا ان نتركه وحده وهكذا منحناه يومين ليتمكن من الحديث.. وإسترجاع ذكريات الوطن ومعرفة أخبار الأهل والأبناء والأصحاب . بعد يومين رجعنا له . بعد حديث به كثير من مجاملات السودانيين وتبادل الطرائف بادرته :ـ

آها أبونا .. قررت شنو ..؟
قال .
فى شنو يا سيد هاشم ..؟
قلت ..
فى موضوع العودةالى السودان ..؟
حك أبونا فيليب جلدة شعره الاشيب والتفت يمنة ثم حدق فى الافق وقال :-
والله الحقيقة الموضوع عاوز تفكير ومشاوره ..
لحظتها ايقنت ان هذا العجوز العنيد مازال يتشكك .. وهبطت معنوياتى قليلاً .. ثم فكرت وقلت له ..
على الاقل امشى شوف اولادك واذا الحال ما عجبك تعال راجع .. قفلت راجعاً وبجوارى الأخ الشيخ محمد الشيخ .. و كان كل" منا يطرق بلا حديث ، بينما كنا نسترخى على مقعد السيارة الخلفية .. فجأة صرخ الشيخ فى السائق .. قريش "ستوب" وعجبت للأمر .. وهنا قال الشيخ ..
شيخ الدين .. شيخ الدين .. ما فى زول يقنعه غير شيخ الدين الموضوع لازم يكون فيه شيخ الدين .
وهكذا كان علينا ولعدة أيام أن نحاور شيخ الدين الذى بدوره كان يحاور الاب فيليب واصبح تبادل الآراء والأفكار بيننا يتم بواسطة الوسيط شيخ الدين حتى وصلنا مرحلة أن الأب فيليب قد يقبل الدعوه للذهاب للسودان إذا ما وجهها له الرئيس نميرى شخصياً .. وكان هذا بعد قرابة الشهر من المحاولات المضنية والتى تفشل احياناً فيظهر لنا بصيص من الامل فنسعى عن هذا الامل . كل هذه المحاولات وشهر مايو يكاد ان ينصرم ، والأب فيليب يضع لنا هذا الشرط المزعج .. مايو هو شهر الإحتفال بثورة ٢٥ مايو والخرطوم مشغولة بالتحضير لهذا الإحتفال وقنواتنا مع الرئيس نميرى ليست مباشره .. معنى ذلك أن تصل الرسالة للخرطوم ليتخذ قراره الشهر القادم .. ونحن لا نريد للحماس والقوة الدافعة لمجهوداتنا أن تفشل مرة أخرى بدافع طول المدة .. رباه .. ماذا نفعل ..؟
تعرف يا شيخ ..
أيه يا أبو الرن
هل حصلت زورت برقيه ..؟

ده سؤال غريب يا هاشم .
أيه رأيك نزور للأب فيليب برقيه معنونه له من الرئيس ..
لا .. لا ده حيخرب بيتنا لو عرف . أحسن نعملها من نائب الرئيس ابوالقاسم محمد ابراهيم . وهو حيفهم قصدنا والله فكره .
أخذنا نصوغ برقيه بالتلكس .. ونادى الأخ الشيخ على الأخ عبدالله ضابط الاسلكى والإتصال وسلمه البرقية . وقال له ..
عاوزين التلكس يكون كأنه جاى من الخرطوم .
قال الأخ عبد الله بعد أن فهم المقصود ..
بس لو زول "ملحلح" حيعرف . غايتو أعملها .
وجاء الأخ عبد الله يحمل لنا التلكس وكان كالآتى :ـ

التاريخ ٢٢ /٥ /١٩٧٨

من :ـ ابوالقاسم محمد ابراهيم النائب الأول لرئيس الجمهورية
الى :ـ الأخ الأب فيليب عباس غبوش
سيدى ،
إنه ليسرنا أن نراك بيننا فى السودان نضع يداً على يد لنبنى بلادنا .. وننتهز هذه الفرصة أن ندعوك للاحتفال معنا بذكرى ثورة مايو ١٩٦٩ المقام بالخرطوم يوم ٢٥ مايو .
لك تحياتى وسلامى .. وتقبل خالص تحيات الأخ الرئيس القائد جعفر محمد نميرى .

كانت البرقية تبدو واقعية عدا أن رقم تلكس الراسل لم يكن ظاهراً فيها .. وهكذا رن جرس التلفون فى منزل شيخ الدين وشرحنا له الأمر .. جاء شيخ الدين ليحمل البرقية ويطير بها جرياً الى فندق جاجا ميرينا .. كانت الساعة تشير الى الحادية عشر صباحاً ولم نكن نتوقع أن يستجيب الأب فيليب للبرقية بهذه السرعة .. فجأة رن جرس التلفون وكان شيخ الدين المتحدث
يا سيد هاشم خلاص أبونا وافق يسافر للاحتفالات بتقدروا ترسلوا ليه طياره ..
إضطربت أنا كثيراً ورديت ...
أها .. قلت شنو .. يعنى .. طياره .. كيف .. دقيقه

خليك معاى

جررت الشيخ محمد الشيخ من يده جراً والى مكتب السفير لنقابل القائم بالاعمال وصرخت فى جمال محمد ابراهيم وأنا أمر من خلال مكتبه ..

جمال .. جمال ..

ودخلنا .. وجاء جمال مندهشاً وبدون حديث مع على حمد ابراهيم القائم بالاعمال رفعت السماعه سائلاً كريستين السكرتيره أن تحول المحادثه الى هذا المكتب

يا أخوانا فيليب وافق يمشى الخرطوم وقال ممكن يحضر الاحتفالات لو لقينا ليه طياره توديه الخرطوم .

قال على حمد ..

هاشم إنت جنيت ..؟ نلقى ليه طياره وين ..؟ ومنو الفاضى فى الخرطوم اليومين دى .. قول يسافر .. نحضر ليه تذاكر دى معقوله يا أخى نحن فى كمبالا والطياره إسبوعيه - الايرفلوت - وحسه الساعه ١٢ والايرفلوت حتقوم لنبروبى بعد ساعتين .. بس دى زى المعجزه .

هنا قال :ـ

ما فى حاجه قدامكم غير تحاولوا المعجزه ..

وكانت فعلاً معجزة أن نتحرك هذا التحرك فمطار عنتبى يبعد ٣٨ كيلوا عن مدينة كمبالا والفندق الذى يسكن فيه الأب فيليب يبعد حوالى ٢٠ كيلو متر فى الطرف الآخر من المدينة .. المعجزه .. طيب وخطفت السماعه

يا شيخ الدين .. نعم .. إنت معاك عربيه ..

قال

أيوه ..

قلت له ..

طيب تمشى بيتكم بسرعه تحضر نفسك وقول للاب فيليب وزوجته يكونوا جاهزين سأرسل لهم عربه الآن للذهاب للمطار .. ونحن نقابلك فى المطار .. الطياره حتقوم بعد ساعه .

قال

لا حول .. طيب سأحاول ..

وضعت السماعه .. ورفعتها بسرعه متصلاً بالمنزل وأخاطب زوجتي
.. **أنا مسافر الخرطوم حسه حضرى لى غيارات بتاعة ثلاثة ايام .. وسوف أرسل لك السواق ..**
قالت ..
نعل مافى عوجه ..
قلت لها ..
أبداً شغل بس .. مع السلامه.
وضع السماعه وأرفعها مرة أخرى ..
يا عبد الله .. عبد الله سعيد ..
رد ..
نعم ..
بسرعه أمشى الايرفلوت حضر تذاكر للخرطوم عن طريق نيروبى لطائرة اليوم ..
قال ..
لكن يا سعادتك الطياره ..
قاطعته ..
لا لكن ولا حاجه .. أسرع والحقنا فى المطار بالتذاكر.
هنا تدخل الشيخ محمد الشيخ ..
على أى حال أنا جهزت برقيه وسأرسلها الآن بالشفره للخرطوم .. وحاتصل بالتلفون بهاشم أباسعيد.
حسناً لم يبق لنا إلا السفر وكان مقرراً أن نسافر لثلاث أيام ثم أعود بعدها الى ممارسة عملى بكمبالا .. تلك الرحلة التى إستغرقت ثلاثة شهور بدلاً من ثلاثة أيام . هرعنا الى مطار عنتبى وكان الزمن ليس فى صالحنا .. كان مطار عنتبى الجميل مهجوراً فالرئيس السابق عيدى أمين جعل كل شخص مهم هارباً من يوغندا خوفاً من بطش جندرمته ، وتوقفت جميع السفريات العالميه من يوغندا عدا سفرية واحده إسبوعياً لكل من شركتى "سابينا" البلجيكيه وسفرية "الايرفلوت" الروسيه. كان علينا أن نتصرف كان مندوب الايرفلوت يسر عندما يجد ركاباً على سفريته فكان لابد من التفاهم معه.. والتفاهم معه ليلجأ لأى وسيلة لتأخير سفرقيام الطائرة طالما أنها سوف تبيت بمطار نيروبى .. أفهمنا الرجل .. وجاء عبد الله ومعه التذاكر .. بعدها حضر الأب فيليب وزوجته ، أكملت لهم الاجراءات وذهبت معهم الى الطائرة حيث

شيخ الدين لم يحضر والطائرة قد تأخرت لساعة كاملة وادار الكابتن محرك الطائرة .. ونظرت من النافذة لأرى منظراً عجباً شيخ الدين يهرول نحو الطائره حاملاً حقيبة ملابسه الضخمة والسلم يعود الى الطائرة ويجرى خلفه عبد الله سعيد وكانوا من فرط سرعتهم كأنما يحلقون عن الارض خاصة أن بدلتيهما عالقتان .. بينما إمتلأ قميصاهما بالهواء .. ولأول مرة اشاهد حقيبة ضخمه ترفع الى داخل الطائرة يعقبها شيخ الدين وهولا يكاد يلتقط أنفاسه .. بينما بخاخ الفنتولين فى يده اليسرى VENTOLEN .
وهكذا بدأت رحلتنا الى الخرطوم عن طريق نيروبى .كان ذلك فى مساء يوم ٢٢ مايو ١٩٧٨ وصلنا الخرطوم الساعه الرابعه مساء ..
كان فى إستقبالنا اللواء أ.ح عمر محمد الطيب رئيس الجهاز وعدد من المسئولين .. بعد أن حيا الأب فيليب غبوش الجميع أُخذ الى غرفة كبار الزوار وهناك إنتحى بى المقدم أمن آنذاك محمد محمود وقال لى :ـ

بعد ساعة سوف يذهب اللواء عمرمحمد الطيب الى قاعة الصداقة لسماع خطاب الرئيس نميرى بمناسبة أعياد ٢٥ مايو .. فلماذا لا تحدث اللواء عمر ليأخذ الأب فيليب معه

قلت ..

والله فكره.

دلفت الى مقربه من اللواء عمر وأدليت له بالفكرة فإستحسنها وقال لى :ـ

خلى قاسم يأخذ الأب فيليب على الفندق ومن هناك سوف أزوره وأخذه معى.

فى تمام الساعة السادسة كان الأب فيليب واللواء عمر محمد الطيب فى غرفة كبار الزوار فى إنتظار الرئيس ليدخل للغرفة الكبرى ومنها الى القاعة الكبرى لالقاء خطابه .. فى القاعة الكبرى كان يجلس كل أعضاء المكتب السياسي ممن جاءوا بعد المصالحة الوطنية وممن كانوا قبلها وكل أعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب .. كانت الكاميرات مركزة على المنصة الرئيسية والعيون ترقب الباب الصغير تتوقع ظهور الرئيس نميرى .. دخل الياور وعلا الهتاف والتصفيق وسمعت الهتافات من خلف الصفوف ودخل الرئيس الى القاعة وكان يصحبه شخص يلبس لبس القساوسة وشعره أبيض تماماً .. كان الرئيس يمسك يده وأفسح

له مكاناً جواره .. بينما حياه فى المنصة الكبرى ابو القاسم محمد ابراهيم النائب الأول لرئيس الجمهورية بالاحضان .. وبدأ الرئيس يحى الجموع ثم جلس الرئيس وأجلس ضيفه بجانبه .. كان الجميع يشاهدون الرجل ويكادون لا يعرفونه .. ثم همهمت القاعه ..

فيليب .. لا يا أخى ما هو .. ياهو .

ثم إرتفعت الاصوات

فيليب والله فيليب .. يا أخى ما معقول .

وفجأة شخص ما بأعلى صوته ..

فيليب .

ودوت القاعه مرة أخرى بالتصفيق الحار .. ووقف الجميع يحيون غبوش بينما كان الرئيس يبتسم .. وأجهش الأب فيليب غبوش بالبكاء بالصوت العالى والظاهر .

وأنا جالس أراقب هذا الحفل على شاشة التلفزيون أيقنت أن الأب فيليب قد علم الآن أنه آمن فبكاءه كان انفعالاً واضحاً .. وكان أمامه معظم السياسيين الذين كانوا فى المعارضة جالسون على كراسى المكتب السياسى للدولة .

فى اليوم التالى كان الأب فيليب غبوش قد تعين عضواً بمجلس الشعب .. زار كل المسئولين بما فيهم الرئيس نفسه ثم منح طائرة طافت به كل انحاء جبال النوبة .. ورافقته فى تلك الرحلة التى إمتدت لثلاثة أشهر ، وكما كان يقول هو :-

الصياد الذى إصطادنى .. والذى أصبح يطلقه علىّ زملائى بالأمن تفكهاً .

الفصل التاسع

شخصيات ومواقف

- الاستاذ .. والمساء القديم ..
- احمد بلال الطيب ..ولو كنت المسئول ..
- سيد احمد خليفه ...توتيل
- اللواء عثمان عبدالله .. Shoot to Kill
- الكابتن الضو (زاى) .. العميل المزدوج ..

المعلومة .. البحث عنها والسعى وراءها هى تلك الرابطة التى تجمع بين عمل الصحافة والأمن . كثيرا من الصحافيين فى سعيهم وراء المعلومة الخبرية يكتشفون أنهم لا يستطيعون التعامل مع تلك المعلومة لأنها حسب تقديرهم .. لا تصلح للنشر .. لكنها تصلح للجهة التى تتعامل مع المعلومه السريه فيرمون بها الى الأمن ..من باب الصلحة العليا للبلاد ، البعض يتفادى ذلك .. والبعض يتعاون ويقدمها من منطلق وطنى صميم .. والبعض من أجل الحصول على بضعة دريهمات .

بعض الصحافيون الأذكياء يلجأون الى أجهزة الأمن للحصول على معلومات تفيدهم فى عملهم ، وأجهزة الأمن تسعى بدورها الى الصحافة بغرض نشر بعض المعلومات التى تفيد فى تحقيق غرض معين ، والوسيلة الى ذلك النشر ، اذ كثيراً ما يساعد النشر فى توجيه الغرض وتحقيق الهدف .

عليه .. تعامل جهاز الأمن فى السودان مع بعض الصحافيين المخضرمين منهم والمعاصرين ، لكن للحقيقه والتاريخ لم يكن هذا التعامل أو التعاون مرتبطاً بتجنيدهم كمصادر أمنية الا قلة قليلة . الذين سنتعرض لهم فى هذا السياق .. منهم من إرتبط أسمهم بالجهاز .. اذ كان لهم دور فى التعامل المباشر مع رئيس الجهاز .. وبذلك نضع حداً للقيل والقال .

كان بعض الصحافيين يكتب عن النظام من خارج البلاد .. كان معظمهم من معارضى نظام مايو .. كانت هناك قلة لا تعارض النظام لكنها كانت تكتب لتتقاضى مقابلاً عن ذلك من الجهاز أو القصر الجمهورى .

كما هناك بعض الإعلاميين الذين تعاونوا مع الجهاز ، رائدهم فى ذلك المنفعة الشخصية المالية .

لكل ذلك لابد لنا من إعطاء صورة لذلك حتى نستوضح الصورة للمواطن الكريم .

من ضمن المحاولات التى جرت لتجنيد أحد الصحافيين وسنسميه هنا (**الاستاذ**) جرت هذه المحاولة التى نعتقد أنها لم تكن موفقة وكلفت الدولة كثيراً من المال .

الاستاذ صحفى قديم وإشتهر فى الماضى أنه كان يلقى تمويلاً من دولة مجاورة ، لمجلته .. وإشتهرت صحيفته بأنها صحيفة فضائح .. كان الناس يتجنبونه ويضعون له ألف حساب . عندما قامت

ثورة مايو وجرى تأميم الصحف توقفت مجلته عن الصدور ، تَم إعتقال الإستاذ لفترة بسجن كوبر على أساس أنه صحفى مشبوه ثم أُطلق سراحه وبدأ الاستاذ يشكو الى طوب الارض .. لما كان **(الاستاذ)** ينتمى الى أسرة معروفة فقد سعى بعضهم لدى الرائد مامون عوض أبوزيد عضو مجلس الثورة ورئيس جهاز الأمن القومى وقتها لمساعدة (الاستاذ) ويبدو أن الرائد مامون لم يكن لديه ما يقدمه له أو يطلبه من (الاستاذ) أكثر من أن يقدم له المعونة المالية والتى صارت مرتباً شهرياً يصرفه عند بوابة الجهاز .. كان منظراً مألوفاً أن يُرى أمام بوابة الأمن متوسلاً عند تأخير المرتب يرافقه أحد أبنائه الصغار . بعدها ذهب الأستاذ الى السفارة الليبية وتعاون معها .. ثم هاجر الى ليبيا وعمل مع المعارضة التى ضاقت به ذرعاً .

إستمر حال الاستاذ هكذا حتى جاء الهجوم على الخرطوم اثرحوادث ٢ يوليو ٧٦ . جاء الاستاذ الى الجهاز حاملاً معه طلباً لاصدار مجلته لأنه ينوى أن يُعرى ويفضح المعارضة السودانية .. إلا أن قيادة الجهاز متمثله فى شخص السيد على عبدالرحمن النميرى لم تستجب لهذا الطلب .. بل وأهملت أمره تماماً .

غادر الاستاذ السودان مسرعاً فى زيارة الى لندن وقابل المرحوم الشريف حسين الهندى ..وبدأ نشرة باسم المعارضة ..

(المساء القديم) عرف الجهاز أسلوب الاستاذ ، تطور الأمر ، حتى تمكن الاستاذ من إصدار مجلته القديمة وكانت تعمل باسم المعارضة .

ظلت هذه المجلة طوال الأعوام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨ تهاجم النظام هجوماً مستمراً تحت إسم الجبهة الوطنية وعندما تمت المصالحة الوطنية باتفاقية لندن استمرت المجلة فى موقفها المعارض للنظام .. بل مهاجمة رئيس جهاز الأمن القومى اللواء عمر محمد الطيب .. الذىكان يحارب فى عدة جهات من أجل المصالحة الوطنيه .. لما لم يكن مرغوباً أن يكون هناك صوت إعلامي معارض للمصالحة والتى كان يمثل الجناح المعارض لها داخل الجبة الوطنية المعارضة للنظام المرحوم الشريف الهندى ، تحرك فريق من جهاز الأمن القومى الى لندن من أربع ضباط يقوده الضابط ج .ع .ج .. كانت من ضمن مهام الفريق أن يحاول إسكات الاستاذ وتهديده وبالرغم من أن هذا الاسلوب كان جديداً على الجهاز إلا أن الفريق

المكلف كان حاذقاً لمهمته التى كُلف بها .. وشعر الاستاذ بأن حياته فى خطر .

هنا بدأ الاستاذ يطالب بحماية نفسه وأبلغ السلطات البريطانية رسمياً بالأمر .. كما أنه بدأ يجرى إتصالات كبيرة .. يبدو أنه شعر بأن الموقف يتطلب منه مرونة .. خاصة أن معظم المعارضين قد إنضموا الى المصالحة الوطنية .

عندما حضر اللواء عمر محمد الطيب الى لندن فى أحد لقاءات المصالحة الوطنية مع الشريف حسين الهندى قابل الاستاذ اللواء عمر محمد الطيب بعد وساطة ، كان الاستاذ مكسور الخاطر يشكو أن حياته فى خطر .. هنا قام مدير إدارة الأمن الخارجى بالتحدث عن نشاط الاستاذ المعادى .. طال النقاش حتى أبدى الاستاذ رغبة فى التعاون .. ومن يومها أصبحت مجلته "المساء القديم" هى الناطقة بإسم الحكومة ضد المعارضة فى الخارج .. وأصبح تمويل المجلة ومصاريف إعاشة الاستاذ بالعملة الصعبة .. لكن مجلته لم يكن لديها الكثير لتقوله .. أولاً لأن كاتبها شخص واحد .. ثانياً لأن المواد التى يكتبها قد بدأت تتكرر .. لكن الاستاذ إستمر فى إلحاحه بأن تستمر المجلة .. وبدأ يختلق شتى الأسباب والأعذار للحصول على المال اللازم للمجلة .. حتى قامت الانتفاضة .. فسكت عن الكلام المباح ..

أحمد البلال الطيب ..

الصحفى أحمد البلال الطيب .. شاب طموح إقتحم علم الصحافة بعد حضوره من الشمالية .. كان يتمتع بشجاعة وجرأة مكنته من أن يكون ذو علاقات واسعة بالمسئولين على مستوى التنظيم . ترعرع أحمد البلال فى بيئة صحفى السبعينات والتى أفرزت شباباً ذو إمكانيات صحفية جيدة .. كان يرعى ويشرف على أدائهم نخبة من المهتمين بالإعلام المفيد مع إهتمامهم بحرية الكلمة .. إلا أن هذا الجيل لم يستطع الاستمرار فى أدائه للمتغييرات التى طرأت فى منتصف السبعينات بوجهة النظام الى الى الديكتاتورية الفردية مما أدى الى تخلى معظم الشباب عن العمل الصحفى والهجرة.
أحمد البلال قاوم إتجاه الهجرة وتمكن بمرونته من العمل الصحفى والإعلامى التى بدأها ببعض التحقيقات الصحفية مع المسئولين السياسيين .. إلا أن بداية ظهوره كصحفى بدأت بالتحقيق الشهير الذى كان عنوانه (اللواء عمر رئيس جهاز الأمن القومى يفتح قلبه) . ثم أعقبته تحقيقات صحفية فتحت له مجالاً ليُنفذ الى التلفزيون ويقدم برنامجه المعروف (**لو كنت المسئول**) الذى يتعرض فيه للأزمات التى يتعرض لها الوطن والمواطنين .. فقد كان يقدم المسئولين ويوجه لهم الإتهامات للرد عليها . وكان برنامجاً ناجحاً .

والده الشيخ البلال الطيب أحد رجال الدين بالإقليم الشمالى الذين يكن لهم اللواء عمر محمد الطيب كل ود .. وبالتالى أصبح أحمد البلال بمثابة الصديق للواء عمر محمد الطيب .. يزوره ويتفاكر معه والجهاز مفتوحاً له للزيارة متى شاء .. رغم أنه لم يكن مصدراً به .. إنما موضوعاً فى قائمة الصحافيين الذين يتعاطون السياسة ويتعاونون مع اللواء عمر محمد الطيب شخصياً .
إستمر البرنامج الناجح (لو كنت المسئول) فى بثه حتى جاءت الأحداث التى أبعد فيها الفريق عبدالماجد حامد خليل من منصب النائب الأول التى تعرض فيها الضباط للرئيس .. التى تناولها البلال ، ثم تعرض لجمعية ود نميرى التى يديرها شقيق الرئيس نميرى . وبما أن الشارع كان يتحدث كثيراً عن هذه الجمعية فقد

إنتهزها أحمد البلال فرصة ليقدم بعض حلقات المواجهة مع مسئولى هذه الجمعية .. بعد أن قُدمت الحلقة الأولى .. فوجأ المواطنون بهجوم شخصى من رئيس الجمهورية على برنامج (لو كنت المسئول) . ليموت البرنامج ويتلقى الصحفى أحمد البلال طعنة قويه تجنب هو وجيله أن يتلقوها .

سيد أحمد خليفه (توتيل) ..

سيد أحمد خليفه يتمتع بصفات الصحافيين المغامرين .. الذين يركبون الصعب وتمثل ذلك فى عمله فى مناطق الحرب - إريتريا - الصومال - أثيوبيا - اليمن .. مما أكسبه خبرة جعلته الآن مرجعاً فى هذه المناطق .
لقد أثارت الصحف الوثيقة التى سُربت فى فترة حكم المشير سوار الدهب وقُبيل الإنتخابات فى صحف الجبهة القومية الاسلامية .. تلك احدى المناسبات التى حاولت فيها جهات بعينها الاستفادة من مستندات الجهاز التى ورد فيها أسم الصحفى سيد أحمد خليفه كمصدر للجهاز تحت الأسم الحركى **(توتيل)** ، وذلك لأن سيد أحمد كان ينافس السيد حسن الترابى فى الدائرة الإنتخابية بمنطقة الصحافة بالخرطوم .
قبل أن نتعرض للأمر نريد أن نوضح أن التجنيد فى أجهزة الأمن من أعقد الأمور كما ذكرنا فى موقع آخر .. بالتالى فإن من يتم تجنيدهم ليس بالضرورة أن يكونوا عالمين بأنهم مجندين أو أنهم من مصادر معلومات الجهاز .. فالمعلومات أحياناً يتم أستقاءها دون أن يتم تجنيد مباشر. يشمل ذلك الحصول على المعلومات من الصحف - وسائل الإعلام - اللقاءات العابرة - اللقاءات المنظمة وممن يعتبرون أنفسهم من السياسيين .. سواء كانوا مع النظام أو ضده . ومن المعروف فى مجال الأمن أن من أسهل وسائل الحصول على المعلومات أن تختلط بالسياسيين ، لأن مواقفهم السياسية قد تجعلهم يتعرضون لأمور يشعرون أنها خطأ أو تعرضهم لأمور لم يكن مفروضاً تعرضهم لها .. لكنهم وقعوا تحت تأثير الإثارة السياسية .
كان تأثر سيد أحمد خليفه كثيراً بأفكار السيد الصادق المهدى .. كان مناوراً بارعاً لا يظهرها بسهولة .. كان إرتباطه قوياً بحركات التحرر الإريترية والأثيوبية .. كانت له صلة بسياد برى الذى كان يدعم حركات التحرر الإريترية .. شاء سيد أحمد خليفه أو لم يشأ فإنه لابد أن يكون مرتبطاً بجهاز الأمن السودانى الذى كان يتولى الإشراف على حركات التحرر .. جهاز الأمن لم يكن ليغيب عليه صلة

سيد أحمد أيضاً بالمعارضة .. بالتالى كان لابد للجهاز أن يصنف سيد أحمد كشخص مفيد بعلمه أو بدون علمه ويقدم له أسماً حركياً شأنه شأن صحافيين أخر .. تمتعوا بأسماء حركية لم يسمعوا بها حتى الآن .

اللواء عثمان عبدالله

اللواء عثمان عبدالله كان ضابطاً بالجيش مشهوداً له بالكفاءة ، مرناً ، لبقاً فى حديثه مثقف وله إلمام جيد بالعلوم العسكرية . كان طموحاً ومتطلعاً وقد شبهه بعض الضباط باللواء عمر محمد الطيب .. كان يعمل بدولة قطر وعاد منها بثروة كبيرة بعد أن إحترقت المستودعات التى كانت تحت أمرته .
قبيل الانتفاضة كان اللواء عثمان عبدالله هو مدير العمليات الحربية بالجيش والتى تتبع لهيئة العمليات .
كان نجمه لامعاً وبحكم منصبه كان يحضر إجتماعات اللجنه الفنية لأجهزة الأمن فصار يلعب على حبلين .. الحبل الأول يتمسك به اذا ما فشلت الإنتفاضة الثانى يتمسك به اذا ما نجحت .. لذا كان تعاونه مع الجهاز على أتم وجه .. خاصة اللواء عمر محمد الطيب . واستمر هذا التعاون حتى الساعة الثانية عشر ليلاً من يوم الجمعة ٥ أبريل أى قبيل أن يتولى الجيش السلطة بساعات قليلة .
عثمان هذا كان يتلقى التعليمات مباشرة اثناء فترة المظاهرات التى سبقت الإنتفاضة من رئاسة الجهاز وكان ينفذها بدقة ورصدت له اللجنة الفنية فى إجتماعاتها حماسة مفرطة لضرب المتظاهرين .. وكان مصراً أن البوليس متقاعس عن واجبه حتى حدث إشتباك كلامى بينه وبين الفريق شرطة عباس مدنى والذى كان يشغل وقتها منصب مفتش عام الشرطة ، ختم حديثه بأن الضرب على المتظاهرين فى الهواء لن يجدى وأن الضرب يجب أن يكون بطريقة Shoot to kill ووقائع أجتماعات اللجنة مسجل بها هذا الحديث .

كابتن (الضو زاى)

كابتن الضو لم يعرف عند السودانيين بأنه سياسى ، رغم ضلوعه فيها وإنغماسه حتى أذنيه .. يقيم حالياً بلندن .. إنضم الى الجبهة الاسلامية القومية وأصبح أحد رموزها .. ينعم فى خير وفير .. مكنته علاقته التجارية الناجحة من القيام بدور الوسيط بين السودان وليبيا ... لجهله بالخطط العسكرية وضعت المخابرات الليبية بيده خطط لغزو السودان عام ٨٢ / ١٩٨٣ .

كان كابتن الضو هو الوسيط بين الرئيس معمر القذافى واللواء عمر محمد الطيب لإصلاح علاقات البلدين .. كان يدير الحلبة سيد قذاف الدم .. كان كابتن الضو جاداً فى أمر المصالحة ، فأصبح ينقل للطرفين مقترحات كل طرف حتى تكلل الأمر بلقاء تمَ بين سيد قذاف الدم واللواء عمر محمد الطيب فى مكة المكرمة بملابس الاحرام إستغرق اللقاء ليلة بحالها تواصل فى صباح اليوم التالى .

يبدو أن السودان قد وضع بعض الشروط إذ أنه وردتنا البرقية التاليه من لندن تقول :-

(التاريخ الثلاثاء ٢٤ ابريل ١٩٨٤) .

وافق الرجل نمره (١) على كل شىء . قال سوف يعرض الموضوع على مجموعته يوم ٢٦ / ٤

طلبوا من كابتن (الضو) حضور الإجتماع . سافر (الضو) الى ليبيا صباح اليوم التالى .. وبعد النهو من الإجتماع سوف يحضر للندن ومنها الى الخرطوم .

بالرغم من أن الأمر قد وصل الى حد إحتمال عقد إتفاق إلا أنه تعثر مرة أخرى حيث أن الرئيس السابق نميرى لم يتحمس كثيراً للأمر لأنه لا يثق فى القذافى مطلقاً .

أما المعلومات التى تحصل عليها كابتن (الضو) فقد كانت معلومات عن غزو متوقع على السودان .. وكانت المعلومة شاملة للخطة والخارطة اللازمه لها .. لكن كان واضحاً أن كل الخارطات قد تمَ وضعها بواسطة أشخاص عديمى الالمام بالطريقة العسكرية فى وضع الخطط والخارطات ، كما كان واضحاً المبالغة فى القوة المهاجمة وتسليحها .

بالرغم من أن الجهاز لم يتعامل مع هذه المعلومات على أساس أنها صحيحة ١٠٠ ٪ إلا أنه استخلص ومحص وغربل الصحيحة منها والمغلوطة للإستفادة منها فى دراسة خطط العدو الإستخبارية التضليلية .

كان ذلك كابتن (الضو زاى) العميل المزدوج .

الفصل العاشر

- مواقف وطرائف
- ضباط الجهاز برتبهم العسكرية الى كوبر
- تجربة كوبر

الضباط إلى كوبر برتبهم العسكرية

بدأ يزورني بعض أعضاء لجنة التحقيق بحكم معرفتي الخاصة بهم ... كان العقيد عمر حسن البشير يؤدي صلواته معي داخل المكتب الذي أصبحت أستعمله للنوم والسكن .. معي ضابط يحرسني ٢٤ ساعة . في عصر الجمعة ١٢ أبريل ١٩٨٥ حضر إلى موقعي العقيد عمر حسن البشير .. ثم انزوى بي جانبا وقال ... يا هاشم ياخي أنت عارف إنه الجهاز ده فيه وثائق كثيرة ورهيبة ..

قلت : صحيح .. طيب نحن عاوزين نحافظ على كل المستندات ..

قلت : طيب ..

كنت بحكم معرفتي بعمر حسن البشير أثق في كلامه وأعلم أنه كان صادقا فيما يقوله .. لكنه أردف أهم حاجة انه الأحزاب والشيوعيين والبعثيين ما يضعوا يدهم عليها .

بالرغم من علمي أن عمر حسن البشير كان ضمن الضباط الذين خضعوا لمراقبة شديدة من قبل الاستخبارات العسكرية ، وأن هناك فريقا من الجهاز قد شارك في تلك المراقبة ، لم أكن مستوثقا من انتمائه لجماعة جبهة الميثاق الإسلامي . خرجت مع العقيد عمر في اتجاه « بلكونة » المكتب .. ثم أشرت إلى عمارة من عمارات الجهاز تبعد عنا بحوالي أربعمائة مترا وقلت :

شايف العمارة ديك ..

قال : أيوه .

قلت : .. الطابق الثالث والرابع قسم كان اسمه الأرشيف وحسع أصبح اسمه السجلات والمحفوظات وهو مؤمن تماما ولا يمكن الدخول إليه .. ومعظم الوثائق موجودة فيه بنظام المايكروفيلم .. عشان كده ما في زول يقدر يعرفها إلا المختصين .

قال : وهم المختصين ديل وين .. ؟

قلت : مدير القسم في سجن كوبر وجايز يكون باقي الضباط معاه ولو عاوزين تعملوا كنترول على القسم ده لازم تحاولوا تنادوهم .

قال : أسماءهم منو .. ؟

قلت : العقيد محمد الفاتح عبد الملك

مجذوب .. الطاهر .. والطيب حمد النيل .

قال : شكرا .

وبسرعة خرج العقيد « الرئيس فيما بعد » عمر حسن البشير .. وبعد نصف ساعة نظرت من الشرفة لأرى مجموعة قسم السجلات قد عادت من كوبر ..

سجن كوبر .. سجن مشهور فى السودان .. يقع بمدينة الخرطوم بحرى .. بالقرب من كوبرى القوات المسلحة .. ومن ثَم عرفت به المنطقة السكنية المجاورة له حتى المنطقة الصناعية بالخرطوم بحرى . سوار السجن عالى جداً ، مبنى من الطوب الاحمر الكبير الحجم ، عندما كان كل شىء فى السودان رخيصاً حتى طين الطوب لم يدركه جنون الاسعار والغلاء ، يبلغ إرتفاع الحائط ستة أمتار ونصف ، به ستة وأربعين طوبة على طوبة ، كم من مرة جلسنا نحسب إرتفاع ذلك الحائط من خلال الطوب المتراص .

أُنشأ فى عام ١٩٠٨ ، وكان أول مدير له هو المستر كوبر COOPER والذى أصبح إسم السجن منسوباً اليه .. يتكون هذا السجن من عدة أقسام تتفاوت درجة كل قسم عن الآخر أشهر هذه الأقسام هى :-

١- السرايا .. التى كانت منزلاً لمستر كوبر نفسه بعدها أصبحت ضمن أسوار السجن ..

عندما تم أعتقالنا بكوبر كانت هذه السرايا عبارة عن المكان الذى يحفظ به المساجين المحكوم عليهم بالسجن ، بينما المعتقلون الساسيون يتنقلون بين أقسام مختلفة أشهرها :-

٢- المديرية .

٣- الورشة .

٤- البحريات .

٥- الشرقيات .

عندما تمَ إعتقال ضباط الجهاز كانت مهمة حفظهم فى سجن كوبر تبدو مهمة شاقة على سلطات السجن .. اولاً لأنهم أشخاص ذوى حس أمنى ، وثانياً لأن المجلس العسكرى كان يتوجس خيفة منهم .. وثالثاً لضخامة العدد الوارد فى يوم واحد ، وهكذا بدأت سلطات السجن فى العمل منذ الصباح الباكر فى تحضير المواقع للقادمين الجدد .. كانت سلطات السجن تعى أن المعتقلين رتب متفاوتة .. وهكذا وضعت الرتب العليا مع المعتقلين من الوزراء وأعضاء مجلس الثورة تمَ وضع العمداء " رتبة العميد " وحدهم .. والضباط من رتبة العقيد والمقدم وحدهم .. بينما الضباط من رتبة الرائد وحتى الملازم وحدهم .

كان السجن كما أسلفنا مكاناً غير جيد وغير مهيء للمعتقلين والذين كانوا يفرشون " البروش " على الأرض ويرقدون عليها .. حتى رفع وزير الداخليه فى عهد نميرى السيد أحمد عبد الرحمن محمد "اخ مسلم" تقريراً للواء عمر محمد الطيب مطالباً بتحسين وضع السجون . فأصبح المعتقلون فى سجن كوبر يرقدون على سراير الحديد بمراتب جيدة .

عندما تمَ إعتقالنا كان المعتقلون يرددون "نكتة" أطلقها عضو مجلس الثورة السابق زين العابدين محمد أحمد عبد القادر الذى أُحضر الى كوبر قبل اللواء عمر محمد الطيب حيث كان معتقلاً فى مكان أخر .. عندما تمَ إحضار اللواء عمر محمد الطيب الى كوبر ورآه زين العابدين خاطبه قائلاً :-

يا عمر .. ما قلنا ليك السجن ده أعملوا ليه مكيفات هواء .. لأنه عارفين روحنا جاينوه .. جاينوه .

بدأ ضباط الجهاز يتوافدون على السجن .... كانت سلطات السجن تبذل جهوداً خارقة فى تجهيز الطعام لهذا العدد الكبير اذ لم يتناول الضباط أى وجبه إلا فى صباح اليوم التالى حيث قدم لهم شيء أسود اللون تفوح منه رائحة الفول لكنه ليس بالفول .. كانت وجبه جديده عليهم .. كما أن دخول السجن كمعتقلين كان تجربة فريدة عليهم ، وقد ناقش بعض الإخوة من الضباط فائدة هذه التجربة .. كان معظمهم قد إتفق على أنه كان ضرورياً أن يقوم جهاز الأمن ضمن تدريباته بإدخال الضباط المعتقلات لمعرفة قيمةإعتقال شخص ووضعه داخل السجن .

كانت الثلاثة أيام الأولى من الإعتقال هى أصعب الأيام بالنسبة للضباط إذ كانوا قد حضروا للجهاز لممارسة عملهم يوم إعتقالهم كالعادة ثم الرجوع الى منازلهم .. ولم يكن لأحد منهم أن يعرف ماذا حل بأسرته ومنهم من تركهم بلا مال ومنهم من ترك فيهم مرضى . توقدت لدى ضباط الأمن فكرة العمل الأمنى وشرع البعض الذين لهم صلة بحراس السجن منذ أن كانوا يحَضرون المعتقلين .. شرع هؤلاء الضباط فى محاولة التقرب الى مسئولى السجن .

عندما تمَ تحويلى (١) من معتقلى مبنى الجهاز الى كوبر فى اليوم الثالث لإعتقال أفراد الجهاز .. وصلت الى السجن تحت حراسة أحد الضباط وأربعة من الجنود .. عند وصولى الى مكتب مدير السجن رحب بى العميد محمد سعيد وأخطر أحد الضباط بأخذى الى موقعى ، قادنى أحد الجاويشيه " رقيب" الى حيث زملائى وكان فى المكان المديريه . عندما وقفت أمام باب السجن الكبير كنت أظن أن هذا الباب سوف يفتح على مصراعيه لإدخالى ، لكني شاهدت الرقيب المرافق لى لا يتعدى الباب .. ثم شاهدت باباً صغيراً يُفتح لا يتعدى طوله ثمانين سنتمتراً وكان لابد من الإنحناء الى درجة قصوى حتى أتمكن دخوله وهكذا أحنيت هامتى لأول مرة وأنا أدلف الى حيث لا مخرج إلا عندما يشاء المولى سبحانه وتعالى . كنت أظن أن هذا هو الباب الوحيد .. وأن السجن عبارة عن فضاء يتقاسم السكن فيه المعتقلون .. وإذ بى اشاهد أمامى مبنى من طابقين مأهولاً بعدد كبير من المساجين .. بينما أنظر حولى فى هذه اللحظة قال لى الرقيب المرافق .. دى السرايا يا جنابو .. سألت طيب خلاص وصلنا .. قال لا لسه أنت جوه هناك قدام . مررت بالعيادة وبزنازين المحكوم عليهم بالإعدام ليُفتح باب .. ثم يُغلق آخر ودخلت الى الورشة التى يبدو أنها كانت ورشة فعلاً ثم حُولت إلى معتقل .. كان هناك فضاء وتقع الورشه الى يميننا .. عندما نظرت الى جهة اليمين شاهدت من خلال السلك الشائك مئات الوجوه تنظر من خلاله الى إتجاهى .. كنت اسيرحزيناً .. لكن سعادة غامرة طوقتنى عندما شاهدت زملائى من الضباط من رتبة الرائد فما دون يحيوننى .

هاشم .. أب الرن .. مرحب بك فى أرض البطولات .. !

إبتسمت ورفعت يدى محيياً .. ثم إندفعت نحوهم .. لكن الرقيب أشار الى .. من هنا يا جنابو .. ثم سمعته يفتح باباً آخراً وكان فتخ الباب يستغرق حوالى دقيقتين .

---

(١) العقيد / ابورنات

الأخبار شنو ..؟ اعملوا حسابكم وشدو حيلكم ..
على ضوء صراخ الضباط بالورشة وجلبتهم كان هناك عشرات من الضباط فى إنتظارى على الباب الآخر .. عندما فُتح الباب شاهدت العقيد موسى إسماعيل سعيد ..
أبو الرن .. أهلاً .. كيف حالك ..
وبدأت أبادل التحايا مع المجموعة .. آها .. الأخبار شنو ؟ كل شخص يريد أن يعرف ماذا يجرى بالخارج .. بدأت أحكى لهم عما سمعته وعرفته اثناء الثلاثة ايام التى حُجزت فيها بالجهاز .. فعلاً كانت الانباء جديدة عليهم .
ـ سمعنا عن تقارير رُفعت عن الجهاز .. الكلام ده صحته شنو ..؟ سألنى أحدهم ..
ـ والله معتصم منصور كتب تقرير .. محجوب خوجلى بتعاون مع الجماعه " غواصه يعنى " وشايفه كمان جابوه ليكم هنا .. أما التقرير الخطير فقد كتبه الضابط عثمان .. من الاستخبارات العسكريه .
ـ ثانى شنو؟
ـ خلونى من الأخبار .. أنتوا حسه عملتو شنو للدفاع لو حصلت حاجه ؟
ـ زى شنو يعنى .. نحنا ما جوه السجن وخلاص ..
ـ فى معلومات بتقول إنه اللجان الثورية والبعثيين قرروا يقتحموا السجن ويغتالوا كل ضباط الجهاز .. ولازم تكون عندنا خطه بديله .
فى المساء بعد صلاة العشاء كانت الخطة البديلة قد وضعت بواسطة مجموعه من الضباط .. كانت الخطة تشمل مقاومة أى محاولة لضربنا مع خطه أخرى للخروج من السجن .. كما أن المعتقلين بالأقسام الاخرى كانوا قد تسلموا المعلومات ووضعوا خطتهم .. كانت الخطه بقسم المديرية كالآتى .. للمديرية باب واحد يتوقع منه الإقتحام ..أُوكل الى مجموعة حراسة الباب ثم مقاومة المقتحم الأول وخطف سلاحه ثم الضرب على البقية الباقية وخطف سلاحها .. المجموعة الثانية تقوم بوضع سراير الحديد فى شكل سلالم لتسلق سور السجن بينما تقوم مجموعه أخرى بربط مفارش السراير " "الملايات " بعضها ببعض ثم تقوم أول مجموعة تسلقت سور السجن بتلقف

هذه الملايات ثم ربطها فى شكل حبال ورميها من الخارج للنزول بها الى خارج اسوار السجن وبالطبع كنا نتوجس خيفة من الحرس المكلف بالحراسة خارج السجن إذ أنه كان من القوات المسلحة ، كنا نعلم أن القوات المسلحة أرحم من اللجان الثورية والبعثيين . وجدت أن الزملاء قد كونوا لجاناً للاتصال بسلطات السجن مثل لجنة الطعام ولجان الموضوعات الاخرى ، كوبر معتقل رهيب ..لكنه فى حالة مطمئنة .. كل عنبر من العنابر الثلاثة بالمديريه يتسع لثمانية عشر سريراً بينما العدد قد وصل الى التسعين شخصاً .. كانت هناك خيمة بها بعض المعتقلين . كانت سلطات السجن توفر لنا بعض المساجين المحكوم عليهم لخدمتنا غسل الملابس ونظافة العنابر والمراحيض تتم بانتظام بواسطة هؤلاء السجناء ، كان السجناء أنفسهم يفضلون العمل معنا إذ أنهم على الأقل يجدون تسهيلات لا توجد عندما ينتدبون للعمل بجهات أخرى . كان الجميع يتوقع الإفراج عنه فى أية لحظة خاصة عندما حضرت لجنة مكونة من الضابط المسئول عن منطقة بحرى العقيد أُسامه عثمان صالح . يصحبه الفريق شرطة عباس مدنى والذى كان مديراً عاماً للشرطة ، فأصبح وزيراً للداخليه بعد أن تولى المجلس العسكرى السلطة .. ولقد طمأن اعضاء هذه اللجنة المعتقلين بأنهم سوف يخرجون من المعتقل .. واجه الفريق شرطة عباس مدنى هجوماً شديداً من الضباط من رتبة الرائد فما دون .. أفادوه فيه بأن البوليس مسئول مسئوليه تامة عن كل ما حدث فى المظاهرات .. وأنهم الآن يتنصلون من المسئولية ليرموا بها الجهاز .. كما أنهم اتهموا عباس مدنى شخصياً بالانتهازية .. استمع عباس مدنى الى كل إتهامات الضباط ببرود شديد ولم يرد عليها مما زاد من ضيق الضباط ..

فى الأيام الأولى للإعتقال كان المجلس العسكرى هو الذى يتولى تعيين لجان التحقيق مع اعضاء الجهاز ..تمَ تعيين اللجنة الأولى مع الضباط برئاسة العقيد عمر حسن البشير وعضوية العقيد عثمان بليه ومقدم آخر وضابط من المستشارية القانونية للجهاز .. كانت هذه اللجان تحقق مع أفراد الجهاز حسبما يتوفر لديها من معلومات . كانت تستدعى

الضباط حسب أقدميتهم .. على ضوء تحقيقات هذه اللجان بُدىء فى إطلاق سراح ٢٢ ضابطاً .. وبالطبع لم أكن منهم إذ أننى كنت أتوقع آخر من يخرج أو لربما مع آخر دفعه .. وذلك لأننى كنت مديراً لمكتب النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس جهاز أمن الدولة .. توالت الكشوفات وتوقفت .. علمنا أن النائب العام (عمر عبد العاطى) أفاد المجلس العسكرى أنه هو الجهة المنوط بها التحقيق .. وأنه يطلب من العسكر أن يتوقفوا عن التحقيق فعلاً تكونت عدة لجان للتحقيق مع ضباط وأفراد جهاز أمن الدولةوتفرعت هذه اللجان لتشمل السياسيين وضباط الأمن حققت معى ثمانية عشر لجنة من لجان التحقيق .. بعد عام كامل من التحقيقات أطلق النائب العام سراحى وبقى أمر واحد لم يتأكدوا منه . هو هل أثريت ثراءاً حراماً أم لا؟ بعد أن ذهبت لجان التحقيق ومعها المهندسين لمنزلى .. إقتنعوا بأنه ليس هناك ثراءاً حراماً وتم رفع الحظر عن شخصى وممتلكاتى . كانت كوبر هى فترة للتفكر والتأمل ومراجعة النفس .. كان أمتع ما فيها هو التقرب الى الله بالعبادة .. فالعبد عندما يكون ضعيفاً لا يعرف إلا الله .. ينسى الإنسان غروره ويتذكر أنه مقصرفى عبادة ربه ، كانت قناعتى أن هذا امتحان من الخالق .. فاعطتنى هذه القناعه أن الله معى .. وأننى يجب أن أكفر عن خطأ مقصود أو غير مقصود إرتكبته .. كان هذا شعوراً جماعياً . كنا نصحو تمام الرابعه صباحاً ونصلى الصبح فى جماعة ، يبدأ البعض فى قراءة القرآن أو ذكر بعض الأوراد ، الحمد والثناء والإستغفار والرجاء .. نسأل الله التخفيف لا رد القضاء .. نتناول الشاى فى السادسة ونتفرق لقضاء حاجياتنا .. ثم نجلس لتنسلى بالورق لتمضية وقت الفراغ .. فى الثامنة يبدأ ضابط السجن فى إذاعة الأسماء المطلوب منها مقابلة لجان التحقيق .. عند الثانية عشرة نصلى الظهر والتى يعقبها قراءة المصحف كاملاً لنختمه بعد صلاة العصر لتبدأ الرياضة البدنية والتى تستمر حتى صلاة المغرب ثم نصلى العشاء ، هكذا كان اليوم يمضى .. لقد فات على المجلس العسكرى أن المعتقلين هم أكفأ ضباط أمن .. ولذلك كان لابأس لنا من أن نمارس الأمن كهواية طالما انه لا حول لنا ولا

قوة .. كانت الصحف تصلنا بإنتظام قبل أن يسمح لنا بها ، كانت الرسائل تصل الى اسرنا وكانوا يردون علينا ويرسلون لنا المصاريف .. كنا نتحصل على أدق المعلومات عن الحالة السياسية وأسرارها .. وعندما سمح لأسرنا بزيارتنا إسبوعياً كان بعضهم يذهل عندما نخبره بما نعرفه عن البلد .. كانت دائماً كل هذه المعلومات جديدة عليهم . وأذكر أن هناك محاولة تمرد حدثت .. كان يقودها الأب فيليب غبوش ولام كول .. هذه المحاولة كنا على علم بها قبل حدوثها بثلاثة أيام .. أذكر أننا كنا نسهر طوال ليلة حدوثها .. وذلك قبل أن يبدأ إطلاق النار .. وقد يسأل بعضهم .. كيف كنتم تتحصلون على تلك المعلومات ، وقبل أن أسترسل فى حديثى أذكر هذه الواقعة (١) لجان التحقيق أفادت النائب العام عمر عبد العاطى أن سجن كوبر أصبح مجالاً مكشوفاً .. وأنه وضح لهم أن المعتقلين يتبادلون المعلومات ويجيدون إخفاء الحقائق .. ببساطة لأن السجن به بعض الفوضى .. كتب النائب العام خطاباً شديداً للمجلس العسكرى الذى دبجه بخطاب آخر لمدير السجون .. ثم حول الخطاب لمدير سجن كوبر . كان رد مدير سجن كوبر أن هذا السجن ذو إمكانيات متواضعة وأن تسرب المعلومات فيه مرتبطة باشياء كثيرة ، النائب العام أدرى بها لأنه كان معتقلاً فى هذا السجن .. كان يسرب المعلومات بنفس الطريقة ولربما بصورة اخرى . إذاً ما هى الطرق التى إستخدمها ضباط جهاز أمن الدولة فى تسريب ما يريدون تسريبه والحصول على ما يريدون الحصول عليه :

١ـ تجنيد أهلهم وأقربائهم ممن يتمكنون من زيارتهم .
٢ ـ تجنيد المدنيين العاملين بالسجن " العمال " .
٣ ـ تجنيد عساكر السجون .
٤ ـ تجنيد المساجين المضامين .
٥ ـ الإستفاده من العلاقات الخاصة والصداقات بضباط السجن

---

(١) العقيد/ابورنات

٦- تبادل المعلومات بينهم وبين زملائهم .المعتقلين .
٧ - إيصال وإستلام المعلومات عن طريق المعتقلين الذين يستدعون للتحقيق خارج أسوار السجن
٨ - إستعمال دقات المورس فى توصيل المعلومات للمعتقلين فى الزنازين والمعتقلين فى أقسام اخرى .
٩ - إستعمال كرة الشراب كلعبة يتم تصويبها عالياً الى القسم المجاور لها ثم إعادتها مرة اخرى تحمل رداً على المعلومات المطلوبة .

هذه هى الطرق المعروفة ، وقد لجأ بعض الأفراد الى مهارتهم الشخصية فى مجال الأمن للحصول على ما يريدون ، إن أفراد الأمن الذين تمَ إعتقالهم وإستجوابهم كانوا يتمتعون بمزية اخرى لا يتمتع بها المعتقلين العاديين .. وهى أن خبرتهم فى مجال الإستجواب كانت بمثابة المانع للجان التحقيق من الحصول على ما تريده بسهولة .. كما أن معظمهم كانوا على درايه بالقانون وبحقوقهم القانونية. لذلك أن ما تمَ الحصول عليه بواسطة لجان التحقيق كان يسيراً لذا كان لابد من خلق زخم إعلامى ضخم حوله . عامل آخر هام ساعد فى حماية ضباط الجهاز وهو أن لجنة حصر ممتلكات الجهاز عندما بدأت فى الإطلاع على ملفات الجهاز ذهلت تماماً مما وجدته أمامها وأصبح لديها إقتناع تام بأن خروج أى معلومات عن الجهاز معناه خيانة وطنية اذ أن العمل الوطنى المخلص كان لا يُقارن بما يقوم به بعض أفراد وضباط الجهاز من ممارسات غير مسئولة .. وقد تباطأت لجنة حصر ممتلكات الجهاز عن عمد فى تسليم معلومات طلبتها لجان التحقيق خوفاً من تسرب هذه المعلومات .. خاصة أن لجان التحقيق التى كونها السيد النائب العام كانت تجمع بين ممثلين للاحزاب من المحامين وأحد ضباط القوات المسلحة وأحد ضباط الشرطة . وهناك خطوره على البلاد من تسرب المعلومات من أشخاص لا يعرفون كيف يتعاملوا مع المعلومة السرية . فى بداية تواجدنا فى كوبر نشطت لجان التحقيق والحصر ، فى حصر ممتلكاتنا وحصر حساباتنا فى البنوك وحصر أقاربنا وأبنائنا وزوجاتنا وذلك بغرض حصر أى إحتمالات فساد .. كانت العملية دقيقة لدرجة أنها شلت العمل فى البنوك ومصلحة الأراضى لفترة ..

كان زملاؤنا الذين يذهبون للتحقيق يعودون وشعر رأسهم واقفاً مما يسمعون يحدثهم البعض عن الملايين التى وجدت فى حساب فلان من الضباط وعن خمسة عشر منزلاً يملكها فلان ليتضح أخيراً أن الموضوع ليس أكثر من تطابق اسماء ..
كانت الاقامة بكوبر لا شك مملة مهما كانت الظروف وأدوات الراحة .. كانت أقسى الساعات على المعتقلين هى لحظة الإستلقاء على السرير ما قبل النوم ، وذلك فى حوالى الساعه الثامنة مساء .. عندما تكون الحركة قد هدأت خارج السجن .. ويستلقى الإنسان على سريره وحده يتذكر أسرتة واخوتة .. أمه وأولاده .. اصدقاءه .. ويذكر حالهم .. وكم من مره سمعت أحد الزملاء يقول فى تلك اللحظات .. والله مفروض يجيبونا السجن ده من زمان عشان نعرف معناه شنو ، ونعامل على أساسه المعتقلين .
قضيت بالمعتقل فى كوبر سبعة أشهر كان عدد المعتقلين يتناقص ويتزايد بقسم المديرية غير سبعة أيام قضيتها فى زنزانة فردية بأمر لجنة التحقيق معى بخصوص مبلغ ١٥٠ ألف دولار الخاصه بالفلاشا .. كانت زنزانتى مواجهة لزنازين المحكوم عليهم بالإعدام .. والذين يسمح لهم بالخروج مرتين فقط فى اليوم لقضاء الحاجة والاكل . كان معى شخصان معتقلان .. اعتقالا تحفظياً .. كنت أعتقد أنهم من **السدنة** "اسم يطلق على الذين ناصروا ثورة مايو" إلا أننى فوجئت بانهما كانا معتقلان قبل الانتفاضة بسبعة أشهر لانهم ينتمون لتنظيم اللجان الثورية الذى تموله ليبيا . وان الاستخبارات العسكرية رفضت إطلاق سراحهم بحجة معرفة مواقع السلاح منهم كان . حديث الدومه ورفيقه جافاً معى .. ولم يرغبا حتى فى النظر الىّ .. جاء وقت الصلاة فصلينا جماعة .. ذاب الجليد قليلاً .. ثم جاء الاكل فأكلنا سوياً .. ولم يكن أمامنا شىء آخر .. فجأة أخرج الدومه ورقة فإذا بها لعبة شعبية تعرف بإسم "**السيجه**" كانت الورقة مقسمة الى مربعات . جاء زميل الدومه يحمل حصى من لونين .. سلم الدومه اللون الاحمر .. وأمسك هو باللون الاسود تقابلا .. وكانا يلعبان هذه اللعبة أكثر من ثلاثين مرة فى اليوم ولعدة شهور خلت .. فهما ماهران لدرجة أننى لم استطع متابعتهما .. ثم دعونى

للعب .. بذلت مجهوداً خارقاً .. لكنى لم أكسب اللعبة .. جاء المساء ونحن رقود .. وبدأ الأنس وذاب الجليد تماماً صلينا الصبح جماعة . وشربنا الشاى وبدأ الحديث .. ثم فجأة قال الدومه .

- **والله يا جنابو أنت ما ممكن تكون بتاع أمن .**

- قلت له ..

يا الدومه يا أخى ..

- قال

.. الأمن ده معقول يكون فيه ناس طيبين زيك كده ..

- قلت

والله فى ناس ممتازين وأحسن منى ..

- قال

طيب العواليق البحققوا معانا جيبتوهم من وين ؟

صمت ولم استطع الرد .. كان صعباً أن اشرح فى مثل هذه الظروف وتلك الايام .. فهززت رأسى واستمريت أرشف من الشاى .

فى اليوم السابع وعندما قررت اللجنة إعادتى الى زملائى بقسم المديرية .. كان قد صدر قرار بإطلاق سراح الدومه وصديقه اللذين أصبحا صديقين .. عندما أفرج عنهما كانا أول ما فعلاه أن زارا أسرتى ووالدتى وطمأنوهم .

فى فترة الثمانية أشهر التى قضيتها بكوبر لاحظت أن بعض الضباط والمعتقلين لم يتم التحقيق معهم بتاتاً وأن اسماءهم لم ترد وأنهم لم يغادروا السجن الى أى جهة ولا أحد يعرف ما معضلتهم وهنا تذكرت أن كثيرا من الاصدقاء كانوا يحضرون الى مكتبى شاكين من أن فلاناً له كذا شهر معتقل دون أن يعرف أحد جريرتة .. وتذكرت الآيه الكريمة (وقال للذى ظن أنه ناج منهما أذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين) صدق الله العظيم . سورة يوسف الآية ٤٢

عندما بلغت الشهر السابع فى المعتقل صار عدد الضباط المعتقلين لا يربو على الثلاثين كان خمسة قد حُوكموا فى قضية حزب البعث وأرسلوا الى سجون أخرى .. بينما البقية تحت التحقيق .. فى أحد الأيام جاء عسكرى السجن يحمل

ورقة فيها إسمي وإسم فؤاد بندر .. دانيال دينق .. موسى إسماعيل ، طالباً منا أن نحضر عفشنا وأن نقابل مدير السجن .. حقيقة لقد إضطربنا تماماً .. الى أين .. لا ندرى .. هنا لم يكن أمامنا إلا تنفيذ الأمر .. عندما وصلنا الى مكتب الضابط النوبتجى أمرنا أن نستلم اماناتنا لأننا سوف نذهب لمعتقل جديد فى جهاز أمن الدولة السابق . كان المعتقل الجديد أكثر راحة من كوبر وكانت أسرتى تزورنى بإستمرار خاصة أطفالى بحكم أنهم يدرسون فى مدرسه تواجه مكان إعتقالى .. وكل المعتقلين معى كان قد تمَ إطلاق سراحهم بعد محاكمات الفلاشا .. مكثت ثلاثة أشهر وحدى ، كانت أقسى فترة قضيتها .. فكانت فرصة جيدة للقراءة والإطلاع والتعبد .

العميد أ.ح الهادى بشرى كان رئيساً للجنة حصر ممتلكات جهاز أمن الدولة .. إشتهر بصرامته أنه عسكرى دقيق .. و مضرب مثل فى الضبط والربط .. الهادى بشرى كان أكثر الضباط حماساً ضد جهاز أمن الدولة لا يعادله فى ذلك إلا العقيد عمر حسن البشير .. وكانا المسئولان الرئيسيان داخل لجان الجهاز ، بينما كان يتولى رئاسة كلتا اللجنتين اللواء السر أب أحمد .. عمر حسن البشير تمَ نقله بعد فترة وجيزة من الانتفاضة الى كردفان ، بينما أصبح الهادى بشرى المسئول الرئيسى عن لجان الجهاز جميعها بعد ذهاب السر أب أحمد.

كما أسلفنا بعد أن عرف العميد الهادى بشرى ما بين يديه من وثائق بدأ يزن الأمور بطريقة أخرى ومالت وجهتة الى أن يعدل بين الناس .. بالطبع لم تكن كل الأمور بيده .. كان العميد الهادى جافاً معى كما مع غيرى.. عندما قررت لجنة التحقيق النهائية إطلاق سراحي ، كان أول من ابلغنى الخبر وساعدنى فى الوصول لأهلى وأولادى و على وجهه سعادة لم يشأ أن يخفيها.

قابلته بعد فترة من إطلاق سراحى .. بعد التحيات والمجاملات قلت له :-

- تعرف يا سعادتك فلان .. وفلان ؟

- كيف.. انهم أعزّ اصدقاء والدى .

- قلت

إن فلان هو خالى وأن فلان هو والد زوجتى.

ـ قال
تعرف يا هاشم ..
ـ قلت
نعم ..
ـ قال
لو كنت قلت لى الكلام ده وانت لسه فى المعتقل .. كنت كرهتك تماماً ..
حقيقة .. لقد أكبرت فيه ذلك .

كوبر .. الأمان .. المعاناه ..

تَم إعتقال الضباط بالأقاليم المختلفة وهذه واحدة من صور تلك الإعتقالات .

فى ابريل عام ١٩٨٥ كنت (١) بكسلا المدينة اعمل مديراً لأمن الإقليم الشرقى "بورتسودان ـ كسلا ـ القضارف" . كنت وقتها مشغولاً مع الفصائل الإريترية فى محاوله لتوحيدها وكانت مدينة كسلا تستضيف تلك العناصر ، كنت أُتابع ما يدور فى الخرطوم من تطورات سياسية خطيرة .. سمعنا ببيان سوار الدهب وتسلمه السلطة .. قرار حل جهاز أمن الدولة . وصلتنى برقية تلكسية عاجلة تفيد بحل الجهاز ، أعقبتها أخرى تفيد بقيام جهاز جديد بإسم جهاز الأمن الوطنى ، برئاسة اللواء كمال حسن أحمد .. وأن نتابع عملنا كالمعتاد.

---

(١) العميد/ محمد عبدالعزيز

تفيد ايضاً أن الجهاز تحت قيادته الجديدة بعث ببرقية تأييد للوضع الجديد لم يكن هذا جديداً عليّ فقد عملت ثمانية عشر عاماً فى أجهزة الأمن المختلفة تحت شتى الأسماء ، كان واجبنا هو حماية أمن وطننا بحدوده بغض النظر عن النظام الذى يحكمه ونوعه.
تأزمت الأمور وخرجت التظاهرات منددة بالنظام وهاتفة بسقوطه حيث أخذت تتحرش باعضاء الجهاز ، المعروفين لأهل كسلا بحكم أنهم من أبناء الاقليم ، توجهت بعض التظاهرات مباشرة الى مبنى الجهاز فى كسلا وهتفت بسقوطه وطالبت بحله ، تحمس بعض الضباط ولم يتحملوا الظروف الضاغطة والهتاف ، فصرفوا السلاح للجنود حماية لهم وللممتلكات . جاءنى أحد الضباط وكان فى حالة هياج شديد ، كيف نقف مكتوفي الأيدى تجاه الإساءات الموجهة لنا ، لم أكن قد خرجت وقتها لأعرف ما يجرى فى الخارج حيث كنت فى حالة إتصال هاتفى بالعاصمة لمعرفة مجريات الأمور هناك حين نبهنى ذلك الضابط بما يدور حول مكاتب الجهاز من الخارج من تحرشات واضحة فطلبت من الجميع ضبط النفس والهدوء ، فنحن من هذا الشعب واليه .. عندما خرجت لاحظت أن بعض الجنود والضباط الذين يمسكون بالسلاح كانوا يرتجفون من الغضب والاستفزاز .. دخلت مكتبى وإتصلت بقائد حامية كسلا العميد على مكلى ، وطلبت اليه إرسال سرية لتحرس مبانى الجهاز من الخارج ، فلبى الطلب وأرسل لى العقيد شرف الدين الذى وصل وحيانى مفيداً أن القوة التى حضرت بقيادته مرابطة أمام مبانى الجهاز .. شكرته وطلبت منه أيضاً ضبط النفس الى أبعد الحدود .
عندما خرج من عندى العقيد شرف الدين ، حضر لمقابلتى أحد الضباط الذين يعملون معى ، قائلاً لى

سيادتك نحن يحرسونا بالجيش ليه .. نحن ما رجال؟

فقلت له إننى طلبت هذه القوة لئلا أعرضكم لمواجهة الجماهير .. بينما هو يتحدث الى علمت أن أحد الضباط على وشك أن يطلق عياراً نارياً لأن أحد المتظاهرين إستفزه حينما كانت التظاهرات تمر أمام مبانى الجهاز .. فلحقت به مع مساعدى المقدم وقتها عمر بخيت والمقدم محمد صادق الطاهر .. هدأنا

من ورع الضابط واستلمنا منه السلاح وأمرت بسحب كل السلاح من القوة وإدخاله الى المخزن ، هذا الإجراء لم يرض كثير من العاملين معى وقتها .. لكن وفى مرحلة لاحقة حين تمَ نقلنا الى السجن العمومى بكوبر تبينَ لذلك الضابط معنى إصرارى على تجريدهم من السلاح .. إذ وجدنا أحد زملاءنا ضابط برتبة الملازم فى حراسة إنفرادية" زنزانة" لأنه متهم بإطلاق رصاصة اثناء المظاهرات فأصابت مواطناً فقتلته .. عندها قال لى ..

والله يا سعادتك لولا تدخلك وإصرارك لكنت مثل هذا الزميل .. وقال فعلاً المثل بقول

" الما عنده كبير يشوف ليه كبير"

فى اليوم التالى وكان ذلك يوم ١١ ابريل ١٩٨٥ ، علمت ما حدث لكل أعضاء الجهاز بالخرطوم حيث تمَ إعتقالهم وترحيلهم الى السجن .. فى حوالى الخامسة مساء إتصلت بإسرتى بالخرطوم ، وتحدثت الى زوجتى لأتعرف على أحوالهم .. فأكدت زوجتى أن كل زملائى ارسلوا الى السجن وسألتنى إن كان قد تم إعتقالنا .. فاجبتها لم يحدث بعد، إلا أن ذلك يعنى أن الخبر فى طريقه الينا ، أوصيتها خيراً وطفقت أرتب أشيائى وحاجياتى .. كان ينزل معى ضيفاً صديقاً لى حضر فى طريقه من بورتسودان الى الخرطوم ، فجمعت له أشيائى التى تخصنى وطلبت اليه أن يسلمها الى أسرتى بالخرطوم .. نقلت الخبر الى جارى مباشرة ومساعدى المقدم محمد صادق الطاهر الذى بدأ يستعد .. فى حوالى السابعة مساء حضر الىّ ضابط برتبة الرائد يخطرنى بأن اللواء عبد الله الياس قائد حامية القربه يطلب مقابلتى بمكتب قائد حامية كسلا . ذهبت معه ، وهناك التقيت باللواء عبدالله الياس وحييته ووجدت معه الأخ اللواء عبد الله بله الحاردلو مدير شرطة الاقليم ، والعميد على مكلى قائد حامية كسلا .. وجدت الأخ اللوا عبدالله الياس ، والذى عملنا سوياً من قبل فى الجنوب ، يحاول أن يجد الكلمات المناسبة لتوضيح الأمر بالنسبه لى .. فقلت له ..

يا سيادتك هل هناك تعليمات بخلاف إعتقالنا ..

فرد ...

لا .. لا .. مافى حاجه غير الإعتقال ..
فقلت له ..
سيادتك أنا عندى خبر وجاهز حتى شنطتى جاهزه .
فرد علىّ ..
والله يامحمد نحن مقدرين الموقف وانت عارف ظروف البلد .. ووالله أنا والأخ حاردلو ما كنا عارفين نبدأ معاك من وين .
لم يخف الجميع قلقهم وتهيبهم من نقل الخبر لى .. فسألنى اللواء عبدالله الياس ..
هل تعرف منازل كل ضباطك ..؟
قلت له ..
نعم .. فوصفتها ..
وهنا طلبت اليهم العوده الى منزلى لإحضار حاجياتى للذهاب الى المعتقل .. وقلت لهم
أين حرسكم ؟
فضحك عبدالله وقال لى
يا أخ محمد ما وصلت الحد ده .. منزلى كان لا يبعد كثيراً عن قيادة حامية كسلا حوالى ٥٠٠ متر فقط ..
تركتهم وعدت فى أقل من ربع ساعة .. وجلست معهم وكانوا قد انتقلوا الى أمام المكاتب حيث كانوا يشاهدون التلفزيون ..فى إنتظار حضور الضباط . عندما إكتمل عقدنا تمَ الإجتماع بنا مرة أخرى بداخل مكتب القائد حيث خيّرنا الأخ اللواء عبدالله بين الإعتقال بكسلا والإعتقال بخشم القربه موجهاً لى السؤال .. فاجبته بأن الأمر سيان عندى .. لكن أعتقد أن معظم الضباط الذين معى متزوجون وأسرهم هنا بكسلا .. ربما يفضلون أن يبقوا بكسلا .. فاقترحت أن نسألهم .. كل الضباط بالإجماع فضلوا الإعتقال بخشم القربه .. جُهزت العربات لنقلنا الى القربه .. فى ذات الليله وصلنا القربه بعد منتصف الليل . كان قد جُهز لنا مبنى عباره عن منزل أحد الضباط .. كان عددنا حوالى الخمسه عشر ضابطاً .. وكان المنزل صغيراً لعدد كهذا خاصة دورة المياه والحمام ، حيث كان واحداً لكل هذا العدد ، هكذا قضينا الأربعة أيام الأولى من إعتقالنا حتى تمَ نقلنا الى نادى يتبع الى أحد الأسلحة ..

بعد تجهيزه .. من تلفزيون وجهاز راديو .. كنا هكذا نتابع الأخبار من خلال الجهازين .. كانت الزيارة لنا ممنوعة حتى شقيقى الذى كان عقيداً بسلاح المدرعات بخشم القربه لم يسمح له بمقابلتى .. كنا فى عزلة تامة عن الناس .. إلا الحرس الذى كان يحرسنا طوال الأربعة وعشرين ساعة والذى كان متشدداً معنا الى أبعد حد . أذكر أن التيار الكهربائى قطع لدقائق معدودة لدهشتنا وجدنا أن كل الحرس بما فيهم الذين كانوا يقضون فترة راحة ، كلهم هبوا لينتشروا حول مقر إعتقالنا فى سرعة متناهية يطوقون المكان .. كأنما كانوا يتوقعون منا أن نكون قد قمنا بفصل التيار الكهربائى لخطة ننوى تنفيذها. (بينما كان فى استطاعتهم معرفة ذلك من انقطاع التيار عن كل المعسكر) ولما عاد التيار سيرته عادوا الى أماكنهم .. إستغربنا لذلك .. علمنا لاحقاً أن التعليمات كانت أن يكونوا يقظين ربما هرب منا البعض أو هربنا جميعاً .. يا سبحان الله . فى يومنا الخامس من الإعتقال جاءنا ضابط الاستخبارات الموكل بالإشراف على إعتقالنا ليفيدنا أنه تلقى إشارة لاسلكية من كسلا من اللواء عبدالله الياس تفيد بأنه سمح لنا بمقابلة بعض الأعيان من مواطنى كسلا الذين يودون مقابلتنا .. وأنه يخطرنا لنكون فى حالة إستعداد لإستقبالهم .
لم نعرف ما كان يجرى فى الإقليم ولم نكن نعرف الغرض من زيارة هذا الوفد لنا ، إنتظرنا وصولهم بفارغ الصبر .. وصل الوفد ودخل علينا وبعد التحية والمجامله والسؤال عن صحتنا .. ذكر لنا رئيس الوفد المكون من خمسة من أعيان كسلا بأنهم حضروا خصيصاً لمقابلتنا والإعراب عن عدم رضائهم عن إعتقالنا و عن حل الجهاز . ذكر رئيس الوفد أيضاً أنهم قد حملوا هذا الرأى للحاكم الجديد وللقائد بكسلا خاصة أنه منذ إعلان حل الجهاز أن مدينة كسلا لم تنعم بنوم عميق من جراء صراعات الفصائل الإريترية ومحاولات التصفية فيما بينها وإستعمال المتفجرات .. خاصة تلك العبوة التى إنفجرت فى أكثر أحياء المدينةازدحاماً بالسكان فمات من جرائها مواطن وجُرح آخرون .
إستغربنا لسماع هذه الانباء .. فأردف الوفد قائلاً .. أنهم يحاولون مع القائد ومدير الشرطة السيطرة على الأمن .. لكن

المحاولات كلها باءت بالفشل وقالوا .. قلنا لهم هذه أولى إخفاقات حل الجهاز .. وآثاره .. وطالبنا بإعادة الجهاز وأعضائه لمباشرة عملهم .. لأنهم الأقدر والأعرف بكل صغيرة وكبيرة فى مدينتنا هذه . شكرنا للوفد مشاعره وتمنينا لهم التوفيق وللوطن عموماً هدوءاً وأمناً ولمدينة كسلا الحبيبة إستقراراً ونوماً هادئاً .

إنتهت زيارة الوفد لنا وكانوا قد أحضروا لنا معهم خرافاً وبعض العصائر والقهوة تعبيراً عن صدق مشاعرهم .. فشكرناهم أجزل الشكر .. وحملناهم تحياتنا لكل أهل كسلا فلهم منا الشكر والتقدير ولن ننسى لهم ذلك الموقف ما حيينا قضينا اسبوعين كاملين بخشم القربه .. كان خلالها قد خفت وطأة الحراسة المشددة علينا ، وسمح بزيارتنا من الضباط فزارنى شقيقى العقيد صديق عبدالعزيز والصديق العميد شريف العاقب .. ولن أنسى للأخ الصديق العقيد "م" مصطفىسربل الذى قام بمفرده من الخرطوم لزيارتى خصيصاً فى القربه بعربته الخاصة .

بعدها تقرر نقلنا الى السجن العمومى بكوبر لبدء التحقيق معنا خاصة أن ضباط هذا الإقليم قد أفادت المعلومات الى أنهم قد شاركوا فى ترحيل اليهود الفلاشا الى إسرائيل . وصلنا الى السجن العمومى بكوبر فى عربتين محروستين حراسه كاملة .. عندما وصلنا أمام مبنى السجن تمَ تفتيش متاعنا وطلب منا أن ندخل بذلك الباب الصغير الذى لابد أن تدخله وأنت مطاطىء الرأس .. فقلت للحرس بالباب أننى لن أدخل من هذا الباب الصغير أبداً حتى ولو قطع رأسى .. لما أصررت نادى على الضابط فأمر بفتح الباب الكبير فدخلت منه فقلت لهم إننا حينما ندخل السجن يجب أن ندخله من أوسع الأبواب .. كانت نادرة تحدث بها السجن كله لفترة من الوقت .. كان لما ذكر الزميل هاشم أن السجن كان قد قسم ليحتوينا بالرتب ، ولما كنت عميداً فكان موقعى مع رتبتى العمداء .. إلا أنه لم يكن هناك مكان لى .. فطلب منى أن أكون فى المديريه مع العقداء والمقدمين .. فقلت لهم سيان عندى ما دمت وراء هذه الجدران العالية .. رحب بى الزملاء أحر ترحاب وسألونا عن أحوالنا كما سألناهم عن أحوالهم ..

وجدت أيضاً معى العميد الرفاعى محمد وراق والعميد أمين عبد المجيد مقلد مدير الشئون الماليه . الرجل كبير فى سنه ويكبرنا بأكثر من عشر سنوات . وجدنا أن وجودنا مع زملائنا كان أفضل كثيراً من بقائنا بخشم القربه .. بعد ذلك بدأ يسألنى البعض كيف رحلنا الفلاشا .. لأن هذه كانت أكبر القضايا ضد الجهاز .. فلم أفصح لهم .. وقلت لهم

"الله يجازى الكان السبب".

بدأت انتقل فى قابل الأيام من مجموعة الى مجموعة .. وأخيراً جلست فى ظل أحد "العنابر" أقرأ ما كتب أو حُفر على جدران السجن من اسماء .. وجدنا اسماء سياسيين وعسكريين منذ محاولة إنقلاب كبيده وعبدالبديع عام ١٩٥٩ أبان حكومة عبود .. الى اسماء الشيوعين . كتب بعضهم إسمه وتاريخ دخوله للمرة الأولى والثانية .. الخ .. وبدأنا نصنف الأسماء ونعد طوب الحائط حتى وجدناه ٤٦ طوبة كبيرة هى طول الحائط .

تعوّدنا أن نؤدى صلواتنا بإنتظام وفى مواقيتها .. بل تعودنا أن نقرأ القرآن بعد صلاة الظهر وصلاة العصر من كل يوم .. كنا ١٥ فرداً يقرأ كل منا جزءين فقط لنختم القرآن كل يوم .. وكان حين يتم إطلاق سراح أحد منا يبادر آخر ليحل محله .. عندما كثر عدد الخروج منا لفترة قال لنا النقيب الكتيابى ، الذى كان مصدر تسلية ونكات وترويح عن النفس بين الزملاء ، قال أنا عاوز أقرأ معكم فقلنا له إتفضل .. وعين له الجزءين ليقرأهما .. ولم يكن معتاداً الصلاة أو قراءة القرآن قبل دخوله السجن ، فذهب وانتقى ناصية بعيدة وبدأ يقرأ .. لم يكمل الصفحة الأولى من الجزء حتى صاح ..

يا أخوانا أنا ما موسى سعيد ولا رحلت فلاشا .. أنا كتيابى .. الصفحة الواحدة البديت بيها جاء ذكر اليهود وسيدنا موسى أكثر من أربع مرات .. الحكايه شنو ..

فضحك الجميع ، أذكر أيضاً ذات مرة أن زار قسمنا مدير السجن وقتها اللواء رفاعى الذى تحدث اليه على إنفراد العقيد "م" محجوب برير محمد نور متهماً فى قضية مدبرى إنقلاب مايو .. قال لمدير السجن بأنه ما كان يريد أن يكون

مع مدبرى إنقلاب مايو فى مكان واحد .. لكن هذا المكان " المديرية " ليس وضعه المناسب وهؤلاء الضباط أقل رتبه منه .. أسر لى الأخ اللواء الرفاعى ما قاله الأخ محجوب برير فلم يسعنى إلا أن أنقل الخبر للنقيب الكتيابى ليجعل منه خبراً ساخراً ومسلياً رغم عدم قبولى لما بدر من محجوب.. فما كان من الكتيابى إلا أن إنتظر كعادته فتح الباب الكبير الذى يدخل منه الحرس لينادى الضباط للتحقيق أو لإطلاق سراحهم .. كانت عادة الكتيابى أن ينتظر موعد حضور الحرس لمناداة المعتقلين لإطلاق سراحهم .. فكان يضيف كل مرة أسماً من عنده سرعان ما يعود ليخطره بأنه لم يتم إطلاق سراحه مما أصبح الجميع لا يثقون فيه حتى يروا اسماءهم بام أعينهم .. فى ذلك اليوم إنتظر حتى حضور الحرس وتناول منه الامر الا انه بدل ان يقرأ اسماء اطلاق سراح ذكر وكأنه يقرأ: اللواء معاش أكبر من دبر لإنقلاب مايو ينقل الى زنزانة منفردة .. تسمر الأخ محجوب مكانه .. وهنا بادرته وقلت له ..

ليه يا محجوب انت ما راضى بينا ..

عرف الرجل أن أمره قد إنكشف فإعتذر للجميع. ضحك الجميع وسخروا منه ومن حديثه لمدير السجن ...وقال بعضهم بكره حيعملها مسرحيه .. ضحكنا مرة أخرى . لأن محجوب برير إشتهر بتأليف المسرحيات الإذاعية .

بقيت فى السجن ١٩٨ يوماً .. عانيت فيها معاناة حقيقية حيث كنت مريضاً بالقلب ..أول جلطة دموية فى القلب أصبت بها فى جوبا عام ١٩٨١ .. الثانية فى كسلا عام ١٩٨٤ فى يناير وكانت حالتى صعبة للغاية . من الاشياء المؤسفة التى لابد من ذكرها هى أن الأطباء المسئولين بالمستشفى عاملونا أسوأ معاملة فى الوقت الذى كنا نحترم قراراتهم فى كل الأوقات فيما يتعلق بأى توصية يتقدمون بها نحو أى معتقل سياسى ، إننى شخصياً اذكر هذه الواقعة التى آلمتنى أشد الألم حيث نفذت لدى الأقراص التى أتناولها لتخفيف ضغط الدم فطلبت من إدارة السجن أن تنقل للطبيب كتابة دواء اشتريه من الصيدلية أو أن يقدم لى من صيدلية السجن ، انتظرت حتى نفذت تماماً ما لدى فلم تأتينى وصفة الدواء .. انتظرت مرة ثانية وطالبت لم تصل .. عندما ساءت حالتى إتصلت بطريقة

معينة بالأخ الفريق الفاتح بشاره الذى كان فى قسم آخر فتكرم مشكوراً بإرسال بعض الأقراص .. ولما حضر الطبيب أفهمته بكل محاولاتي .. أبدى أسفاً ووعد بان يرسل لى الأقراص فوراً .. خرج بعد أن فحص على بعض المرضى من الزملاء ، انتظرت وصول الدواء ذلك اليوم وثاني يوم .. عبثاً كان سؤالى ومحاولاتى .. هكذا عندما عاد فى المرور الدورى سألته وذكرته .. فأبدى نفس الشعور بأنه جد آسف ونسى وكتب للمرة الثانية فى مذكرته .. أخطرت سلطات السجن وصدف أن زارنا فى نفس اليوم النائب العام عمر عبدالعاطى ووزير الداخليه الفريق عباس مدنى ومدير السجون الفريق سجون احمد وادى حسن وإجتمعوا بنا ليعرفوا أحوالنا فتحدثنا فى شتى المواضيع التى تهمنا ومنها ذكرت لهم قصتى فى البحث عن دواء ضغط الدم ومطالبتى ثلاثة مرات للطبيب المسئول ومرتين لسلطات السجن .. ووجهت حديثى للفريق عباس مدنى فقلت له الشيء الذى أعرفه أنك كنت متحمس لمايو ونظامها أكثر منى وذكرت له المناسبات ثم أنه ترقى فى ظل نظام مايو الى أن أصبح على ما هو عليه الآن .. فأينا كان الأجدر أن يدخل السجن ! ! ويعامل مثل هذه المعاملة حتى العلاج .

بدأ التحقيق فى قضية ترحيل الفلاشا وبصفتى مديراً لأمن الإقليم الذى تمَ الترحيل منه طلبت منى اللجنه المثول أمامها .. سئلت ماذا أعرف عن ترحيل اليهود الفلاشا .. كان ردى بسيطاً اننى لا أعلم شيئاً لأن اللواء عمر أراد ألا أعرف وألا أكون شريكاً فى العملية لأن أحد الضباط العاملين معى بالقضارف أخطرنى بذلك وقال أن العقيد الفاتح عروه أفهمه ألا يتحدث اليّ حتى يتم إخطارى بواسطة رئيسى .. فانتظرت حتى يتم ذلك .. هنا وقع حادث حركة مؤسف لاسرتى المكونه من زوجتى وأبنائى الأربعة وخالتهم وطفليها .. لابد من التعرض للحادث لأن الحادث اضطرنى أن أترك موقع عملى بكسلا للحضور مع ابنى الذى أصيب فى الحادث .. أصبت بجلطة دموية فى القلب نتيجة ذلك الحادث .. تمَ إسعاف الأبن وأُجريت له عملية جراحية كبيرة بالسلاح الطبى فىالخرطوم زارنى ضمن الزملاء الأخ العقيد الفاتح عروه واختلى بى ليوضح لى أمر ترحيل الفلاشا وكيف أن اللواء عمر حدثه ألا

يخطرنى وأن تتم العملية من وراء ظهرى .. هكذا .. ذكرت للجنة التحقيق أننى عندما إستوثقت من أن النقل يسير بانتظام وأن المسألة قصد منها ألا أعلم بها كتبت تقريراً مطولاً أستفسر حقيقة الأمر الى حاكم الإقليم بصوره الى رئاسة الجهاز ذكرت أننى علمت وأن المسألة رغم التكتم عليها إلا أنها بدأت تفوح .. فى الحقيقه كنت أحد مروجى خبر ذلك الترحيل وأخطرت كل أصدقائى وزملائى ومعارفى .. من عجب أن المنزل الذى أتخذ ساتراً لكى تقف عنده البصات التى استعملت فى الترحيل كان بالمقرن ولا يبعد كثيراً عن منزلى .. ذكرت للجنة التحقيق أننى كتبت ذلك التقرير لحاكم الإقليم السيد حامد على شاش بصورة الى رئاسة الجهاز .. طلبت من اللجنه أن تطلب ذلك التقرير من لجنة حصر ممتلكات الجهاز .. سألتنى اللجنة أيضاً عن أن ترحيلاً قد تمَ من جوبا وقد كنت أيضاً مديراً لأمن الإقليم الجنوبى وقتها .. إعتقدت اللجنة باننى رحلت فلاشا عن طريق جوبا وأخيراً نقلت الى كسلا لأكمل عملية النقل ، فأوضحت تواريخ نقلى الى جوبا ومنها .. وستجدون أن شيئاً من ذلك لم يحدث .. كان ذلك ردى على لجنة التحقيق . علمت لاحقاً أن اللجنة تأكدت من وجود التقرير الذى كان كافياً وشافياً وتأكّدت من عدم وجودى بجوبا فى التاريخ الذى رُحلت فيه الفلاشا منها .. لم تشأ لجنة التحقيق أن تكشف عن ذلك لأنه سيعتبر أن بعض أعضاء الجهاز لم يكونوا راضين أو موافقين على ترحيل الفلاشا .. لم تشأ حتى الاستعانه بى كشاهد فى القضية بل أُستبعدتنى نهائياً .. رغم محاولات الاستاذ عبدالعزيز شدو محامى المتهم الاول .. لم يطلق سراحى .. ولهذا قصة أخرى سآتى لذكرها .. أعود لموضوع التقرير الذى كتبتة وسلمتة الى الحاكم السيد شاش يداً بيد شرحت له الموقف وطلبت اليه أن يسعى لمعرفة الحقيقة بصفتة المسئول عن الإقليم ، فسألنى أن كنت واثقاً من المعلومة .. فأكدت له ذلك ، تحمس وسافر الى الخرطوم للقاء اللواء عمر محمد الطيب رئيس الجهاز .. عاد بعد عدة ايام فلم يخطرنى بنتيجة مقابلتة .. استغربت ولم أشأ أن أسأله ، علمت فيما بعد بأن السيد حامد على شاش حاكم الإقليم تمكن من مقابلة اللواء عمر الذى ناقش

معه عدة مواضيع تتعلق بالإقليم ، أولها خلافهما حول مشكلة المزارعين بالقضارف مع اتحادهم ، إذ كان يقف اللواء عمر الى جانب الاتحاد ويقف السيد شاش الى جانب المزارعين ، تمَ لقاء السيد شاش باللواء عمر أمام الرئيس السابق نميرى ، اللقاء كان ساخناً تبودلت فيه الإتهامات بالتقصير وعدم الإلمام بتفاصيل الأمور .. لم يخلو الأمر من تهديد جعل السيد شاش يحاول إعادة حساباتة لجولة أخرى ضد غريمه اللواء عمر.. علمت أن نقاشاً جرى حول مشكلة ترحيل الفلاشا والتى استخدمت كسلاح فى تبادل الإتهامات . عندما علمت بأن السيد شاش لم يكن راضياً عن الموقف والوضع عموماً سألته عما فعل بخصوص التقرير الذى كتبتة له بخصوص عملية ترحيل اليهود الفلاشا.. لم يرد أن يرد علىّ ، وأردفت ..

سيادتك برضو انت أدوك حقك ..

- قال ..

هل هى فيها حق .. تقصد قروش ..؟

- قلت له ..

نعم قالوا الأمريكان دفعوا فيها ٦٠ مليون دولار .

- قال ..

عجيبه والله .

أعود لمسألة إطلاق سراحى من السجن بعد أن اقتنعت لجنة التحقيق فى قضية ترحيل اليهود الفلاشا والتى كتبت خطاباً للنائب العام أوضحت فيه بخلو ساحتى من أية علاقة بالموضوع .. علمت من مصدر آخر أن اسمى كان قد أُدرج لثلاثة مرات فى قوائم الذين تقرر إطلاق سراحهم فرفض الفريق تاج الدين عبدالله فضل نائب رئيس المجلس العسكرى الانتقالى أن يصدق على إطلاق سراحى .. عرفت السبب أنه يأخذ علىّ أننى عندما كنت معه بجوبا حدثت مسألة تخصه اعتقد أن لى يداً فيها ، أوضحت له الأمر لكن يبدو أنه لم يقتنع .. فهكذا عاملنى ليصفى حساباً قديماً .. سامحه الله ..

بقيت أربعة أشهر بعد نهاية التحقيق معى .. حتى قبل يوم واحد من بداية تقديم قضية ترحيل اليهود الفلاشا الى المحكمة المختصة وبالتحديد يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٨٥ حيث جاء خطاب عند المغيب يحمل اسمين فقط ، اسمى واسم المقدم

محمد عطيه مبيوع ، وكان يوم جمعة " عطله " كان امراً غير مألوف أن يتم إطلاق سراح فى غير أيام العمل الرسمية .. على كل أخذت حاجياتى من السجن وودعت زملائى وغادرت .. عند الباب الرئيسى للسجن وجدت الأخ المستشار كمال حمد النيل ينتظر لقائى ليقول لى حمد الله على سلامتك .. شكرته وكنا قد عملنا سوياً فى وادمدنى فى الستينات وأخطرنى بقصة إطلاق سراحى فى هذا اليوم الذى يوافق عطلة الجمعة الاسبوعية ، قال كنت قد اتفقت مع الاستاذ عمر عبد العاطى النائب العام بالحضور للمكتب بعد صلاة الجمعة لنكمل خطبة إفتتاح قضية ترحيل اليهود الفلاشا لأنها ستبدأ غداً ٢٦ اكتوبر ١٩٨٥ ، إلتقينا عقب الصلاة بمكتب النائب العام الاستاذ عمر عبدالعاطى .. طلب منى الاستاذ عمر أن اذكره بعد أن نكمل عملنا أن نكتب خطاب إفراج لمحمد عبدالعزيز الذى أخشى أن أكون قد ظلمتة ، الحديث هنا للاستاذ عمر .. خاصة أن خطبة امام الجامع الذى صليت فيه تحدثت عن ظلم الانسان لأخيه الانسان .. رد المستشار موافقاً حسب أقواله لى وأنه يعرفنى .. وقال هكذا عندما انتهينا كتبت الخطاب وطبعتة على الآلة الكاتبة ليوقعه الاستاذ عمر عبدالعاطى .. وكان المفترض أن نترك الخطاب ليأخذ الطريقة المتبعة فى الوصول الى السجن .. لكن قال لما كان لدى متسع من الوقت قلت لا مانع من أن أوصله للسجن وأنا فى طريقى الى الخرطوم بحرى ، وعندما وصلت السجن وسلمت الخطاب قلت من الواجب أن انتظر وأسلم على الرجل .. هكذا لم أقضى تلك الليلة فى السجن . شكرت المستشار الأخ كمال حمدالنيل .. فله منى الشكر.

هذه قصتى مع المعتقل ومعاناتى ، بعد خروجى من السجن لزمت سرير المستشفى حيث تم اسعافى وعُملت لى اجراءات كشف طبى للعلاج بالمملكة المتحدة .. ذهبت لمكتب النائب العام حاولت أن أقابل الاستاذ عمر عبد العاطى للسماح لى بالسفر للعلاج حسب قرار القومسيون الطبى العام .. رفض مقابلتى ورفض أن يسمح لى بالسفر .. خرجت وقررت أن اتقدم بشكوى .. قابلت بالصدفة الأساتذة مصطفى عبد القادر واحمد ابراهيم الطاهر اللذين وعدا بالتحدث الى الاستاذ عبد

الفصل الحادى عشر

كيفية تخلى عمر محمد الطيب عن السلطة

المشهد الأول

التاريخ : الأول والثانى من ابريل ١٩٨٥ .
المكان : مكتب اللواء عمر محمد الطيب برئاسة جهاز أمن الدولة
الحاله : الشارع فى حالة غليان .. المظاهرات تجوب الشوارع .. الجمهور يرفض النظام .. يشكو من غلاء المواد التموينيه .
(اللواء عمر محمد الطيب يجلس فى مكتبه مطرقاً .. يضع هذا التلفون ليرفع الآخر إتصالات لا تتوقف) .
يدخل .. ويتحدث الى اللواء عمر ..

- يا عمر ياخى .. انت براك شايف الشارع .. عارف الحاصل شنو .. مافى زول فى الشارع ده حسه عاوز نميرى .. والناس عاوزه التغيير .. وكل الناس بيفكروا فيك ..وأملها فيك .. انت عارف حتى رأى المعارضه ..قوم أمشى إستلم السلطه ... !

- يا تاج السر انت بره الصوره .. وما عارف الحاصل بره شنو بالضبط ... وأنا عارف نفسى كويس وعارف بعمل فى شنو .. ودى أمانه يستحيل أخون الأمانه .. ناس كتار من الجهاز قالوا لى نفس كلامك ده .

(هل المسأله يا ترى مسألة أمانه .. أم مسألة حسابات دقيقه للموقف .. أم أن الشارع والجيش عنده رأيه الخاص .. ؟)

المشهد الثانى

التاريخ : ٢ ابريل ١٩٨٥ .
المكان : مكاتب جهاز أمن الدولة .
يدخل المستر ميلتون مندوب جهاز المخابرات الأمريكية (C.I.A) أحد مكاتب المسئولين .. قال :
- لماذا لا يتحرك اللواء عمر محمد الطيب تجاه الجيش ويتولى السلطة ..
- اللواء عمر قنواته فى الجيش هدمها له الرئيس نميرى وكسر كل قرونه .. والجيش ما بيحبه دلوقت ..
- صمت . ! !

المشهد الثالث

التاريخ : ٦ ابريل .. الخامسه والنصف صباحاً .
المكان : جهاز أمن الدولة .. مكتب رئيس الجهاز .
اللواء عمر بمكتبه وعلى يساره أكثر من ٥ أجهزة تلفون .. يحرك أحدها ..

يا فارس (فارس مدير فرع الإستخبارات العسكرية) .
نعم سعادتك ..
نورنى .. وصلتو لى شنو ..
أنا جايك يا سعادتك ..
تجى شنو .. ما أنا شايف كل شىء دلوقت ..
الدفاعات الحولى بدأت ..
يلتفت الى مدير مكتبه هاشم ابورنات ..
يا هاشم ايه الحاصل لحدى حسه ..
خلاص سعادتك الجيش رسمياً إستلم ..

طيب وين سوار الدهب (الفريق عبدالرحمن سوار الدهب)
لأنه فى مكتبه مافى .
اشوفه سعادتك .. (فتحت الباب وخرجت)
عند الباب يجد الفريق سوار الدهب واقفاً يهم بالدخول .. يفتح له الباب على مصراعيه ليلتقى اللواء عمر ..
دخل سوار الدهب .. سمعت اللواء عمر يقول ..
عبدالرحمن الحاصل شنو ...؟
خرجت .. ينادى على اللواء عمر قائلاً ..
هاشم حضروا لى العربيه أنا طالع القياده مع عبدالرحمن .. ومافى داعى يمشى معاى الحرس .
حاضر سعادتك ..
بعد وبرهة يخرج اللواء عمر يرافقه الفريق سوار الدهب ، يركبان العربة .. تمر العربه أمام الجميع الى القيادة .. تمر الدقائق ثقيلة بطيئة .. تمر نصف ساعة .. يعود اللواء عمر .. يدخل مكتبه مسرعاً ..
يلحق به .. خلفه ..
خلاص القوات المسلحه إستلمت .. والبيان حيطلع بعد قليل .. أنا إجتمعت بهيئة القياده .. الموضوع أصبح فى يدهم لأن الضباط الصغار هم اللى أصدروا القرار .. لكنى نصحتهم أن يحافظوا على وحدة الجيش .. ونصحت سوار الدهب أن يقبل تولى السلطه .. ونصحتهم ما يجيبوا الأحزاب .. وأن يبقوا عشره على الجهاز ..
يا هاشم خلى عباس مدنى يجينى حسه .. وكمان كلم محمد بخيت يدعو مجلس الوزراء .. وين د . بهاء ..؟ ما موجود على التلفون .. شوفه فى بيته خليه يجى حسه ..

المشهد الرابع

نفس التاريخ .. نفس المكان .. كل شيء كما هو إلا الحركه داخل المكاتب أُناس يمشون وآخرون يجيئون ..
العقيد ابورنات يحمل أوراقاً ماليه للتوقيع عليها بواسطة اللواء عمر .. يسمع اللواء عمر يقول فى التلفون ..
أهلاً تاج الدين .. نعم .. مكتبي أيوه .. صاح عندى مكتب تانى فى القصر .. جداً جداً .. طيب ..

المشهد الأخير

الوقت الواحدة والنصف من بعد ظهر نفس اليوم .. اللواء عمر يغادر مكتبه محروساً بحوالى ثلاثين جندياً .. المظاهرات تسد الشارع .. تقفل الطريق .. يضطر اللواء عمر الى تغيير اتجاهه ليسلك طريق الرياض منها الى كوبرى القوات المسلحة ببرى الى منزله بحى كوبر ..
كنت أقرب من يسكن لمنزل اللواء عمر .. جاء من يستدعينى لمقابلة اللواء عمر .. عندما وصلت وجدت بعض ابناء دفعتى العاملين بالاستخبارات وآخرون .. أنتحى بى جانباً المقدم عبدالعزيز جوهر ..
يا هاشم يا أخى اللواء عمر هايج .. هو ما عارف الحاصل شنو .. ولا شنو !
حاول تهدئه .. ونحن شغالين بالتعليمات ..
دخلت منزل اللواء عمر .. كان اللواء عمر فعلاً منفعلاً وطلب أن يسمح لضيوفه بزيارته وقال لى ..
- بكره الصباح جيب لى كل أماناتى اللعندك .. والسلاح بتاعى الخاص .
- حاضر سيادتك ..

شعرت أن اللواء عمر لا يعرف ماذا يجرى فى الخارج .. عندما عدت صباح اليوم التالى لم يسمح لى بالدخول وقالوا لى أن اللواء عمر أخدوه .. عدت أدراجي حاملاً أمانات اللواء عمر .. فى الطريق شعرت أن غياب اللواء عمر عن منزله سوف يطول سوف يطول جداً

[إنتهى]



شكر وتقدير ..

ونحن نضع هذا الكتاب أمام مواطنينا وللتاريخ كان لابد لنا أن نشكر أولئك النفر الذين قدموا لنا وساعدونا فى مختلف مجالات إبراز هذا الكتاب ليخرج الى حيزّ الوجود وأبوا أن نذكرهم فلهم منا كل الشكر وَالتقدير . كما نرى لزاماً علينا أن نخص البعض بالشكر والعرفان .. الى الاستاذ محمد الحسن أحمد ، الاستاذ عثمان ميرغنى ، الاستاذ سيف الدين بشير ، السيدة عوضيه سليمان والفنان سامى المك والفنان طارق أبو بكر ولكل من ساهم بجهد ، شكرنا الجزيل لما قاموا به ليرى هذا الكتاب النور .

المؤلفان

لندن سبتمبر ١٩٩٢م

المراجع

- THE VEIL - BOB WOODWARD .
- RESCUE - RUTH GRUBER .
- BY WAY OF DECETION -ICTOR O. & CLAIRE HOY
- SCHOOL OF ORIENTAL & AFRICAN STUDIES LONDON UNIVERSITY

- SUDAN REFUGEES BIB LIOGRAPHY

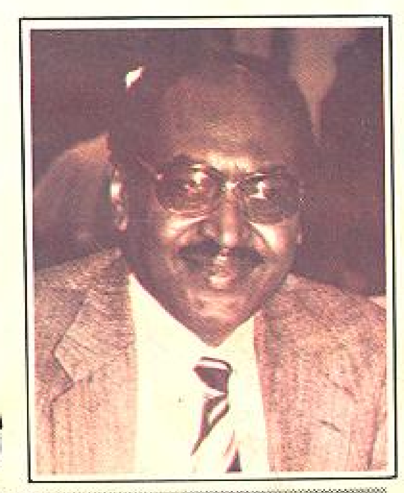
- ERITREAN AND ETHIOPIAN REFUGEES IN THE SUDAN.

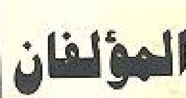
- THE LOST JEWS LAST OF ETHIOPIUAN FLASHAS , BY LOUIS RAPORORT.
- ETHIOPIAN JEWS THE STORY OF A MISSION 1972

ETHIOPIAN JEWS AND ISRAEL

- الخيار الصعب ... التجانى عبد اللطيف
- جنوب السودان ... أبيل الير
- الفجر الكاذب ... د.منصور خالد
- مذكرة المطالبه بتقسيم الجنوب .. للسيد جوزيف لاقو
- صور من الاداء الادارى فى السودان ..السيد حسين محمد احمد شرفى

رقم الإيداع ٧٩٠٨ لسنة ١٩٩٣
الترقيم الدولى
I.S.B.N
977 — 00 — 5767 — 3





المؤلفان



العميد أمن (م)

محمد عبدالعزيز محمد أبراهيم

- أكمل تعليمه الثانوى ببورتسودان ١٩٦١ .
- إلتحق بكلية الشرطة وتخرج فى ١٩٦٣ .
- عمل كضابط شرطة في بحر الغزال
- إنضم الى جهاز الأمن العام فى ١٩٧١ .
- عمل فى عطبره - الدويم .
- مديراً لأمن الإقليم الجنوبى - جوبا .
- ساهم فى تنفيذ إتفاقية أديس أبابا .
- إنضم الى جهاز أمن الدولة ١٩٧٨ .
- عمل مديراً لأمن الإقليم الجنوبى مرة أخرى ١٩٧٨ - ١٩٨٢ .
- مديراً لأمن العاصمة القومية .
- مديراً لأمن الإقليم الشرقى .
- نال تدريباً أمنياً بدولة المانيا الشرقيه (١٩٧٠)

. والولايات المتحده الامريكيه عام (١٩٧٨) .

- أعتقل ضمن أعضاء الجهاز من أبريل حتى أطلق سراحه فى اكتوبر ١٩٨٥ .
- أعتقل فى ١٩٨٨ لإتهامه لاشتراكه فى محاولة إنقلابية وأطلق سراحه فى مارس ١٩٨٩ .

العقيد أمن (م)

هاشم عثمان أبورنات

- أكمل الخرطوم الثانوية عام ١٩٦٧ .
- تخرج من الكلية الحربيه عام ١٩٦٩ .
- عمل بجنوب السودان من رتبة الملازم حتى رتبة النقيب .
- ساهم فى تنفيذ إتفاقية أديس أبابا بمديرية أعالى النيل .
- سلاح البحرية ١٩٧٥ - ١٩٧٦ .
- كلية القادة والاركان ..

أركانحرب صفرى ١٩٧٦ .

- جهاز الأمن القومى - ١٩٧٦ -
- نال تدريباً أمنياً بايران ١٩٧٧ .
- قنصلاً عاماً للسودان بيوغندا ١٩٧٨ .
- قنصلاً بالاتحاد السوفيتي - موسكو .
- مديراً لمكتب النائب الأول ورئيس جهاز أمن الدولة فى ١٩٨٥ .
- أعتقل ضمن أعضاء الجهاز من أبريل ١٩٨٥ - ١٩٨٦ .

بقلم : عميد أمن (م) محمد عبد العزيز ○ عقيد أمن (م) هاشم عثمان أبورنات